رواية

دليل القاتل المحترف لتنظيف البيوت

أدب أيسلندي حديث

هالجريمر هيلجاسون

ترجمة: كريم كيلاني

دَليلُ القاتِل المُحتَرِف لِتَنظيفَ البيوت

مكتبة | 1349



مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: 16055/ 2022
الترقيم الدولي: 978-977-313-916-2

This book has been translated with a financial support from:

ICELANDIC LITERATURE CENTER

Title of the original Icelandic edition: Tíu ráð til að hætta að drepa fólk og byrja að vaska upp
Published by agreement with Forlagið, www.forlagid.is

رواية

مكتبة | 1349

دَليلُ القاتِل المُحتَرِف لِتَنظيفَ البيوت

هالجريمر هيلجاسون

ترجمة

كريم كيلاني



الطبعة الأولى 2022



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

هيلجاسون، هالجريمر

دَليلُ القاتِل المُحتَرِف لِتَنظيف البيوت/ هالجريمر هيلجاسون؛ ترجمة/ كريم كيلاني.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2022

325 ص؛ 14.5×21.5 سم

تدمك 2-916-313-977-978

1 - القصص الايسلندية

أ- كيلاني، كريم (مترجم)

ب- العنوان

839.693

رقم الإيداع 2022/16055



1
توكسيك

2006/05/15

سمَّتني والدتي توميسلاف، وكان والدي من بوكشيتش[1]. بعد أسبوعي الأول في الولايات المتحدة، أصبَحتُ أُدعَى توم بوكسيك، وهو ما تحوَّل فيما بعدُ إلى "توكسيك"[2]. يُفسِّر ذلك ما وصلتُ إليه اليوم.

أحيانًا لا أعرف إن كنتُ أنا مَن سمَّمتُ اسمي أم أن اسمي هو ما سَمَّمني، على كل حالٍ أنا أتسبَّب في الخطر، أو هذا على الأقل ما تقوله مونيتا، حبيبتي حادَّة المزاج، إنها مُدمِنة على الخَطَر. عاشت مونيتا في بيرو حتى قُتِل أهلها في تفجيرٍ انتحاريٍّ، ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة وعثَرَت على وظيفة في وول ستريت. صادَف أن يكون

(1) Bokšić: قرية صغيرة في شرق كرواتيا.

(2) Toxic: مُؤذٍ أو سامٌ.

أولُ يـومِ عمـلٍ لهـا هـو 11 سـبتمبر، وفي أول رحلـة لنـا معًـا إلى كرواتيـا شَـهِدَت جريمتَـيْ قتـل، علـيَّ أن أُقـرَّ بـأن واحـدة منهـما ارتكبتهـا بنفـسي، أمّـا الأخـرى فكانـت خطـأ. في الحقيقـة اعتقـدتُ أن المشـهد رومانسـيًّا.

كُنّـا نجلـس في مطعـم ميركـو عندمـا أصيـب الشـخص الجالـس بجـوار طاولتنـا برصاصـةٍ في رأسـه، تَناثَـر القليـل مـن الدمـاء في كأس نبيـذ مونيتـا، لكننـي لم أخبرهـا... كان نبيذهـا أحمـر عـلى أيَّـة حـالٍ. تقـول إنهـا ليسـت مهووسـةً بالعنـف، لكننـي مـا زلـتُ أعتقـد بأنهـا انجذَبَـت لي بسـبب طبيعتـي المؤذيـة، تعتمـد علاقتنـا عـلى قصـف القنابـل، الجنـس بيننـا متفجِّـرٌ عـلى الـدوام.

حبيبتـي مونيتـا قوامهـا جـذّاب، ويمكـن ملاحظتهـا بسـهولة، يتفحَّصهـا الرجـال دائمًـا، إنهـا قصـيرة كأغلـب نسـاء أمريـكا الكسـلاوات[1] والبعـض قـال عنهـا إنهـا بدينـة، لكـن هـؤلاء الأشـخاص لم يتسـنَّ لهـم فتـح أفواههم بعـد مـا قالـوه. عندمـا تمـشي في الشـارع أسـمع نهدَيْهـا يتحـرَّكان في طـربٍ، إنـه صـوتي المُفضَّـل في أمريـكا. يمكـن للآخريـن أيضًـا أن يسـمعوه لـو كانـت ترتـدي قميصهـا البرتقـالي الخَشِـن.

عندمـا رأيتهـا لأول مـرة شـعرتُ أننـي رأيتهـا مـن قبـل، قبـل أن أتزوجها سأسـألها إن كانـت مثَّلَـت مـن قبـلُ في فيلـمٍ إباحـيٍّ أو إن كنـتُ رأيتهـا مـن قبـل في إحـدى الصُّـوَر المُصغَّـرة عـلى الإنترنـت.

مـا يُميِّـز حبيبتـي مونيتـا هـو أن أهلهـا ماتـوا، فـلا حَـماةَ لي ولا صَهـر، لا احتفـالات بعيـد الشـكر أو أعيـاد ميـلاد للأطفـال أو أفـراح يتعـيَّن عـليَّ حضورهـا، أي أن تقـف أعـزلَ في حديقـةٍ سـخيفةٍ تحـت حـرارةٍ قائِظَـةٍ، وخلفـك خمسـون شـخصًا.

---

(1) يقصد أمريكا اللاتينية.

نعـم، تنجـذب مونيتـا روزاليـس إلى الرجـال المُسـلَّحين، كانـت تُواعِـد قبـلي طليانيًّا مـن لونـج أيلانـد (بالنسـبة لنـا أصبحـت "إيطـالي" "طليـاني" بعدمـا أطلـق نيكـو -خطـا- رصاصـة عـلى الـ "إي" في لافتـة مُعلَّقـة عـلى إحـدى مطاعمهـم، ورغـم أن سـيرته الذاتيـة أقـلُّ مـن سـيرتي إلَّا أنـه يمكـن اعتبـاره زميـلًا.

أنـا مَـن يطلقـون عليـه بلغتنـا "قاتـلٌ مأجـور"[1] في نيويـورك يقولـون "قاتــل مُتعاقِــد"، أو "قاتــل محــترف". الفضــل يرجــع إليَّ في إبقــاء دُور الجنائـز مشـغولةً منـذ وصَلـتُ إلى نيويـورك قبـل سـتِّ سـنواتٍ، حتـى إنني عقَـدتُ اتفاقًـا مـع إحداهـا، وأخـبرت ديـكان أن عليـه شراء دار جنائـز سرًّا؛ إذ يمكننـا أن نجنــي مـالًا أكـثر مــن ضحايانـا المـوتى... اضرب واهــرب إلى البنـك!

دعـوني أخبركـم عـن وظيفتـي، أعمـل طـوال الأسـبوع في سـماور زغـرب، مطعمنـا الجميـل في شرق شـارع 21. يناسـبني تمامًـا مُسـمَّى "نـادل"[2]؛ إذ إننــي أقـضي أغلـب وقتـي منتظـرًا الوظيفـة التاليـة؛ وهـذا قـد يثـير المَلَـل بشدَّ ة.

إن الحيــوان البلقــاني بداخــلي، وهــو روحــي، يشــعر دومًــا بالجــوع لفريسـة، يصيبنــي الارتبـاك إن مـرَّت ثلاثـة أشـهر دون أن أُطلِـق النار. سـنة 2002 كانـت أقـلَّ السـنوات عمـلًا؛ إذ أصَبـتُ هدفـين وأخطـأتُ الثالـث. مـا زلـتُ أشـعر بالنـدم عـلى ذلـك الهـدف الضائـع؛ ففـي هـذا العمـل يُعـدُّ عـدم إصابـة الهـدف خطـا قاتـلًا؛ فقطعًـا ليـس مـن مصلحتـك أن تُصـادِفَ أحـد جَرحـاكَ المجانـين يتسـوَّق لـشراء الرصاصـة التـي سـتقتلك.

(1) placéni ubojica: بالكرواتية في الأصل.

(2) Waiter: يقصد بها "منتظر".

يميـل النـاس إلى الانزعـاج قليـلًا إذا لاحظـوا أنـك تحـاول قتلهـم. لكـن اسـمحوا لي أن أؤكِّـد لكـم أن الهـدف الـذي أخطأتـه في 2002 كان أوَّلَ إصابـة أُسـدِّدها في عـام 2003. حاليًـا لا أضيِّـع رصاصـة أبـدًا.

إليكـم الأمـر: أنـا مـا يطلقـون عليـه ثـلاثي عضـلات البطـن، قيـل لي إن هـذا سـجلًا قياسـيًّا في مانهاتـن، شـخص طليـاني وحسـب يُدعَـى بـيروسي نـال لقـب ثنـائي عضـلات البطـن في الثمانينـات، عندنـا كان چـون جـوتي[1] ملـك حـي كوينـز، لكـن لم يَنَـل أحـدٌ لقـب ثـلاثي قبـل توكسـيك.

في الواقـع لا أعتقـد أن الطِّليـان كـما كانـوا في سـابق عهدهـم، فعندمـا تُنتـج أفلامًـا عـن نفسـك أكـثر مـن قيامـك بقتـل النـاس فهـذا يعنـي أن أمـرك انتهـى. في غضـون عشريـن عامًـا سـيكون لدينـا مسلسـل كــ "آل سـوبرانو": "آل سليشـكو"[2]، لكننـي حينهـا سـأكون مثـل "زنـاد مرتعـش"، أنتـشي بالڤياجـرا، وأتشـبَّه بالنسـاء.

اعتـدتُ أن أقـول لمونيتـا إن كَـونَ المـرء ثـلاثيَّ عضـلات البطـن يتعلَّـق بالبيئـة، وأنـا منـاصر للبيئـة، فلسـت أرغـب في إضافـة رصاصـة لا لـزوم لهـا في تلـك المدينـة المزعجـة في الأصـل، هكـذا أخبرتهـا في لقاءنـا الثالـث، بعدمـا سـألَتني للمـرة الثالثـة عـن عمـلي. اسـتغرق الأمـر أربعـة أسـابيع مـن المكالمـات الهاتفيـة واقتحـام وجيـز لبيتهـا حتـى أحصـل عـلى اللقـاء الرابـع.

عفـوًا... القيـام بعضـلات البطـن السـتة يعنـي أن سِـتَّ طلقـات متواليـات تـؤدِّي إلى جنـازة، سِـتُّ رصاصـات، سِـتُّ جنـازات، أرامـل ينتحـبن، ورود... كلُّ شيء.

---

(1) چـون چوزيـف جـوتي چونيـور (1940- 2002): رجـل عصابـات أمريـكي ورئيـس عائلـة مافيـا جامبينـو في نيويـورك.

(2) أكبر عَرَّاب للمافيا في كرواتيا، مات أثناء تبادُلٍ لإطلاق النار في زغرب عام 2002.

بسجلٍّ كهذا كان يجدر بديكان أن يقوم بترقيتي منذ وقتٍ طويل، لكن هذا الوغد عنيدٌ كمؤخِّرة بلا ثقب، لاعق إصبعٍ لعين هكذا أطلقنا عليه لأنه يلعق أصابعه القصيرة السمينة في نهاية كل وجبة، لكن كل ما يقوله هو: "توكسيك نادل ماهر... إنه لا يغفل طلب أبدًا".

سيكون من دواعي سرورنا اتِّباع تعليمات بيليتش عندما يتعلَّق الأمر بوضع حَدٍّ للاعق إصبع.

نحاول أن نحافظ على أ.ق.أ، أو "اختبئ قدر الإمكان" قدر ما أمكننا؛ إذ نقوم بعملنا. هذا يعني أنني عادةً ما أحاول تسوية الأمر في خصوصية غرفة فندق الشخص أو سيارته أو منزله. ويُفضَّل بدون أي شهود. إذا لم ينجح ذلك، فغالبًا ما ندعو الضحية إلى مطعمنا. نكتة "العشاء الأخير" مُتعارَفٌ عليها.

بعد العشاء أحضر له فاتورة المائدة بأكملها، وهو مبلغ مرتفع للغاية لدرجة أنهم يفضِّلون دائمًا أن يدفعوا الثمن بحياتهم. لدينا غرفة خاصة في الخلف نأخذهم إليها، نطلق عليها الغرفة الحمراء، بالرغم من أنها خضراء.

كما قد تكون خمَّنتَ، لا يوجد زبائن دائمون في سماور زغرب.

بالمناسبة، اسم المكان غبي تمامًا لأن "السماور" هي آلة شاي روسية ولا علاقة لها بثقافة كرواتيا، لكن ديكان يعتقد أنها ذكية حقًّا، يحب أن يقول: "التَّصرُّف الغبي هو أفضل تمويه".

على الرغم من أنني ما زِلتُ أنتظر تلك الترقية اللعينة، لكنني في الحقيقة لا يسعني أن أشتكي حقًّا؛ المال جيد، والطعام ممتاز بالطبع. لديَّ شقتي الرائعة على ناصية شارعَيْ سبرنج ووستر، مونيتا على استعداد للمضاجَعة من أجل مَوقع كهذا، وأنا أحب ضوضاء

نيويـورك[1]، عـلى الرغـم مـن أننـي أفتقـد الوطـن الأم اللعـين كل يـوم بحقّ الجحيـم.

لكــن في وقــت ســابق مــن هــذا العــام، عــثرتُ عــلى كابــل ذهبــي، ووجَـدتُ أنـه يمكننـي مشـاهدة HRT[2] وهايـدوك سـبليت[3] على شاشـتي المُسـطَّحة في المنـزل. تتصـل والـدتي مـرَّةً في السـنة لتسـأل متـى سـأعود إلى الدراسـة. هـذه هـي العامِّيَّـة الكرواتيـة التـي تعنـي: "لقـد نَفَـدَ المـال"، بمجـرَّد إنهـاء المكالمـة، أرسِـل لهـا 2000 دولار عـبر الإنترنـت. مـا يكفـي لسـنة أخـرى.

تعيــش بمفردهــا مــع أختــي الصغــيرة السَّــمينة. قُتِــلَ أبي وأخــي في الحـرب. لقـد جئـتُ مـن عائلـة مـن الصَّيَّاديـن. كان جَـدِّي حـارس تيتـو الشـخصي، وكان تيتـو زعيـمَ وطنـي السـابق يوغوسـلافيا. توفِّيـت يوغسـلافيا بعـد فـترةٍ وجيـزة مـن موتـه، مثـل أرملـةٍ عجـوزٍ حزينـة. أحـبَّ تيتـو الدِّبَبـة، ولا سِـيَّما القتـلى منهـم.

لم تُتَـح لي الفرصـة مُطلقًـا لإطـلاق النـار عـلى واحـد، لكـن عندمـا كنـت صغـيرًا، كان والـدي يصطحبنـي في كثـيرٍ مـن الأحيـان لصيـد الخنازيـر. قـال "الخنزيـر الـبري مثـل المـرأة، عليـك أن تتظاهـر بأنَّـكَ لا تريـد إطـلاق النـار عليـه؛ لذلـك نحـن فقـط ننتظـر هنـا". كان "منتظـرًا" كبـيرًا، مثـلي تمامًـا.

أرى نفسي صيَّادًا. أصطاد الخنازير من أجل لُقمَة العيش.

(1) Noisy york: يقصد بها مدينة نيويورك.

(2) Hervatska Radio and Television إذاعة وتلفزيون كرواتيا.

(3) HNK Hajduk Split نادي كرة قدم كرواتي تمَّ تأسيسه سنة 1911.

2
المقضيُّ عليه

5/ 5/ 2006

لكنني الآن في ورطة. لأول مرة في مسيرتي المهنية التي لا تشوبها شائبة. أركب سيارة الشركة، وأعبر جسر ويليامزبرغ تاركًا مانهاتن خلفي، ومونيتا في أذني، وجسدها في ذهني، وعيني على ظهر سائق رادوڤان الخنزير. ستواجه الرصاصة صعوبةً مع هذا الرأس. تلقي شمس مانهاتن بعد الظُّهر بظِلالِ ناطحة سَحابٍ على سطح النهر.

"أوه، حبيبي. سأفتقدك" تهمس مونيتا من خلف مكتبها في الطابق السادس والعشرين من برج ترامب. قبل عامين بدأت في الطابق الأرضي. ومع ذلك فهي لم تتخطَّ درجةَ "المبتدئ". هكذا هي مونيتا الخاصة بي، لا يمكنك أن تكرهها. صوتها نصف هندي، لكن اللهجة كلها من بيرو. كانت والدتها من بومباي، ولديها بَشرةُ زيتِ الزَّيتون

الهنـدي، وهـو ملمـسٌ رقيـق يمكـن أن يدفعـك بطـول الطريـق إلى القُطـب الشـمالي في عربـة جولـف يقودهـا الرئيـس بـوش.

"أنـا أيضًـا" أجبـتُ مـرة أخـرى، لسـتُ متأكِّـدًا تمامًـا مـا إذا كانـت تلـك اللغـة الإنجليزيـة التـي أتحـدَّث بهـا مثاليـة بنسـبة مائـة بالمائـة. لكنـي أعتقـد أننـي عـلى حَـقٍّ. سـأفتقد نفـسي، سـأفتقد حيـاتي الرائعـة في المدينـة العظيمـة.

أنـا ذاهـب إلى المنفـى. سـأختفي لمـدة سـتة أشـهر عـلى الأقـل... أقـرأ تذكـرة طائـرتي: نيويـورك- فرانكفـورت- زغـرب. مُوقَّعـة باسـم ديـكان. سـأعود زحفًـا تحـت طاولـة مطبـخ أُمِّـي وفي فمـي مُسـدَّس. لقـد أخفقـتُ، أو شـخصٌ مـا قـضى عـليَّ.

العمليـة رقـم 66 لم تنجـح. لا تسـيئوا فهمـي، صوَّبتُ الرصاصـة إلى رأس الرجـل آمِنـةً مُعافـاةً، ولكـن كان هنـاك بعـض العواقـب الخطـيرة. تَبـيَّن أن الرجـل البولنـدي ذا الشـارب هـو رجُـلُ مكتـبِ التحقيقـات الفيـدرالي. مـا كان مـن المفـترض أن تكـون جريمـةَ قتـل مُشمِسـة في وضـح النهـار اسـتحالت كابوسًـا. أخذتـه إلى مكـبِّ النفايـات في كوينـز ووضَعتُـه بعيـدًا في كومـة مـن سراويـل ليفـي مزيَّفـة، ثـم غطَّيـت وجهـه القبيـح بمظلَّـة بيبـسي ماكـس القديمـة.

في طريـق عـودتي إلى السـيارة، لاحَظـتُ أن بعـض أصدقائـه وصلـوا متأخِّريـن جـدًّا لجنـازة بـلا تابـوت. قفـز قلبـي الكـرواتي القديـم مـن موسـيقى الڤالـس إلى موسـيقى ديـث ميتـال[1]، واسـتدرتُ بسرعـة. خـلال الدقائـق العـشر التاليـة، ركضـتُ مثـل لاعـب الحواجـز في أولمبيـاد السِّـمنة، عـبر نفايـات حـوالي سـتة آلاف أسرة نوويـة في نيويـورك، مُتَّجِهًـا إلى النهـر، وأخـيرًا بحثـت عـن ملجـأ في حاويـة قديمـة صدئـة مليئـة بدُمـى دِببَـةٍ

(1) Death Metal: فـرع مـن موسـيقى الميتـال تسـتخدم فيـه عـادة أصـوات مشـوهة للجيتـار ونغـمات منخفضـة.

قديمـة، الغريـب أنهـا تفـوح منهـا رائحـة الجـبن المشـوي. طَـوَّق الأوغـاد الفيدراليُّـون المنطقـة؛ لذلـك انتهـى بي الأمـر بقضـاء الليلـة معهـم.

كانـت ليلـة بـلا نـوم في أفـق مانهاتـن والحاويـة البـاردة والدِّبَـة ذات الرائحـة الكريهـة. بالنسـبة للمَعِـدة الفارغـة، تشـبه رائحـة الطعـام العِطـرَ بالنسـبة للانتصـاب. في سـاعات الصبـاح، كان جميـلًا بعـض الـشيء أن تـرى الغـرف في مبنـى الأمـم المتحـدة تـضيء، الواحـدة تلـو الأخـرى- وتقلُّـب ميـاه النهـر الشرقـي الجاريـة انعكاسـها.

كان ذلـك قبـل شروق الشـمس. أعتقـد أن كل أُمَّـة عـلى وجـه الأرض لهـا مكتبهـا الخـاص في المبنـى، وقـد بُرمِجَـت الأضـواء في كل غرفـة لتسـتمرّ في نفـس الوقـت الـذي تـشرق فيـه الشـمس في البلـد الـذي تنتمـي إليـه.

شـاهدت 156 شروقًـا في تلـك الليلـة، وقبـل كـسر رقـم 157 كنـتُ في النهـر. قـادني تيَّـارُ الجليـد البـارد إلى مكـبٍّ مختلـف. كان أشـبه بموقـع إلكـتروني، مليئًـا بالخطـوط وكابـلات الإنترنـت. في مصـبِّ نفـق ميدتـاون عـثرتُ عـلى سـيارة أجـرة. واجـه السـائق مُشـكلةً في حقيقـة أن ملابـسي كانـت مُبلَّلـةً بالكامـل، لكنّنـي أخرجـتُ مُسـدَّسي وجَفَّفتهـا في لحظـة.

توكسـيك يسـافر تحـت اسـم إيجـور إليتـش. لقد وُلِـدتُ في سمولينسـك الآن، في عـام 1971. لقـد وُلِـدتُ في كل مـكان. ذات مـرَّة كنـت أحمـل جـواز سـفر ألمانيًّـا مَنَحنـي طفولـةً سـعيدة جـدًّا في العاصمـة بـون آنـذاك. حتـى إننـي بذلـتُ الجهـد -في طريقـي عـبر وادي الرايـن- لاخـتراع بعـض ذكريـات الطفولـة المثاليـة.

عمـل الأب ديـتر بَوَّابًـا في السـفارة الروسـية، وكانـت الأم إلـسي طاهيـةً في السـفارة الأمريكيـة. كل ليلـة كانـت حربًـا بـاردة، وأنـا أُمثِّـل برلـين، جـدار بـين عينـيَّ. عـلى الرغـم مـن أننـي لسـت مُمثِّـلًا، لكـن لا أمانـع الحصـول عـلى حيـاة جديـدة مـن حـين لآخـر.

في الواقع، لطالما استمتعتُ بهذا الجانب من عملي، حيث يمكنك أن تحصل على استراحة من نفسك. باستثناء عطلة نهاية الأسبوع كصربيٍّ في عام 1999. ثم شعرت حقًّا بالرغبة في قتل الرجل الذي أصبحتُ عليه. ولكن على الرغم من أنهم وُلِدوا في مدن مختلفة، إلَّا أنهم عادَةً ما يستخدمون نفس العام، العام الصحيح: 1971. وُلِدتُ قبل يومٍ واحد من فوز نادي هايدوك بالبطولة أخيرًا بعد حوالي عشرين عامًا من الانتظار. اعتَقَد والدي المتعصِّب لكرة القدم أنني كنتُ فألَ خيرٍ، ووصفني بـ "البطل".

يشقُّ الطريقُ السَّريعُ المسافةَ عبر بروكلين. أُلقي نظرة على جميع الإعلانات بعينين شبه دامعتين. أنا فقط لا أريد مغادرة هذه المدينة. مَرَرنا بلوحة زرقاء كبيرة: "أخبار شاهد عيانٍ في السابعة على شبكة أي. بي. سي نيويورك" على مدار ثلاثة أيام متتالية كان وجهي هناك، معروف في دوائر "العُصبَجيَّة" ببساطةٍ باسم توكسيك. لكنها لم تكن أكثرَ من ومضة. لا توجد قصة كبيرة، مثل تلك التي رُوِيَت عن القَتَلة الجماعيِّين. أصبح هؤلاء الرجال أسماء مألوفة في يوم واحد، بينما يتمُّ ذِكرُ الرجال والنساء الصادقين والمجتهدين في صناعة الاغتيال بشكل عابر. الأُمَّة التي تقيس كلَّ شيء بالمال تهادن الهواةَ بدلًا من المحترفين. أعتقد أنني لن أفهم هذا البلد تمامًا. أنا أحبُّ نيويورك، لكنني لا أفهم الباقي.

سرعان ما تضاءَلَت الضواحي لندخل أرض الإقلاع والهبوط. جواز سفر إيجور موجود في جيب صدري، مثل حقيبة جوتشي المصنوعة في الصين. وخلفه يدقُّ قلبي طبول الشَّك.

يقول رادوفان خارج صالة المغادرة الدولية: "مع السلامة!"[1]. منَعتُه من مرافقتي إلى الداخل، إن نظارته الشمسية تكاد تصيح لمكتب

(1) Doviđenja: بالكرواتيَّة في الأصل.

التحقيقات الفيدرالي مثل شاذٍّ على صفيحٍ ساخن. الغباء ليس قناعًا للأغبياء. حلَقتُ كلَّ شَعري هذا الصباح، وبذَلتُ ما بوسعي لارتداء الملابس الروسية: سُترَة جِلديَة سوداء، وأبشع سروال جينز في الخزانة، وأحذية ركض من طراز بوما بوتين.

قبل أن أغادر، استدَرتُ في المدخل وودَّعتُ شاشتي المسطحة بقُبلَة إصبع. سألتني مونيتا إذا كان يمكنها رعاية بيتي أثناء غيابي، لكنني رفضتُ. لا ثِقةَ قويَّةً بيننا حتى الآن. وتلك القنبلة المستثارة لن تقضي ستَّةَ أشهر دون أن تنفجر، ولستُ أرغب في وغدٍ ما من بيرو يُجفِّف عَرَقَه القذر بعد ممارسة الجنس على مَناشِفي البرادا.

يسير تسجيل الوصول بسلاسة. شقراء ضحلة ذات غمازات عميقة تُخبِرني ألّا أقلق بشأن حقائبي. سأراهم مرَّةً أخرى في زغرب. يبدو أن لديهم رحلات مباشرة من مدينة نيويورك إلى زغرب للأمتعة فقط. تستلزم الهجرة ضَبطَ النَّفْس. رسَمتُ على وجهي تعبيرات إيجور بينما كان الضابط مُعجَبًا بأعمالي اليدوية الصينيَّة.

ثم أمرني اثنان من رجال الأمن الفخورين أن أُخرِج الهاتف والمحفظة والعملات المعدنية، سترة وحزام وحذاء. لمحوا شيئًا بين عملاتي المعدنية، فانتقل قلبي من موسيقى السامبا إلى موسيقى الروك.

تبيَّن أن أبشع سراويلي يحتوي على رصاصة وحيدة، ذهبية جميلة، 9 ملم، من مسدَّس براوننج هاي باور شبه الآلي، والذي قدَّمه لي دافور لدى وصولي نيويورك.

"ما هذا؟ هذه رصاصة! أليس كذلك؟" سألتني امرأة لاتينية صغيرة من لونج آيلاند بالزِّيِّ الرسمي بلهجةِ مَن يعمل في مركز تسوُّق.

"آه... نعم. هذا، هذا تذكار" أجبتُ.

"تذكار؟".

"إيه، نعم. لقد... تمَّ نَزعُها من رأسي" حاوَلتُ أن أبدو كما لو أن الشيء تسبَّب في ضررٍ دائمٍ لي.

تقتنع وتسمح لي بالذهاب بعد إعطائي تدليكًا لكامل الجسم. لن أعتاد هذا السفر منزوع السِّلاح، ليس من طبيعة الرجل عبور البلدان أو المحيطات بدون سلاح. سخيف أمر 11 سبتمبر، يجعلني أرغب حقًّا في إطلاق النار على بن لادن. لكني لا أستطيع؛ لأنني غير مسموح لي بحمل مسدس على متن الطائرة.

لقد بدأت أتطلَّع إلى زغرب عندما ظهر اثنان من الفيدراليين فجأة وشقَّا طريقهما نحو الواقفين عند البوابة. التذاكر في متناول يدي. أنا آخِر مَن في الطابور. لا أحد بوسعه إنكار حقيقتهم، أستطيع أن أشمَّ رائحة الـ "سرِّيَّة" على طول الطريق من چيرسي مثل كلب محموم. إنهم يرتدون السترات والنظارات الشمسية المعتادة من إتش أند إم، وكلها مربوطة في تسريحة شعر المباحث الفيدرالية الكلاسيكية القادمة مباشرة من العاصمة. المظهر نوعًا ما "رسمي غير رسمي"، لامع جدًّا ومُجعَّد بعض الشيء، مثل مايكل كيتون في فيلم "تَعَدُّدِيَّة"[1].

اختبأتُ على الفور خلف الرُّكَّاب المنتظرين، والتقطتُ حقيبتي، مبتعدًا عن البوَّابة في الاتجاه المعاكس للعُمَلاء السريين. مع السلامة يا زغرب. قلبي ينبض، لكني لا أسمح لنفسي بالنظر إلى الوراء. لا تنظر إلى الخطر أبدًا! هكذا اعتادت ماما أن تقول.

أمشي لمدة سِتِّ دقائق، وقد تحوَّلت جمجمتي الحليقة إلى نافورة على الطريق. أروقة المطار لا حصر لها. يحدِّق الناس في وجهي وكأنني

(1) Multiplicity: فيلم أمريكي أنتج عام 1996.

أحمـل "صـدَّام" مـن خصيتـه في حقيبتـي. أخـيرًا لمحـتُ لافتة تشـير للحمام، فاتَّجهـتُ سريعًـا إلى اليسـار. داخـل الحـمام التقطـتُ أنفـاسي وجفَّفـتُ رأسي. وبينـما كانـوا يُجفِّفـون أيديهـم، نظـر إليَّ ثلاثـة رجـال أعـمال كـما لـو كنـتُ تاجِـرَ أسـلحةٍ روسـيًّا أنتظـر زبونًـا. أخـيرًا، عُـدتُ إلى البحـر المفتـوح، لكـنَّ مياهَـه لم تكـن صافيـة.

دخلـتُ الحـمَّام بسرعـة عندمـا لمحـتُ أحـدَ أشـباه مايـكل كيتـون. أعلـم أنـه لم يـرني رغـم ذلـك. كان يمـشي.

أمـضي إلى أحـد المراحيـض وأتظاهـر بأننـي أفعـل مـا أفكـر فيـه. مـاذا يمكننـي أن أفعـل الآن بحـق الجحيـم؟ لا يمكننـي العـودة إلى بوَّابتـي. مخاطـرة كبـيرة. سـينتظرني آل كيتـون هنـاك، يبتسـمون كأقـارِبَ سُـخَفاء. لكـن مـاذا بعـد ذلـك؟ يأتينـي الجـواب عـلى شـكل حـزام، طـرف حـزام يُقحِـم نفسـه أسـفل الجـدار بـين المرحـاض التـي أشـغله والـذي يليـه. أنتظـر لحظـات قليلـة وأدعـو اللـه. أخـيرًا انتهـى صاحـب الحـزام وتـرك مرحاضـه. وإذ أفتـح البـاب المنخفـض، تلتقـي أعيننـا في المـرآة فـوق صـفِّ الأحـواض. يبـدو أن اللـه اسـتجاب لي، إنـه يشـبه إيجـور تمامًـا، صاحـب الحـزام حليـق الـرأس حتـى العَظْـم. هـا هـما مسـافران أصلعـان وبدينـان، يبـدوان متشـابِهَيْن بشـكلٍ مُدهِـش، عـلى الرغـم مـن أن صاحـب الحـزام يرتـدي نظَّـاراتٍ غـير مرئيـة تقريبًـا، وهـو أكـبر قليـلًا مـن إيجـور. لكنـه لـن يكـبر كثـيرًا الآن. أخرجـه إيجـور بلكمـة شـبه صامتـة في مؤخـرة رأسـه، مبـاشرة في بقعـة چـي المهبليَّـة. تسـقط نظَّارتـه في الحـوض بينـما يصطـدم رأسـه بالمـرآة. لا يوجـد دم، الرفيـق ثقيـل جـدًّا، حتـى أكـثر ثِقَـلًا منـي، لكـن مـا زلـت أتمكَّـن مـن نقلـه إلى نفـس المرحـاض الـذي تغـوَّط فيـه للمـرة الأخـيرة، وأُغلِـق البـاب خلفـي.

أفحص نبضه. لا ضربات قلب.

يتدفـق الأدرينالـين بشـكل أبطـأ، أشـعر بالرعـب لأننـي أدركـتُ أن عمليتـي رقـم 67 بطلهـا رَجُـلُ ديـن. إنـه يرتـدي حـول رقبتـه ياقـة كهنوتيَّـة بيضـاء، بالإضافـة إلى قميـص أسـود، وسـترة سـوداء، ومعطـف أسـود. بـشرة بيضـاء. أبحـث عـن تذكرتـه وجـواز سـفره ومحفظـة، والآن! توكسـيك إيجـور أصبـح لديـه اسـم جديـد: القِـسُّ ديڤيـد فرينـدلي[1]. وُلِـدتُ في ڤيينـا بولايـة ڤيرجينيـا، في 8 نوفمـبر 1965.

يمكننـي القيـام بذلـك. لم أكـن أميركيًّـا مـن قبـل. إلى أيـن هـو ذاهـب؟ توضِّـح التذكـرة "ريكياڤيـك". تبـدو في أوروبـا. بصعوبـة أنـزع المعطـف والسُّـترة مـن جسـد رجـل الديـن الممتلـئ، ثـم أبـدأ بفَـكِّ أزرار قميصـه، والعَـرَق يتسـاقط مـن رأسي مـرَّةً أخـرى، بينـما أتنفَّـس مثـل الخنزيـر. أتوقَّـف قليـلًا عندمـا أسـمع شـخصًا مـا يدخـل الحـمام وأحـاول مـواراة أنفـاسي الشـديدة خلـف صـوت بولـه. يتبـع ذلـك تدفُّـقٌ سَريـعٌ للميـاه وتجفيـف اليديـن.

بمجـرَّد أن أصبـح المـكان آمنًـا، أخـرج مـن مراحيـض مطـار چـون كنيدي مسـيحيًّا مولـودًا مـن جديـد، مـع هالَـةٍ حـول رقبتـي، ومَهمَّـة جديـدة في الحيـاة: البوابـة 2.

---

(1) David Friendly: ومعنـاه "ديڤيـد وَدود"، وكثـيرًا مـا يسـتغلُّ الكاتـب اسـم "وَدود" لأغراضٍ فكاهيـة؛ لـذا لَـزِمَ التَّنويـه.

3

طيران أيسلندا

2006/05/15

إنـه لأمـرٌ مُدهِـش. أنـا أتحـرك عـبر سـماء شـمال المحيـط الأطلـسي بسرعـة الصـوت، ومـع ذلـك فقـد لَحِقَـت بي روحُـه. أشـعر بالقلـق وأنـا مدفـون في إحـدى مقاعـد النافـذة الصغـيرة جـدًّا عـلى مـتن طائـرة مليئـة بالشـقراوات والرِّجـال الطَّيِّبـين. لا أعـرف مـا يحـدث، لكـنَّ سـاقيَّ تقتلاننـي تمامًـا. لا بُـدَّ وأن للسـيد "فرينـدلي" صِـلاتٍ مـع السـماء؛ جيـشٌ مـن الملائكة يقرصوننـي بأظافرهـم المدبَّبـة ويخنقـون حلقـي بالياقـة الكهنوتيـة.

رجـال الديـن هـم الأسـوأ. مـرة أخـرى أثنـاء الحـرب، أُمِـرتُ ذات مـرَّة بحراسـة كنيسـة في قريـة صغـيرة بالقـرب مـن بلـدة كنـين[1]. كان الـصِّربُ يسـتخدمونها لتخزيـن قنابلهـم، لكننـا الآن نسـيطر على المنطقـة. في صباح

(1) Knin: تقع في كرواتيا.

يـوم أحـدٍ ضبـابي، ظهـر كاهـن القريـة اللعـين فجـأة، وقـال إنـه يريـد إقامـة قُدَّاس. قلـتُ مسـتحيل، لم يُسـمح لأحـد بالدخـول إلى الكنيسـة. كان رجـلًا عجـوزًا ولـه لحيـة بيضـاء وشَـعر أبيـض حـول أذنيـه. بـدا عـلى نحـوٍ مـا راهبًـا أكـثر منـه كاهنًـا. وكان وجهـه مفعـمًا بهـذا الوَهَـن المسـالم. كان النظـر إلى عينيـه بمثابـة نظـرة خاطفـة عـلى الآخـرة: بِرْكتـان صامتتـان في إيڤـروودز. بـدا كـما لـو أنـه مـات بالفعـل، أو أنـه لم يَعُـد يَعبَـأ بـشيء.

ودون أن ينبـس بكلمـة، سـار بجانبـي باتجـاه بـاب الكنيسـة. ركَضـتُ خلفـه وأخبرتـه مـرَّةً أخـرى بكرواتيَّـةٍ حـادَّة ألّا يُسـمح لأحـد بدخـول الكنيسـة. أصـدرتُ أوامـري. "لا أحـد عـلى الإطـلاق بحـق الجحيـم!" صرخـتُ في أذنـه المُشـعِرَة.

أغلـق عينيـه للحظـة وجيـزة ثـم توَجَّـه نحـو البـاب. حاوَلـتُ دفعـه ببندقيتـي بعيـدًا، لكننـي لم أسـتطع فعـل ذلـك حقًّـا، لم أتمكـن مـن ضرب هـذا العجـوز الـذي كان بمثابـة الـرُّوح الإنسـانية بأَسْرِهـا، أو هـراء تَمِـل مـن هـذا القبيـل.

في صمـت يـوم أحـد مـا، أخـرج مفتاحـه الكبـير وأخـذ يفتـح البـاب الخشـبي. لقـد أمضيـتُ بالفِعـل أربـع سـنوات في الحـرب وأطلقـتُ النـار عـلى أشـخاص أكـثر ممَّـن في شـجرة عائلتـي، لكننـي كنـتُ لا أزال أرتجـف في كل مـكان مثـل السـجائر الرديئـة، والتـي كنـت سـأدخِّنها في وقـتٍ لاحـق مـن ذلـك اليـوم. مـاذا كان يحـدث بحـق الجحيـم؟ لقـد هزمنـي كاهِـنٌ أعـزَلُ في الثمانـين مـن العمـر! كيـف يمكـن لهـذا أن يحـدث؟ عندمـا شـاهَدتُه يختفـي داخـل الكنيسـة، شـعرت بالخـوف في النهايـة وأطلَقـتُ النـار عليـه في ظهـره. سـقط عـلى الأرض الحَجريَّـة، عـلى غـرار مشـهد الصَّلـب، مثـل الرجـل المُعلَّـق عـلى الحائـط المقابـل.

أغلقـتُ البـاب وجلسـت وظهـري بمواجهتـه. كنـتُ سـأبكي لـو لم تُحـوِّل الحـربُ كُلَّ دموعـي إلى حجـارة؛ لذلـك جلسـت هنـاك، وجهـي متيبِّـس،

ألعن كل شيء: أرضي وأرضه، وأرضنا، والحرب بأكملها. جَلستُ هناك لمدة حوالي عشرين سيجارة. يوم أحد في الجحيم. لقد قَتلتُ رَجُلَ دينٍ، وفوجئت بشدَّة بتأثير ذلك عليَّ. لقد قتَلتُ رجالًا أكبر سِنًّا من قبل، حتى لو كان من بينهم سيدة، دون أن أعاني من هذا النوع من المخلَّفات الأخلاقية. ولكن بطريقةٍ ما كان هذا أكثر دراماتيكيَّةً بثلاثة أطنان -ربما بوزن كنيسته الصغيرة- شعرتُ بقرونٍ تَشقُّ طريقها بين خصلات شَعري، والذيل الذي ينمو بسرعة بين أردافي جعل جلوسي مؤلمًا.

عندها بدأت أفقد عقلي. بدأ شُعورٌ غريب ينمو بداخلي. شعرتُ وكأن الانفجار الكبير لطَلقَة بندقيَّتي لا يزال يُدوِّي داخل كنيسة القرية الصغيرة، وأن الصوت الرهيب كان يملؤها ببُطءٍ، وصولًا إلى الجرس. حتى إنني سَمِعتُ الشيء البرونزي الدموي يتردَّد صداه بالغضب، ويملأ رأسي بنفس الطنين المعدني الثقيل. ثم سرعان ما بدأت بإطلاق النار على جرس الكنيسة اللعين كصبيٍّ مجنون يطلق النار على الدجاج. صرَختُ في الضباب مثل امرأة أثناء الولادة.

بعد حوالي 15 رصاصة دقَّ الجرس، تَردَّد إطلاق نار من نوع مختلف. ألقيتُ بنفسي على العشب الرطب، متجنِّبًا عاصفة من الرصاص تهبُّ مباشرة من الجحيم. في جزء من الثانية، تحطَّمَت جميع نوافذ الكنيسة إلى أشلاء.

بعد لحظات، انفجر المكان المُقدَّس برُمَّته في انفجارٍ أصفر كبير. لَكَمَ الحصى ظهري كمدلِّكةٍ بأصابع حديدية، وتَسبَّب حجر زاوية في انبعاج خوذتي. تُرِكتُ في شبه إغماءة. مَن قَتَلَ رجُلًا من الكنيسة تقتله الكنيسة.

لم أدخل كنيسةً منذ ذلك الحين. لأسابيع وشهور، تعرَّضَت روحي الشابَّة المريضة للتعذيب من صورة يسوع البالغ من العمر ثمانين

عامًا، والذي سقط مغشيًّا عليه على الأرض الحجرية. في كل ليلة كنتُ أدقُّ مسمارًا حديديًّا كبيرًا في ظهره وأُخرِجه من قلبه الذي انفجر ليصبغ عالمي بالكامل باللون الأحمر.

إنهم يعرضون فيلم "طرق جانبية"[1] على تلفزيون الطائرة، وأيضًا أشياء قديمة مثل ساينفيلد، وإعلانات قديمة مُكرَّرة لتصفيفات شَعرٍ غريبة الأطوار. كان ساينفيلد أمريكيًّا تقليديًّا في هذا المسلسل. شابًّا مضحكًا للغاية، لكن لم يكن لديه حِسٌّ بالأناقة. مُبتَذَل كبذلة تقليدية من تكساس. ملابس رديئة ونِكات لذيذة. هذا ساينفيلد بالنسبة لي. كنتُ أُفضِّل أن يكون العكس.

يقرأ الرجل الجالس بجواري إحدى نسخ مجلة "مونسترز" التي تبدو وكأنها واحدة من أفلام العصابات تلك (كم كتابًا يمكن أن يُكتب عن أولئك النَّقانق الصقلِّيِّين؟). من حينٍ لآخر يُهَمهِم بنَعَم أو لا للرَّجُل الأكبر سنًّا الجالس في مقعد الممر، والذي لا يَكفُّ عن ابتلاع الحبوب، لا بُدَّ وأنها مُنشِّطات؛ إذ يبدو أنه لا يسمح للبائس بقراءة كتابه دون أن يُمطِرَه بالأسئلة بلهجة غريبة.

اتَّضح أن الرجل الذي يتكلم أيسلنديٌّ، والرجل الذي يقرأ لاعب كرة سلة، وُلِد وترعرع في بويز بأيداهو، ولكنه الآن ينتقل إلى شنايفل ستيكولمر أو شيء من هذا القبيل- فريق صغير في الاتحاد الأيسلندي. آه... نعم. نسيتُ أن أذكر أن هذه رحلة طيران أيسلندية لغير المدخِّنين من نيويورك إلى ريكيافيك في أيسلندا. كانت هذه المفاجأة التي انتظرتني عند البوابة رقم 2، قد اتَّخذ منفاي منعطفًا شماليًّا.

بلمسة من سبَّابتي تتخلَّى شاشة الفيديو عن تسريحة شَعر ساينفيلد للحصول على خريطة معلومات: طائرة حمراء، بحجم بريطانيا تزحف ببطء فوق المحيط الأطلسي، وتتجاوَزُ شيئًا أبيض

(1) Sideways: فيلم أمريكي أنتج عام 2006.

يقـول الرجـل الثرثـار إنهـا جرينلانـد. أيسـلندا مـن ناحيـة أخـرى تبـدو خـضراء جميلـة. يسـتغرق الشـخص الثرثـار الدقائـقَ العـشر التاليـة لـشرح نظريتـه حـول هـذا الإشـكال: عندمـا اكتشـف الڤايكنـج النرويجيُّـون أيسـلندا قبـل عـام ألـف ميلاديـة، وجـدوا فيهـا رهبانًـا أيرلنديـين، وهـم مَـن أطلقـوا عـلى الأرض اسـمَ جزيـرة، أو أرض المسـيح، فقـد كان يسـوع "عيسـو/ إيسـو" في لغتهـم. ومـع ذلـك، حـوَّل الڤايكنـج اسـمَ المنقـذ إلى "أيـس"، أنـا سـعيدٌ لأنهـم فعلـوا ذلـك؛ وإلَّا كنـتُ سأسـافر إلى كرايسـتلاند.

"موافق، رائع. ماذا عن جرينلاند إذن؟" يسأل لاعب كرة السلة.

"أراد المسـتوطنون الأوائـل أيسـلندا بأكملهـا لأنفسـهم؛ لذلـك أطلقـوا عـلى الأخـرى اسـم جرينلانـد، بحيـث تذهـب الموجـة التاليـة مـن المهاجريـن إلى هنـاك وليـس إليهـم. كثـير مـن النـاس يقولـون إنهـا كانـت أوَّلَ خُدعَـة علاقـات عامَّـة في التاريـخ. حقًّـا يجـب أن يكـون العكـس. يجـب تسـمية جرينلانـد باسـم أيسـلندا وأيسـلندا بجرينلانـد".

رائـع. أسـافر باسـمٍ مُسـتعارٍ إلى بلـدٍ باسـمٍ مُسـتعارٍ. الأمـر ليـس سـيئًا للغايـة، لقـد سَـمِعتُ عـن أيسـلندا مـن قبـل.

ذهـب أحـد أصدقـاء ديـكان إلى هنـاك مـرة واحـدة مـن أجـل صفقـة مُربِحـة للغايـة. قـال الليـالي مُشرِقـة والفتيـات طويـلات. أم العكـس؟ إنهـا جزيـرة صغـيرة (آه حسـنًا، إنهـا أكـبر مـن كرواتيـا مرَّتَـيْن) في وسـط شـمال المحيـط الأطلـسي.

تُظهِـر مجلـة رحلـة الطـيران أراضي هلاليَّـةً ووجوهًـا سـاطعة. الصخـور الطحلبيـة والسُّـترات الصوفيـة الضبابيـة. يقولـون إن أيسـلندا بـلادٌ حديثـة وسـاخنة، ولا تـزال نَشِـطةً للغايـة، وتهتـزُّ مـن الانفجـارات والـزلازل يوميًّـا تقريبًـا، مـع غليـان المـاء والحمـم البركانيـة التـي تتفـكَّك عـبر السـطح. أتسـاءل مـا الـذي جـاء بالقـسِّ ديڤيـد فرينـدلي لهـذا المـكان البعيـد؟ هـذا أنـا، هـذا هـو. عـليَّ أن أبـدأ في التفكـير مثـل القـسِّ. بـارك اللـه روحـي.

أحـاول مـرَّةً أخـرى أن أعـثر عـلى الوضـع الصحيـح لسـاقيَّ اللتـين تؤلمانـــي.

لـدى كل المضيفـات أجسـادٌ لطيفـة، ويتحدَّثـن الإنجليزيـة بثقـة فائقـة. فتيـات مُشرِقـات، ليـالٍ طويلـة. نعـم، هكـذا كان الأمـر. يبـدو أن المظهـر الأيسـلندي عبـارة عـن مزيـجٍ بـين چوليـا سـتيلز وڤيرچينيـا مادسـن[1]. وجـوه عريضـة، وجنتـان غائرتـان، عيـون ميتـة وشـفاه بـاردة. قدَّمَـت لي إحداهـن صينيَّـةَ طَعـامٍ ومنَحَتنـي ابتسـامةً بريئـة كـما لـو أنهـا تُلاطِـفُ جـروًا. حتـمًا بسـبب طـوق الكلـب اللعـين الـذي أرتديـه.

لم أَعُـد رَجُـلًا. أنـا كاهـن. هـذا مـا تفعلـه تلـك الياقـات، تُبعِـد الخطيئة. أو تبقيهـا كلهـا في الداخـل. يبـدأ عقـلي في التحـرُّر مـن مونيتـا وأنـا أحـاول تخيُّـل نفـسي في الفِـراش مـع إحـدى تلـك الحوريـات الشـماليات. لا أفلـح. مونيتـا لهـا اليـد العليـا. أفتقـد بشرتهـا الناعمـة بالفعـل.

إنهـم يجعلونـك تدفـع مقابـل الطعـام. أجـد بعـض الفواتـير المقدَّسـة في محفظـة فرينـدلي وأرسـل لـه خالـص شـكري. اكتشـفتُ أن مـذاق طعـام شركات الطـيران ليـس أفضـلَ حتـى عندمـا تدفـع ثمنـه. ربمـا تتوقَّـف بَراعِـمُ التَّـذوُّق لديـك عـن العمـل عـلى ارتفـاع خمسـة آلاف قـدم. فجـأة يرفـع المتـذاكي صوتـه كـما يرفـع كأسـه مـن النبيـذ الأحمـر ويبتسـم إذ يقـول لي وللاعـب كـرة السـلة "سـكال!"[2]. في البدايـة، أعتقـد أنـه كان يـشرب نَخْـبَ تسريحـة شَـعري الجديـدة، لكنـه أوضـح أن هـذه هـي النسـخة الأيسـلندية مـن "نَخْبـكَ!" اعتـاد الڤايكنـج عـلى الاحتفـال بانتصاراتهـم عـن طريـق مـلء أدمغـة ضحاياهـم بالنبيـذ.

أحبُّ هذا البلد بالفعل.

---

(1) مُمثِّلتان أمريكيتان.

(2) Skal: تعنـي "نَخبَـك"، لكـن الكاتـب يتعمَّـد تحريفهـا مـن الكلمـة الأيسـلندية الأصليـة إلى "Skull"؛ لتعنـي جُمجُمَـة.

بعد العشاء أحاول النوم. أحتاج حقًّا إلى قيلولة ما بعد القتل. لكن يبدو أنني الوحيد الذي يريد أن يغلق عينيه. يصيح الڤايكنج من أجل جمجمة كونياك أخرى. ثم بدأ الكابتن يضبط صوته عبر الإرسال. وضبط صوته الأجشّ إلى أقصى حدٍّ في مُكبِّرات الصوت العلوية. كما يفعل كل زملائه في جميع أنحاء العالم، يتحدّث باللغة الجوية، لغة السماء البائدة.

هذه المونولوجات في قمرة القيادة تبدو لي دائمًا مثل صلاة لاتينية، تطلب الإذن من الله لعبور حديقته. مدّة هذا المرور أربعة عشر دقيقة.

أغمِض عيني. أن تكون فريندلي[1] هو طَوقٌ حديديٌّ حول رقبتي.

يمكنني سماع المضيفة تأخذ طلب شرابٍ آخر خلفي من اثنين من الڤايكنج السُّعداء. وفي الممر، قامت مجموعة من النساء السمينات بشرب كميات كبيرة أعادتهنّ إلى أيام المدرسة الثانوية. يبدو أن الأيسلنديين مرتبطون بالروس، الذين لا يستطيعون مغادرة وطنهم الأم دون أن يثملوا حتى النهاية، ولا يعودوا إليه أبدًا بكامل وعيهم. يدفعني هذا للتفكير في إيڤيكا العجوز، الذي كان يعيش في شارعنا في سبليت. كان يخاف من زوجته للغاية لدرجة أنه لم يُشجّعه شيءٌ على النزول إلّا الشُّرب كلما أراد مغادرة المنزل، ولم يجرؤ أبدًا على العودة ما لم يفقد وعيه سُكرًا.

"سكال!" "سكال!" أسمعهم يقولون ورائي، في كل مكان حولي. أتخلى عن النوم وأفتح عيني الكهنوتية. الآن حان وقت البيع. لقد حوّلوا الطائرة إلى مركز تجاري طائر، حيث تنشغل جميع المضيفات بتشغيل بطاقات الائتمان وتوزيع النظارات الشمسية وربطات العنق الحريرية.

(1) Friendly: أيضًا تعني ودود.

لم أرَ ذلك من قبل، ولا حتى على متن طيران إيروفلوت[1]. يبدو أنه مزيجٌ فعَّال ولكنه مميت: الشُّرب والتسوق. أفكِّر أن سلسلة متاجر ماسي وبلومينجديلز حتمًا لديهما ثلاثمائة ألف حانة مفتوحة في أقسام الرجال والنساء. أو ربما لا توجد متاجر في أيسلندا؟

بالرغم من صلاة الطيار، استمرَّت الملائكة في قرص ساقيَّ ولَكْم ضميري الذي حسبتُ أنني فقدته. عادةً لا تحمل مهنتي أي آثار جانبية، مع ذلك أشعر بالتعب بعد أي عملية. قيلولة ما بعد القتل أقرب إلى قيلولة ما بعد الجنس. بالرغم من قِلَّة الجهد البدني (إنها تفضل دائمًا أن تكون فوقي)، فالإنجاز الداخلي يتطلَّب القليل من الراحة.

أتخلَّص أخيرًا من التَّسوُّق الثمل لزملائي المسافرين، وأخلد إلى النوم مع مونيتا فوقي- كُرَتاها المُدهِشتان تتقافزان، وشَعرُها الأسود الطويل يدغدغ صدري المنتفخ كطرف لحية الإله البيضاء الطويلة إذ تُلامِس روحي المريضة.

(1) Aeroflot: الخطوط الجوية الروسية.

4
"القشّ فريندلي"

2006/05/16

يوقظنـي الهبـوط. إنـه أمـرٌ قـاسٍ مـع اهتـزاز الطائـرة في كل مـكان، مـن المقدِّمـة إلى الذيـل.

بعـد فـترة طويلـة مـن مُلامَسـتها الأرض يـرنُّ صـوتٌ مُبهِـر ومثـير عـبر السَّـمَّاعات، باللغـة القمريـة أوَّلًا، ثـم باللغـة الإنجليزيـة، يرحِّـب بنـا في درجـة حـرارة محلِّيَّـة تبلـغ ثـلاث درجـات مئويـة.

أعتقـد أن أيسـلندا هـي الاسـم الصحيح بعـد كل شيء. الصـور لم تكذب. تبـدو مثـل القمـر. لا شيء سـوى الحقـول الصخريـة الرماديـة التـي تعلوهـا الطحالـب والجبـال الزرقـاء الصغـيرة عـبر المـدى. ظنِّـي أنهـا حُمَـمٌ بركانيـة. حقـول الحُمَـم البركانيـة، هـذه جزيـرة بـركان.

منحتنـي المضيفـةُ ابتسـامةً أفلاطونيـة أخـرى إذ أغـادر الطائـرة. الممـشى مصنـوع مـن الزجـاج. في الواقـع، تبـدو المناظـر الطبيعيـة وكأنهـا

تصميمٌ ضخم لمجموعة أفلام حرب النجوم. أحاول دخول هذه الأرض الغريبة كزائرٍ عاديٍّ، أحاول جاهِدًا أن أمشي مثل الرجل الذي قتَلتُه الليلة الماضية، وهو يتأرجح في حقيبته السوداء ككاهن سعيد، مرتديًا حذاءه الأسود بالكامل، وقميصه وسترته ومعطفه، بالإضافة إلى الياقة البيضاء. ولم أخلع الجينز؛ فأنا قسٌّ معاصر.

أتبع لاعب كرة السلة داخل المحطة. إنه صغير جدًّا بالنسبة لمهنته، أقصر حتى من ستِّ أقدام. ربما يشحنون جميع اللاعبين الصِّغار إلى بطولات الدوري الصغيرة. قال الرجل المتذاكي إن الأُمَّة الأيسلندية تبلغ ثلاثمائة ألف شخص وحسب. هل هذا قانونيٌّ حتى؟ بدا أن حيَّ ليتل إيطالي دولةٌ لها عَلَمها الخاص وكل شيء. إنهم فريق أولمبي صغير، حتمًا سيحصلون على الميدالية الذهبية في إطلاق النار أمام المطاعم.

يقودني لاعبُ كرة السلة إلى إدارة الجوازات، حيث اصطفَّ طابوران أمام قفص زجاجي يضمُّ ضابِطَيْن.

أحدهما لشعوب الاتحاد الأوروبي والآخر لبقية العالم. أحاول أن أتذكَّر ما إذا كانت روسيا عضوًا في الاتحاد الأوروبي عندما أدركتُ أنني أمريكي الآن. أنا فريندلي!

يتحرَّك الصَّفُّ بسرعة كبيرة. أقول لنفسي إن هذا سيكون سهلًا. أجد جواز سفر رَجُل الدين في جيب الصدر الداخلي لمعطفه الأسود، وأمضي نحو الكشك الزجاجي، وأسلِّمه إلى الضابط، وهو رجلٌ ذو بشرة داكنة ولحية رمادية. يفتح الجواز ثم يقول شيئًا بلُغَتِه، فأعطيه نظرةً فارغة.

وبينما يُكرِّر حديثه أدرك أنه يتحدَّث الروسية. اللعين يتحدث الروسية اللعينة.

"معذرة؟" أقول.

"ألا تتحدث الروسية؟" يسأل باللغة الإنجليزية.

"لا، لقد وُلِدتُ في الولايات المتحدة".

يحمل جواز سفري. "يقول هنا إنَّكَ وُلِدتَ في سمولينسك؟".

وفجأةً صارت جميع الأوردة في رقبتي سميكةً مثل الأوتار على جيتار "البيز" الكهربائي. اللعنة. أعطيته جوازَ سَفَرٍ خاطئ! أعطيته جواز سفر إيجور. أنا إيجور الآن، لستُ فريندلي. اللعنة، اللعنة الكبرى.

"إيه... نعم، حدث في الواقع، لكننا انتقلنا... انتقل والداي إلى أمريكا عندما كان عمري ستة أشهر، وهكذا، في ذهني...".

"إذن أنت تعيش في أمريكا منذ ذلك الحين؟".

"آه نعم.. نعم.. بالضبط".

أشعر بالارتياح.

"لكنَّكَ تتحدَّث بلكنة سلافية؟" يسأل اللعين. ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟ طريقة هذا الرجل مؤهلة جدًّا لوظيفته. أستاذ الفيزياء الروسي العادي الذي يعمل كضابط مراقبة جوازات السفر؟

"آه نعم، إنها قصة غريبة نوعًا ما. والداي... والداي... كنتُ أعيش بمفردي مع والدَيَّ طوال طفولتي، في أعماق الغابة، وتعلَّمتُ منهم اللغة. كانوا يتحدَّثون الإنجليزية بلهجة روسية قوية جدًّا... لكنة روسية قوية جدًّا".

نظر الضابط إليَّ لمدة ثانيتين طويلتين. ثم انحرَفَت عيناه إلى الياقة. "أنت قسٌّ؟".

يصعب فهم لهجته.

"آه... نعم. أنا القسُّ... القسُّ إيليتش".

أصبح الأمر سخيفًا.

"لكن هذا ليس مذكورًا في جواز السفر" اللعنة. إنه صربيٌّ لعين، عنيدٌ للغاية.

يطلب مني الانتظار ويترك كُشكَه الزجاجي. أسمع تنهُّدات مضطربة في الصف خلفي فلا أنظر إلى الوراء.

بعد دقيقة عاد إلى الكشك برفقة ضابط أكبر سنًّا يرتدي قميصًا أزرق. إنهم ينظرون إليَّ كزوجين مِثْليَّيْن يقومان بتجربة أداء مجموعة من ثلاثة أشخاص. أخيرًا، قال الأكبر سنًّا بلهجة عرفتها من الرجل المتذاكي والمضيفات: "أنت كاهن؟".

"نعم".

"ماذا تفعل هنا في أيسلندا؟ هل أنتَ هنا من أجل العمل أم...؟".

أخيرًا أجد صوت إيجور. روحه الأرثوذكسية الحقيقية.

"وظيفة القسُّ كلها مُتعَة، ولكن يمكنك تسميتها عملًا إذا أردتَ".

صاحب القميص الأزرق يبدو منبهرًا. نظر إليَّ للمرة الأخيرة، وسلَّم لي جواز السفر. قال لي: "حسنًا. إقامة سعيدة".

خراء! كيف يمكن أن أكون مُهمِلًا لهذه الدرجة؟ كيف يمكنني... أم لا. ربما كان هذا أكثر شيء صحيح يمكن القيام به. من المحتمل أن يكون الفيدراليُّون قد عثروا على جُثَّة القِسّ فريندلي الآن. كم سيستغرقون من الوقت للتعرُّف عليه؟ وعندما يفعلون ذلك، يُفضَّل ألّا يكتشفوا أن شخصًا ما يركب أمواج البحار الشمالية بجواز سفره. نعم، كان مجرَّد حظ.

أتابع تدفُّق الرُّكَّاب بشكل أكبر داخل مبنى المطار. هناك سجادة على أرضية الردهة، ويقطع الصَّمتَ الناعم صريرُ أحذية السيد فريندلي الجلدية. حذاء إيجور الرياضي موجودٌ داخل الحقيبة بجانب سُترَته الجلدية. وصلتُ إلى القاعة الرئيسية وأنا أتساءل ماذا أفعل.

***

أمضي إلى مكتب وأطلب رحلات طيران إلي فرانكفورت وبرلين ولندن، أي مكان غير هنا. ثمَّة رحلات طيران -كما تقول الأم الشقراء المثيرة- لكن تمَّ حَجزُها جميعًا. الموعد التالي المتاح هو ثلاثة أيام من الآن، إلى كوبنهاجن ثم إلى زغرب. أتساءل ماذا ستقول حقائبي عندما لا يطالب بها أحد. وجَدتُ بطاقة ڤيزا إيجور واشتريتُ له تذكرةً إلى وطن توميسلاڤ. ينظر السيد فريندلي إلى توكسيك إذ يوقِّع على اسم السيد إليتش. فجأة أصبَحَت حياتي البسيطة مُعقَّدة للغاية. كعكة هويَّات مُتعدِّدة الطبقات.

توصيني الشقراء الناضجة بالذهاب إلى المدينة وتعطيني عنوان فندق. تقول بابتسامة: "إنها أربعون دقيقة فقط بالحافلة". آه، حسنًا. أعتقد أن ثلاثة أيام في أرض الڤايكنج لن تؤذي. ومع ذلك، فإن ثلاثة أيام بدون مُسدَّس ستكون صعبةً على توكسيك.

ينقلني سُلَّمٌ متحرِّك عبر رحلة أخيرة، وأمشي عبر صالة الأمتعة المزدحمة. بوابة الخروج مُقسَّمة إلى قسمين: واحدة لمن لديهم ما يصرِّحون به، وأخرى لمن ليس لديهم. تسألني هويتي الأخيرة عمَّا إذا كان يجب عليَّ ألَّا أغتنم هذه الفرصة لأعلن أنني مُذنِب بارتكاب سبعٍ وستِّين جريمة قتل، لكنِّ أطوِّح بكل الملائكة بعيدًا مثل سحابة بعوض.

تنتظرني مفاجـأة خـارج بوابـة الخـروج. في منطقـة الاسـتقبال الصغـيرة، يقــف رَجُـلٌ ذو شَـعرٍ ناعــم وامـرأة ذات شـعر كثيــف، يحمــلان لافتــة تقـول: الأب فرينـدلي. لا أشـعر بالاتِّسـاق مـع نفـسي (أعتقـد بسـبب تعـدُّد الـذوات) أرتكــب خطــأ فادحًــا إذا توقَّفــتُ أمــام اللافتــة اللعينــة، وأنــا أرتـدي الياقـة اللعينـة! سـيفهمون عـلى الفـور.

"السيِّد فريندلي؟" تبتسم المرأة وتتحدث بلهجة مألوفة أكثر فأكثر.

أنــا عــلى وشــك أن أُنكِــر، لكــن رأيــت فجــأة شرطيَّــين يقفــان عــلى مسـافة أبعـد في الصالـة، بالقـرب مـن المخـرج؛ لـذا قبـل أن أطلـق شـفتي، تســتحيل "لا" إلى نعــم. وانتهــى أمــري، ســأُجبَر خــلال الســاعات القليلــة القادمــة عــلى أن أكــون فرينــدلي اللعــين.

ها هو القاتل يصبح ضحيَّته.

"أنــا مــسرور جــدًّا لرؤيتــك يــا ســيد فرينــدلي. هــل كانــت رحلتــك جيــدة؟"

يسـألني الرجـل بلكنـة أيسـلندية قويـة جـدًّا. ألاحـظ أسـنانه السـيئة عندمـا يبتسـم.

"نعـم، نعـم، كانـت جيـدة" فجـأة أكـره لهجتـي. ليسـت مـن ڤيرجينيـا بمـا يكفـي عـلى مـا أعتقـد.

"بالـكاد تعرَّفـتُ عليـك!" تقـول المـرأة "تبـدو أصغـرَ حتـى مـن صـورك عـلى موقعـك الإلكـتروني". دائمًـا ابتسـامة كبـيرة.

لديَّ مَوقعٌ إلكتروني؟

"حقًّا؟ أنتِ... رأيتِني هناك؟" أغمغم.

اللعنة. أنا قاتِلٌ مُحتَرِف ولستُ جاسوسًا.

"نعم بالطبع!" تستمرُّ المرأة. "لكننا لم نشاهد برنامجك التلفزيوني".

إلهي. لديَّ برنامج تلفزيوني؟ أوَدُّ أن أرى ذلك.

أقول: "لن ترغبي في رؤية ذلك".

"أوه؟ بالطبع! نَودُّ أن نرى ذلك!" يصيح كلاهما بصوت عالٍ مثل الأطفال الذين يتناولون الحلوى. إنهم مجموعة سعيدة. أعتقد أنها إرادة الله. يقدِّمون أنفسهم، أسماؤهم لا تُصدَّق. إنه جودموندور[1] (حتمًا اسمه المسرحي) واسمها أقرب إلى سيكريدر[2]. أتساءل ما هي ألقابهم الأمريكية: جو وسي؟ فحتَّى "تومو" كان طويلًا جدًّا على الأمريكان. كلَّما زاد عدد الأشخاص، كلَّما قَصُرَت أسماؤهم، وكلَّما قَلَّ عدد الأشخاص، كلما طالت الأسماء.

فجأة نظَرَت إليَّ سيكريدر وسألتني: "أليس لديكَ أيُّ أمتِعَة أيها الأب فريندلي؟".

أتوقَّف للحظة.

"كلَّا. الكلمة هي متاعي الوحيد".

يضحكون مثل الهامستر الكرتوني السعيد. أشعر كأنني مُمثِّلٌ قام للتَّوِّ بخطوة مُهِمَّة في تطوير شخصية جديدة. هللويا!

إنهم يعبرون بالأب فريندلي لما بعد الشُّرطيَّيْن (أعطيتُهم نظرةً مُبارَكَة) ويخرجون إلى ساحة انتظار السيارات حيث الجو بارد مثل الثلاجة. وأنا الذي كنت أتطلَّع إلى نبع البحر الأدرياتيكي، وأن أُروِّح عن نفسي على نهر ريفا، وأرتشف البيفو[3] وأراقب المؤخِّرات

(1) Goodmoondoor: يتعمَّد الكاتب العبَثَ بالأسامي الأيسلندية الأصلية؛ إشارةً إلى صعوبة نطقها، فيكتب أقربَ نُطقٍ انجليزيٍّ لها، والترجمة الحرفية لهذا الاسم كما نطقه الكاتب هي باب القمر الطيب.

(2) sick reader: أو القارئة المريضة.

(3) Pivo: البيرة بالكرواتية.

المشدودة بسراويل الجينز بإحكام، مع صوت كعبٍ عالٍ يخطو على بلاط الحجر الجيري الأبيض. آه، فتيات سبليت[1].

لكن لا. بدلًا من ذلك، أقف في موقف سياراتٍ قُطبيٍّ أجمع كلَّ قشعريرة تنتابني، وأراقب انعكاس نفسي الجديدة الصَّلعاء في نافذة سيارة لاند كروزر فضِّيَّة (يمكنني في الواقع، أن أنجح في كوني كاهنًا)، يشير اثنان من الغُرَباء إلى أنه يجب عليَّ أن أركب السيارة.

أخبروني أن السيارة قد بارَكَها بالفعل وجود بيني هَن العظيم[2]. يبدو أن جودموندور وسيكريدر على قائمة الإنجيليِّين المحترفين. يديرون قناة تلفزيونية مسيحيَّةً مَحلِّيَّة صغيرة تُسمَّى آمين. بعد دقائق، كنَّا ننزلق في حديقة القمر بينما يتولَّى جودموندور القيادة.

"لدينا العديد من البرامج التلفزيونية المسيحية من أمريكا. بيني هن بالطبع، وكذلك چويس مايرز وچيمي سواجارت وديڤيد تشو. ولدينا أيضًا عرضنا باللغتين: الأيسلندية والإنجليزية أيضًا. نحن على شاشة التلفزيون كل ليلة، أنا وزوجتي. أحيانًا نكون معًا وأحيانًا كلٌّ بمفرده. سترى".

هذا هو جودموندور، يتحدَّث بإنجليزيته البدائية، وتجلس زوجته حَسَنةُ المظهر بجانبه وتبتسم لي في المقعد الخلفي. يكمل زوجها:

"إذن، عمَّ ستتحدَّث الليلة؟ أي نَصٍّ ستتحدَّث منه؟".

"حسنًا... الليلة؟" أسأل.

"نعم. ستكون ضيفًا خاصًّا في برنامجي الليلة".

"على التلفاز؟".

---

(1) Split ثاني أكبر مدن كرواتيا.

(2) Benny Hinn: واعظ ديني تلفزيوني وُلِد في يافا.

"نعم!" يضحك بكل أسنانه الملتوية، تقريبًا مثل المجنون.

"آه... فهمتُ. ظنَنتُ أنِّي...".

لقد أنقذني هاتفي المحمول. كُتب على الشاشة "نيكو" وبدون تفكير أُحيِّيه بالكرواتية: "بوك". نيكو هو المساعد الشخصي لديكان، الرجل الثاني. يسألني أين أنا، فأخبرته بالحقيقة المذهلة، حتى حقيقة أنني أجلس في سيارة فرقة نجوم مسيحية في طريقي إلى أول قُدَّاس تلفزيوني.

أخبرني أن الهبوط هنا ليس سيئًا للغاية في النهاية (هل يعرف حتى أن أيسلندا بَلدٌ؟) لأن الأمور تزداد جدِّيَّة بعد الإخفاق الكبير. يقول: "لقد أفسَدتَ الأمر بشكل سيئ يا توكسيك". ذهب بالفعل الفيدراليون الغاضبون[1] -كما يُسمِّيهم- إلى المطعم، واقتحموا بيتي أيضًا. حتى إنهم زاروا والدتي هذا الصباح، في متجرها الصغير لبيع الأجهزة في قلب مدينة سبليت، وكسروا ذراعها. يقول نيكو إن ديكان غاضبٌ حَدَّ الإخصاء. "إذا كنتَ في أيسلندا اللعينة، فابقَ هناك!" يصرخ. "لا تذهب إلى زغرب أو سبليت ولا تأتِ إلى هنا! فقط ابْقَ في مكانِكَ و أ.ق.أ".

كما ذكرنا، هذا اختصار لـ "اختَبِئْ قدرَ الإمكان". أتساءل ما إذا كان برنامج جودموندور التلفزيوني يندرج ضمن هذه الفئة.

عندما أغلَقتُ هاتفي المحمول، التفَتَت سيكريدر نحوي مرَّةً أخرى تسألني عن اللغة التي استخدمتها للتَّوِّ. أقول "إنها كرواتية"

"أوه؟ إذن أنت تتحدَّث الكرواتية؟".

"نعم، لدينا بعض الكروات في كنيستنا".

(1) Fed-ups من Fedrals.

"من أين أنتَ في الأصل؟" يسألني هذا السائق جود مون[1].

"في البداية كُنَّا جميعًا أبناء الله" كم أنا بارع. "ولكن إذا كنتَ تسأل عن لهجتي، فليست هذه الأصلية، يمكنك أن تقول إنني كنتُ مبشِّرًا لسنوات عديدة في جمهورية يوغوسلافيا السابقة".

"أوه حقًّا؟" يتساءل كلاهما.

"نعم. نشر كلمة الله الطيبة في دولة شيوعية. كان ذلك خِراءً صعبًا يا رَجُل. أعني خراء مُقدَّسًا قاسيًا. وكوني أمريكيًا هناك، يا رجل، كان ذلك انتحارًا صريحًا. كان عليَّ أن أتَّخِذ اسمًا آخر وأن أتخلَّص من لهجتي الأمريكية تمامًا. أطلقوا عليَّ توميسلاف، توميسلاف بوكشيتش. في الوقت الحاضر يعتقد الجميع أنني من هناك. لكن لا، أنا أمريكيٌّ مائة بالمائة. لديَّ حتى أقراص مُدمَجة لكلاي أيكن[2] في المنزل. في الواقع، عاشت عائلة فريندلي في فرجينيا منذ القرن الثاني عشر".

اعتَقَدتُ أن هذا مُبالَغٌ فيه. "معذرة، منذ القرن الثامن عشر".

يستقبلون كل شيء بابتسامة. أشعر بنبضة -جنبًا إلى جنب مع دقَّات قلبي مباشرة- خرَجَت من فيلم إثارة ما، وذلك قبل أن تسأل المرأة: "كم عُمرُكَ أيُّها الأب فريندلي؟".

"أنا... وُلِدتُ في العام خمسة وستين، هذا يجعلني... آه... أربعين".

"لقد كنتَ صغيرًا جدًّا عندما كنت في...".

"في يوغوسلافيا؟ نعم بالتأكيد. أنا متأثِّر بها بشدَّة. لقد مرَرتُ ببعض الأوقات الصعبة حقًّا هناك".

(1) اختصارًا لاسمه: Goodmoondoor

(2) مغني وممثل أمريكي ولد عام 1978

إنـه صبـاح مُـشرِق وبدايـة شـهر مايـو. أعنـي في الصبـاح الباكـر مـن أوائـل شـهر مايـو، والشـمس عـلى وشـك أن تُـشرِق مـن خلـف الجبـال التـي أمامـك. سـماؤهم لا تحتـوي عـلى غيـومٍ عـلى الإطـلاق، وعـلى الجانب الأيـسر، يحافـظ المحيـطُ عـلى الأمـواج تحـت سـطحه الرمـادي والأخـضر.

مـا زال المشـهد يبـدو بـاردًا كـما هـو. قـد يبـدو القُطـبُ الشـماليُّ مثـل مسـيرة الغـرب الأوسـط. هنـاك بعـض المنـازل الشـاغرة منتـشرة عـلى طـول السـاحل. يخـبرني مضيفـاي أنهـا "منـازل صيفيـة"، لديهـم صيـفٌ هنـا إذن.

اسـتغرَقَت الرحلـة خمـس سـاعات، وكان فـارق التوقيـت متماثـلًا تقريبًـا: مـرَّت ليلـة كاملـة مـن مرحـاض في مطـار چـون. ف. كينيـدي. كان قتـل فرينـدلي هـو أول جريمـة قتـل باليـد لي منـذ ذلـك الصَّبـيِّ ذي الشَّـارِب في كينـين. لقـد اسـتخدَمتُ يـدي، وهـي خدعـة تعلَّمتُهـا مـن الرفيـق بريزميتـش، الأقـدم في كتيبتنـا، المحـارب المخضرم في الحـرب العالمية الثانيـة، ذي الخياشـيم الكبـيرة والخدَّيْـن الغائريـن. اعتـاد أن يقـول: "الأمـر أشـبه بإطفـاء شـمعة، يعتمـد كلُّ هـذا عـلى الموقـع والسُّرعـة. الإنسـان هـو الشـمعة، والحيـاة لهبهـا. أطفِـئْ اللَّهـبَ وسـوف يمـوت".

بريزميتش قديم وبارع. قطعوا ثديَيْ زوجته وأجبروه على أكلهما.

يوجـد مُلصَـق عـلى ظهـر مقعـد السـائق. إنـه باللغـة الإنجليزيـة: "وَيلٌ للقائلـين للـشَّرِّ خَـيرًا، وللخـيرِ شَرًّا، الجاعِلـين الظـلام نـورًا، والنُّـورَ ظلامًـا، الجاعلـين المُـرَّ حُلـوًا، والحُلـوَ مُـرًّا (إشـعياء 5:20)".

أوه يـا رجـل! أخـيرًا تـشرق شـمس السـاعة السادسـة مـن حافـة الجبـل الحـادَّة. مثـل دجاجـة مُشرِقـة مـن بيضـة زرقـاء... تـضيء الطريـق.

"نحـن نسـير في طريـق النـور!" يقـول جودمونـدور ويتَّجـه نحـوي بابتسـامة كبـيرة وسـعيدة. "طريـق النـور!".

5

جانهولدر[1]

2006/05/16

يدعونني للبقاء في منزلهم. "لم نسمح لنزلائنا بالبقاء في الفندق أبدًا. بيتنا هو بيتك" يؤكّد لي جودموندور فأشكره. إنها ڤيلًا صغيرة في الضواحي على طابقين مُشمِسَين، في حيٍّ يُسمّى جارد ذا بير[2] أو شيء من هذا القبيل، يقع بين وسط المدينة والمطار؛ لذلك ما زلت لم أر ريكياڤيك الشهيرة التي قرأت عنها على متن الطائرة: "المدينة الأكثر سخونة في أوروبا، العاصمة الرائعة".

يبدو أن هذا هو المكان الذي يتّجِه إليه تارانتينو إذا أراد استغلال شهرته. من حُسن الحظ أنه لم يكن بجواري في الحمّام؛ فحينها كنت

(1) Gunholder: تعني حرفيًا: "حامل المسدّس".

(2) Guard-the-beer: يُحرّف الكاتبُ الأسماء عن عَمدٍ بما يتوافق مع لحن الكلمات.

سأدخل المدينة في سيارة ليموزين بيضاء، مع سلسلة ذهبية حول رقبتي وجواز سفر درجة شديد الأهمية الخاص به في جيبي، وألوِّح من النافذة للفتيات الصغيرات اللاتي اصطففن على جانب الطريق حاملاتٍ مُلصَقات قديمة لفيلم "خيال رخيص"[1]. بدلًا من ذلك، عُرِضَ عليَّ مقعدٌ في مطبخٍ صامتٍ في الضواحي، بلا نساء في الأفق.

تُعِدُّ سيكريدر طاولة إفطار رائعة مع القهوة والخبز المحمَّص وبيضتين مسلوقتين تجعلني على الفور أفكِّر في خصيتَيْ ديكان اللتين يُهدِّدهما غضبه. ماذا يقصدان بحقِّ الجحيم بأنه كان خطئي؟ إخفاقي اللعين؟ لقد قتَلتُ الرَّجُل المناسب. ثم اتَّضح أنه كان من مكتب التحقيقات الفيدرالي. هذا ليس خطئي، بل يَحِقُّ لي أن أغضب أنا منهم.

قال جودموندور بعد جلوسنا: "إذا سمحت أيُّها الأب فريندلي، إننا نطلب من كل ضيفٍ أن يتلو صلاة".

"نعم بالطبع".

مرَّةً أخرى كم أنا نادم لأنني لم أقتل تارانتينو بدلًا من هذا القسّ. لكنه من ناحية أخرى لم يكن سهلًا أن أعبث بكاتبِ فيلم "خيال رخيص". نعم، أظن أنني محظوظ، فعلى الأقل الرَّجُل يُشبِهني قليلًا، على الأقل يعتقدون أنني هو. ظنِّي أن هذا تَخفٌّ أكثر من رائع.

موافق، ها نحن ذا، صلاة المائدة، أحني رأسي وأغمض عيني.

"إلهي العزيز، أيُّها العزيز الحبيب. شكرًا على هذا، هذا البيض. شكرًا لك على... شكرًا لك على وجود أشخاص ودودين... ودودين هنا. أشكرك على إرسالي إلى هذه الجزيرة الجميلة ومقابلة هؤلاء

(1) Pulp Fiction فيلم أمريكي أنتج عام 1994.

الجميلين... أولئك الطيِّبين الأخيار. أشكركم على إعطائي ملاذًا آمِنًا في بحر المشاكل، وكذلك الإفطار. آمين".

ليس سيِّئًا جدًّا. يُهَمهِمون بـ "آمينهم"، ثم يبتسمون مرَّةً أخرى. "هل لديك العديد من الأشخاص في مؤسَّسَتِك، أيُّها الأب فريندلي؟".

أفقد سيطرتي على الوضع هنا. بالصدفة يجيب توكسيك على السؤال: "حوالي أربعين".

"أربعون ألف؟".

"أربعون ألف؟ أوه، نعم حوالي أربعين ألفًا. أربعين ألف عضو مُسجَّل. لكن ينضمُّ إلينا الملايين من الأشخاص كلَّ أسبوع".

أُذكِّر نفسي بأن أطلب أحدث تقرير عن التقييمات عندما ألتقي بمُنتِج البرنامج الخاص بي في المرة القادمة.

بعد الإفطار أوصلوني إلى غرفتي في الطابق العلوي.

كأني عُدتُ إلى المدرسة الكاثوليكية. يوجد صليب مُعلَّقٌ فوق السرير وصورتان فوتوغرافيَّتان ليسوع المسيح على الحائط المقابل. كِتَّان أبيض، ستائر بيضاء، سجَّادة بيضاء. أخبروني أنني حتمًا مُرهَقٌ من الرحلة الطويلة. قلت: "بلا شك"، ثم اغتنمتُ الفرصة لإخبار جودموندور أنني لا يمكنني الظهور على التلفزيون الليلة.

"أنا آسف، لكن يجب أن أكون مرتاحًا تمامًا عندما أظهر في التلفاز. إذا أراد الله أن يتكلَّم من خلالي، فلا بُدَّ أن أكون فارغًا تمامًا من الداخل".

أتوقَّف قليلًا، نادمًا على استخدامي الكلمات الخاطئة. ينظر إليَّ مثل حيوانِ لاما تعَرَّض للخيانة: عيون كبيرة، أسنان طويلة، عُنقٌ مُشعِر. تهمس زوجته شيئًا عن اضطراب الرحلات الجوية الطويلة قبل أن أكمل:

"أعنـي، أنـا فقـط أقـول إنـه لا يجـب أن يعيقنـي شيء، بحيـث يمكـن أن تنتقـل كلمتـه مـن خـلالي. لا تعـبَ ولا شيء... يجـب أن أكـون دائمًـا في حالـة جيـدة جـدًّا للتلفزيـون".

قـال أخـيرًا: "لكـن، قلـت في برنامجـي إنـك سـتأتي الليلـة وتتحـدَّث إلى النـاس".

"أوه؟ هل فعلتَ؟".

"نعم، لا أستطيع الغِشَّ في وعدي لهم، إنهم مُخلِصون جدًّا".

يـا للمسـكين. يبـدو مُنفَطِـرَ القلـب. لكـن لا بُـدَّ لي مـن التفكـير في أ.ق.أ الخاص بي.

"كم عدد الأشخاص الذين يشاهدون العرض؟".

أعتقـد، بالنسـبة لرَجُـل تلفزيـون في بداياتـه، هـذا السـؤال إجابتـه نفـي. يُقطِّـب وجهـه كسـياسيٍّ يواجـه سـؤالًا صعبًـا، ويجيـب بضحكـة تلتمـس العُـذر.

"لدينا الكثير من الناس يشاهدون".

فَهِمـتُ، لديـه فقـط عـشرة مشـاهدين. "موافـق، سـوف نـرى، فقـط اتَّصِـل بي، بعـد الظُّهـر".

أنـا لا أعـرف مـاذا أفعـل بحـقِّ الجحيـم. أعطيـه رقمـي في مدينـة نيويـورك. يعطـي القـسُّ لزميلـه رقـمَ قاتـلٍ مُحـتَرِف. يقـول الرجـل الطيـب: "حسـنًا، هـذا جيـد". عـادت ابتسـامته ولكـن انحرفـت قليـلًا مـن الصَّدمـة التـي سـبَّبتُها لـه للتَّـوِّ. "يمكنـك البقـاء هنـا اليـوم والحصـول عـلى قسـط مـن الراحـة، البيـت بيتـك. علينـا أن نذهـب إلى العمـل الآن، في محطَّـة التلفزيـون".

أشاهدهم من نافذتي وهم يركبون السيارة الفاخرة رُباعيَّة الدَّفع. يبدو أن المؤمنين يمتلكون دائمًا أفضل السيارات. يعلم الله كيف يجازي شعبه، قَطْعًا يعرف أنك بحاجة إلى سيارة دَفعٍ رُباعيٍّ للوصول إلى الجنة. ترتدي زوجةُ الواعظ تنُّورةً ولها ساقان جميلتان. لو كانت المرأة الوحيدة في كتيبتنا وكُنّا عالقين في الجبال لمدة شهر، كنتُ سأبدأ أحلم بها في اليوم الثاني عشر.

بقيت وحدي في المنزل. على الرغم من الربيع الجليدي في الخارج، فإن الغرف دافئة مثل منتصف ليل يوليو في مِمفيس[1]. هذا هو المكان الذي أجرِيَت فيه عملية خرقاء تحت جسر قبيح. عندما يتعلَّق الأمر بالقتل، فأنا لست عنصريًّا، لكن إطلاق النار على السُّود لم يكن أبدًا هو المُفضَّل لديَّ. وهذا ليس جديدًا عليَّ.

أَنخَلِعُ إلى نفسي الحقيقية، سعيدًا بالابتعاد عن ياقة الله، وقميص فريندلي، وچينز إيجور، وأزحف إلى الفِراش. كم هو وثير ودافئ، وكم هو مكان هادئ بشكل لا يُصدَّق، يكاد يكون أكثر من اللازم. إنه أعلى صمتٍ سَمِعتُه. أدرك أنني أعيش في ملهى ليليٍّ منذ عَقدٍ أو نحو ذلك، والآن خرجتُ أخيرًا. أنا أمزح. لا يوجد صوتٌ على الإطلاق لسماعه. إنه صامِتٌ مثل الجمجمة الصربية التي تضعها والدتي على الرَّفِّ فوق سريرها.

ثم فجأة غمَرَت أشعَّةُ الشمس الغُرفةَ. غرفة بيضاء، شمس مُشرِقة. لو استيقظت هنا، في هذا الصمت المشمِس، مستلقيًا على سرير من الريش الناعم، مع ملاءات نظيفة ومُمَوَّجة، وصورة مُوقَّعَة للرَّبِّ على الحائط المقابل؛ سأعتقد أنني ميِّتٌ ودخَلتُ الجنة. لكن بالطبع لن أذهب إلى هناك أبدًا. أنا عالِقٌ في زحامٍ مروريٍّ على الطريق السريع المؤدي إلى الجحيم.

(1) Memphis: مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية.

اللعنة. الصمت شديدٌ لدرجة أنني لا أستطيع النوم. بالنسبة لرَجُلٍ عاش في ضوضاء طوال حياته، حيث كانت تُهَدهِدُه للنوم قنابل شيتنيك[1] ومصارِفُ حَيِّ سوهو؛ من الصعب أن يتحمَّل ذلك.

أستسلم وأذهب إلى الطابق السُّفليِّ، أتجوَّل في المنزل ببطن خنزير يبرز فوق اللباس الداخلي الأسود من كالفن كلاين. صباح جَبَليٌّ جميل يملأ كل نافذة، النور قارس وبارد وقويٌّ للغاية، الجليد والشمس. ينتابني هذا الشعور السياحي: المفاجأة الغبية التي تواجهها عندما تدرك أنها الشمس ذاتها تشرق هنا أيضًا على مدار المليون سنة الماضية.

هنا أيضًا، في هذه المدينة الواقعة أقصى الشمال، كان الناس يستيقظون وينامون لقرون.

أتذكَّر عندما عُدتُ لأول مرة إلى سبليت بعد أربع سنوات في مدينة نيويورك، وصُدِمتُ عندما رأيتُ أن والدتي قد تقدَّمَت في العمر. كنتُ غاضبًا منها تقريبًا، وكأنها قد خانتني، وبدأت أتحدَّث معها عن تقنيات الترطيب والاستمناء. أعتقد أنني لم أُخلَق للسَّفر، أنا رَجُلُ المكان الواحد. ما كان يجب أن أغادر سبليت. ولكن عندما تقاتل بشدَّة من أجل شيء ما؛ تعجز عن الاستمتاع به. أعتقد أنني كنتُ سأظلُّ في كرواتيا إذا لم يُطلَق عليها اسم كرواتيا.

المنزل مليءٌ بالأشياء الفاخرة، وهذا النوع من الأثاث الموجود في متاجر الأثاث الفخمة.

أريكة سوداء كبيرة مليئة بالوسائد تملأ ركن التلفزيون، وطاولة الطعام تلمع مثل قطعة من البورسلين، وكل نافذة مزدحمة بالمزهريات

---

(1) Chetniks: حركة قومية صربية قادت حرب عصابات في يوغوسلافيا حين احتلَّتها قوات المحور إبَّان الحرب العالمية الثانية.

والتماثيل. ينظر إليَّ القِدِّيس برنارد الصغير في عيني، برميل نبيذ مُعلَّق حول رقبته، ليتمَّ كسره في حالة الطوارئ إذا تخلَّى الله عنك.

تتميَّز الجدران برسومات حقيقية (بعض المناظر الطبيعية الوعرة في إطارات ذهبية) وجميع أنواع الأشياء المصنوعة للتعليق على الحائط- مثل يسوع صغير، وبعض الورود المجفَّفة، وهذا الشيء الياباني المُلوَّن الذي لا أعرف اسمه ولكنه يُستَخدَم لخلق الرياح حين لا يوجد نسيم.

ومع ذلك، تبدو غرفة المعيشة وكأن لا أحد يعيش هنا. تصلح أن تكون تركيبًا في المتحف الأيسلندي للحياة العصرية. بالإضافة إلى ذلك أرى أنها فاخرة بعض الشيء بالنسبة لأتباع المسيح الأتقياء. أشكُّ في أن أيًّا من الرُّسُل كان يمتلك شاشةَ تِلفازٍ مُسطَّحة كبيرة كهذه. ولكن على الأقل كل هذا طاهِرٌ طهارةَ ضَمير المخلِّص.

أقوم بتشغيل حوض الاستحمام لأتخلص من اضطراب الرحلات الجَوِّيَّة الطويلة، وأوقد التلفاز فقط لأستمتع بمُتعة فِعل المشاهدة. تُظهر الشاشةُ عشرةَ آلاف شخص يُغنُّون في انسجامٍ مَسيحيٍّ في إحدى الساحات الرياضية المُغطَّاة المتضخِّمة في الجنوب. "إلهنا إله رائع!" رائع جدًّا، يجب أن أعترف. المولودون حديثًا نشيطون للغاية، يصرخون مثل الأطفال حديثي الولادة. أنتقل إلى مسلسل الجريء والجميلة[1] حاوَلتُ أن أقرأ الترجمة، لكنها تبدو مَجريَّة بالنسبة لي.

في المطبخ، اكتشفتُ بعض الرسائل المُوَجَّهة إلى جووموندور إنجلبرتسون وسيجريور إنجيبيروك سيجورجارتاردوتير. تستغرق قراءة كلِّ اسمٍ حوالي دقيقتين. وبالعودة إلى غرفة المعيشة، أجِدُ بعض الصور العائلية في إطارات على خزانة كبيرة.

---

(1) The Bold and the Beautiful: مسلسل أمريكي أنتج عام 1987.

يبـدو أن لديهـم طفلـين. فتـاة وصبـي. تشـبه الفتـاة الصغـيرة ذات الشَّـعر الثلجـي أمَّهـا قليـلًا. لا يـزال المنـزل يبـدو خاليًـا تمامًـا مـن الأطفـال. ربمـا قامـوا بتخزينهـم بعيـدًا في بعـض المـدارس البطريركيـة الإعداديـة. أو تبرَّعـوا بهـم للعمـل التبشـيري في موزمبيـق. هنـاك صـورة جميلـة تُظهِـر جميـع أفـراد الأُسرَة في أمريـكا: أربـع ابتسـامات مُقدَّسـة في قُـدَّاس روديـو في الهـواء الطَّلـق.

بطريقـة مـا يُذكِّـرني هـذا بعمليـة رقـم 43. الرَّجُـل البديـن خـارج الكنيسـة في أتلانتـا. قطَعَـت رصاصتـي مسـافةً مُذهِلَـةً بـين مبنيَـيْن في المدينـة قبـل أن تدخـل رأسـه، واحـدة مـن أكـبر عملياتي. كان يرتـدي قُبَّعـة رُعـاة بقـر بيضـاء مصنوعـة مـن اللبَّـاد- نـوع الخامـة التـي تمتـصُّ السـوائل. حـين قُـدتُ سـيارتي نحـوه متجـاوزًا المشـهد بـدا الأمـر كلـه رائعًـا جـدًّا وهادئًـا وبريئًـا: لقـد سـقط رَجُـلٌ سَـمينٌ عـلى الرصيـف، لا شيء أكـثر مـن ذلـك. رَجُـلٌ سَـمينٌ بقُبَّعـةٍ حمـراء جميلـة.

المـاء في الحـوض سـاخِنٌ للغايـة. ميـاه بـركان. لا بُـدَّ لي مـن تبريـده قبـل أن أضـع جسـدي فيـه. أسـتلقي هنـاك لمـدَّة سـاعة بينـما يسـافر ذهنـي إلى المناطـق كثيفـة الأشـجار في جمهوريـة مونيتـا العزيـزة الحلـوة. مُستَخلَص البَظْـر بنكهـة الغابـة المُظلِمـة؛ يقطـر شـهوة عنيفـة تجـري عـلى أوراق سـميكة. ببـطء شـديد.

عنـد الميـناء، صادَفـتُ والـدتي واقِفـةً خـارج متجرهـا الصغـير، ترتـدي تنُّورتهـا الشـيوعية المُروِّعـة وبلـوزة مارلـين مونـرو، بجبـيرة بيضـاء عـلى ذراعهـا الأيمـن، وبقبضـة في يسراهـا، تـضرب الهـواء وتـصرخ في وجهـي: "هـذه المـرأة الأشـبه بدجـاج التَّنـدوري هـي مُجـرَّد مُتعَـة وليسـت شريكة! حـين تختـار زوجـةً، عليـك أن تجمـع بـين القلـب والعقـل. لكنَّـكَ لا تتحـدَّث إلى أيٍّ منهـم وتـدع قضيبـك يُقـرِّر! لقـد أحبَبـتُ والِـدَكَ لمـدة اثنـين وأربعـين عامًـا. أحبَّنـي هـو لمُـدَّة أربعـين. أول عامـين كان لا يـزال

يضاجع چوردانا، العاهرة الصربية. ولكن بعد ذلك سَئِم منها وأبقى قضيبه في المنزل بعد ذلك. أنت محظوظٌ لأنَّكَ وُلِدتَ بعد أن انتهت حياته الجنسية! وإلَّا لكُنتَ وُلِدتَ صربيًّا وقتَلَكَ أخوك في الحرب. دعني أقول لك: الشَّهوة لا تدوم! وحده الحب يفعل! أنت تحطِّم قلبي، وتُحطِّم ذراعي، وتُحطِّم كل وعودك. أخبِرني يا تومو، متى ستعود إلى دراستك؟".

درست هندسة المناظر الطبيعية لمدة عام ونصف في مدينة هانوڤر الرائعة بألمانيا. هناك قابَلتُ نيكو نيفولجا (المشاغب نيكو) الذي عرَّفني على عِلم الخداع. بدأ كل شيء بصفقات كوكايين صغيرة. ثم انتقلنا إلى تهريب المُخدِّرات والأسلحة النارية، وأخيرًا تعرَّفنا على فَنِّ التَّلاعُب بنتائج المباريات. مساء كل جمعة، نتناول العشاء مع حَكَم كرة قدم مختلف من أحد أعضاء الدوري الألماني في الدرجات الدُّنيا.

لم يكونوا أمتعَ شُرَكاء للعَشاء (كنتُ دائمًا أقوم بِكَيِّ قميصي في الليلة التي تسبق المباراة) لكن مشاهدة تمثيلهم في اليوم التالي لم تكن أقلَّ من إدمان. التَّبرُّع بركلات الجزاء والامتناع عن الأهداف الممتازة. اللاعبون غاضبون، والحشد غاضب. وكان كل هذا صنيعَ عَمَلِنا. كانت المناظر الطبيعية المعماريَّة في الخارج، والمناظر الطبيعية الاجتماعية في الداخل. وككرواتٍ أضفنا لمسةً إضافيَّةً إليها. سواء فاز الألمان اللعينين في المباريات الدولية ضدَّنا أو فُزنا بجميع المباريات في الدوري الألماني. وبعد ذلك قُمنا بجمع الأموال من يانصيب كرة القدم. كنَّا نفعل ذلك من أجل الوطن الأم. لقد دمَّر حَمقى المخلَّل الملفوف[1] نصفَ جيل جَدِّي.

أجلس بين الوسائد على الأريكة، مع منشفةٍ بيضاء مسيحية حول خصري، أتصفَّح القنوات التلفزيونية المحلية، عندما فُتح الباب

(1) Sauerkraut: تعني العُشب الحامض، ومشهور كفاتح شَهيَّة من المطبخ الألماني.

الأمامي فجأة، واندفعَت فتاةٌ شقراء في العشرينات من عمرها إلى الداخل. تتَّجه إلى المطبخ دون أن تلاحظ قاتِلَ أحلامها، وتبدأ في فتح كلِّ دُرج. تبدو في عَجَلةٍ من أمرها، فتكيل بالشتائم داخل كلِّ دُرج قبل أن تغلقه بضجَّةٍ كبيرة. "خراء!".

أخيرًا، هناك صمت. لا بُدَّ أنها سَمِعَت التلفاز، وبعد ثوانٍ تقف عند المدخل وتسألني شيئًا يبدو مثل:

"مَن... شاذ؟".

"معذرة".

فتحوَّلَت إلى انجليزيَّةٍ مثالية:

"مَن أنتَ؟ ما الذي تفعله هنا؟".

"أنا تو...- أنا الأب فريندلي. لقد وصلتُ للتَّوِّ هذا الصباح، من نيويورك. لقد أخبروني جودموندور وسيكريدر...".

"آها" تتنهَّد بلا مبالاةٍ وتختفي مرَّةً أخرى في المطبخ. هناك نجَّارٌ أصلع على الشاشة يقرأ من كتابٍ حتمًا هو الكتاب المقدَّس. يبدو أنه قد صنعه بنفسه. لا بُدَّ وأن هذه قناتهم. صحيح، الحرف "أ" يضيء في الزاوية العلوية. يجب أن يُسمُّوها "أومين"[1] بدلًا من "آمين".

هذا تلفزيون بكاميرا واحدة: نمط الحياة فيه ساكِنٌ، والنبات الميت في الخلفية، وبدلة النَّجَّار البولندي، والطريقة التي يُبعِدُ فيها نظره عن الكتاب فقط كل ثلاث صفحات (كما لو كان يتحقَّق من ضوء التسجيل الأحمر الخاص بآلة التصوير). كل هذا يجعل التلفزيون الحكومي الكوري الشمالي يبدو وكأنه قناة ترفيه إم تي في.

(1) Omen: بمعنى: نذير شؤم.

يـا للمسـاكين. لا يمكـن لمكانـة ديـكان كرئيـس عصابـة كبـير أن تتـأذَّى بظهـوري عـلى هـذه القنـاة الرديئـة. ووفقًـا لتعبـيرات وجـه النَّجَّـار، فهـو يعلـم أنـه لا يتحـدَّث إلى أكـثر مـن عـشرة مشـاهدين.

أنهـض مـن الأريكـة، وأتأكَّـد مـن أن المنشـفة ضيِّقـة حـول خـصري، وأتَّجِـه إلى المطبـخ. أرخـي بطنـي الخجـول -فهـي دائمًـا مـا تُشـفَق عـلى مـرأى مـن الفتيـات الخطـيرات- قبـل أن تظهـر في المدخـل كإصـدارٍ حديـث ومُضخَّـم قليـلًا مـن أدونيـس. لا تـزال الفتـاة تبحـث في المطبـخ بسرعـة مثـل لـصٍّ.

"أتبحثـين عـن شيء؟" أسـألها بنـبرة أقـرب إلى الترنيمـة، وصـوت يشـبه صالـة الألعـاب الرياضيـة.

"بـلى، مفاتيحـي" تُتَمتِـم في الخزانـة. جسـدها نحيـف، وثديـان صغـيران، ومؤخِّرتهـا مشـدودة وصُلـبة كوسـادة هوائيـة منتفخـة بالكامـل. إذا كانـت المـرأة الوحيـدة في كتيبتنـا وكُنَّـا عالقـين في الجِبـال لمـدَّة شـهر؛ كنـتُ سـأبدأ بالحلـم بهـا في اليـوم الأول.

"مفاتيحُكِ؟ هل تعيشين هنا؟".

هـذا الكاهـن يتحـوَّل إلى معتـوه، أو مورمـون، أو أيًّـا كان. تديـر رأسـها وتنظـر إليَّ لفـترة مـن الوقـت. تنسـحب البطـن عـلى الفـور للاختبـاء، وتزحـف بطـول الطريـق إلى القفـص الصـدري. الـشيء الصغـير المسـكين. يبـدو أن الفتـاة تأسـف لبطنـي ولا يَسَـعُها إلا البحـث عنهـا، فتنزلـق عيناهـا إلى منتصفـي، وربمـا تتسـاءل عـمَّا إذا كان برنامجهـا يُدعِّـم الإصـدارَ المُحـدَّث مـن أدونيـس. في النهايـة أوشَـكَت أنفـاسي أن تنتهـي.

لكـن منحنـي هـذا وقتًـا لفحصهـا. شَـعرُها أكـثر مـن أشـقر، لهـا لـونُ الزُّبـدة الطازجـة في الثلاجـة، قبـل أن تصبـح طريَّـةً وصفـراء. تبـدو بشرتهـا ناعِمـةً بشـكلٍ لا يُصـدَّق، بيضـاء مثـل جبنـة فيلادلفيـا الكريميَّـة، لم يَمَسَّـها أحـدٌ في علبتهـا. الأنـف صغـير، مـع طـرف مُتَّجِـه لأعـلى يشـبه

الجـزء العلـوي مـن مخـروط الآيـس كريـم، الجـزء الأخـير الـذي يخـرج مـن الماكينـة والـذي تضعـه في فمـك أوّلًا. عيناهـا زرقـاء كمـشروبٍ ريـاضي، وشـفتاها السـميكتان تلمعـان مثـل شربـات الفراولـة.

ووه. خرجـت معـدتي مـن الاختبـاء وبـدأت في النَّحيـب مثـل طفـل يريـد تنـاول الحلوى. أوه يـا رَجُـل. إنهـا ليسـت مجـرَّد فتـاة اليـوم الأول؛ إنهـا فتـاة الفجـر.

"لا، أنـا لا أعيـش هنـا" أخـيرًا قالـت بتنهيـدة شـديدة مليئـة بالانزعـاج. "أنـا ابنتهـم، أضَعـتُ مفاتيحـي. لا أسـتطيع الدخـول إلى شـقتي. اللعنـة! يجـب أن أكـون في العمـل في العـاشرة ولا يمكننـي الذهـاب هكـذا!".

إنهـا ابنـة الواعِظَـيْن عـلى الرغـم مـن أنهـا تتحـدَّث مثـل ملكـة حفلـة موسـيقية وثنيـة، أو ملكـة إباحيـة. لغتهـا الانجليزيـة مأخـوذة مبـاشرة مـن قنـاة إم تي ڤـي، وتهـزُّ رأسـها مـع كلماتهـا في تقليـدٍ لِلُغَـة السُّـود. إنهـا تنتمـي إلى جيـلٍ موشـوم مـن أسـاتذة إزالـة الشَّـعر بالشَّـمع، نشـؤوا عـلى أغنيـة ثونـج[1]، أولئـك العازمـين عـلى تحويـل المَعِـدَة إلى "أثـداءَ جديـدةٍ".

يتـوَّج هـذا الفسـتان بالـذات بِسُرَّة مثقوبـة تتباهـى بـين بلـوزة رفيعـة ضيِّقـة وچينـز أنيـق للغايـة. تتشـكَّل أطـراف حذائهـا الأسـود مثـل الكعـب العـالي، وهـي تقطـع الهـواء بأظافرهـا البيضـاء الطويلـة أثنـاء حديثهـا.

"هـل يُفـتَرض أن تكـون المفاتيـح هنـا؟" أسـأل بطريقـة أبَويَّـة. "بـلى. قالـت أمـي إن لديهـا مفتاحًـا إضافيًّـا، ولكـن لا يمكننـي العثـور عليـه... سـحقًا!".

لقـد سـبق لهـا أن قالـت "اللعنـة"، وهنـا تـأتي كلمـة "س". لقـد أنجـب الزوجـان المقدَّسـان عاهِـرةً.

"لماذا لا تهاتفينها" أسألها.



(1) Thong: أغنية هيب هوب صدَرَت في 1999.

"إنهم يسجِّلون برنامجها الآن. هاتفها في وضع صامت".

يبدو أنها تتألَّم من شُهرة والدتها التلفزيونية. أُشفِق على الفتاة المسكينة وأقول:

"ربما يمكنني مساعَدتُكِ للوصول إلى بيتك".

"تقصد، بدون مفتاح؟ هل ستستخدم الصليب؟".

"قد نجرِّب ذلك. صليب وبَرَكة سريعة" أقولها بنبرة ودودة[1] تمامًا.

لقد سيطر عليَّ الكاهن تمامًا، فحتى وأنا عارٍ أبدو كرَجُل دينٍ. نظرت إليَّ بمفاجأة في عينيها الزرقاوين بينما أدخل المطبخ، وبدأت في البحث في الأدراج عن سِكِّين يُشبِه الخنجر السويسري الصغير الذي أحتفظ به في جيبي منذ أعطاه لي الرفيق بريزميتش على فراش الموت، طاولة مطبخ مُهتزَّة في منزل تَعرَّض للقصف في قرية ق.ك.م (قرية كلها موتى).

بفضل بن لادن، اضطررت إلى تركها ورائي في مدينة نيويورك. آه... ها! أعثر على بديل مناسب.

خرجنا وجلسنا في سيارتها السكودا فابيا المُستَعمَلة، أرتدي ثيابي الجديدة، وهنا أسألها عن اسمها.

"جانهولدر" أجابت وانطلَقَت في الشارع.

(1) يستخدم الكاتِبُ هنا اسم Friendly بشكل مُزدَوَج.

6
جزيرة ليليبوت

2006/05/16

تقود جانهولدر أعلى تَلَّيْن بالكاد يكسوهما العشب ومبانٍ قصيرة وقبيحة. تقترب من مدينة ريكيافيك. يبدو الاسم مثل دوبروفنيك[1]، لكنه أشبَهُ بمدخل سبليت، بكل الطُّرُق السريعة واللوحات الإعلانية بالإضافة إلى الملاعب الرياضية من حينٍ لآخر. (ألاحظ أن المدرجات بالكاد أكبر من المقاعد). تشبه هذه المدينة مَسقطَ رأسي، عندها انقسام في الشخصية: مركز تاريخي وضَواحٍ هيستيرية.

يبدو أنهم حصلوا على نصيبهم من الشيوعية هنا أيضًا. تصطفُّ مشاريع الإسكان الخرسانية على جانب الطريق تحيَّةً للماضي التوليتاري. اعتدنا أن نعيش في أحد تلك الوحوش الرمادية قُربَ استاد كرة القدم، قبل أن ننتقل إلى وسط المدينة، إلى مبنى أقدم من

(1) dubrovnik: مدينة في البحر الأدرياتيكي في جنوب كرواتيا.

مدينة نيويورك نفسها. أذكر أننا اضطررنا إلى ترك سيارتنا لأن الشوارع الضيقة في البلدة القديمة لا تُدعِّم أي حركة مرور للسيارات، ولكن كان أبي يصطحبني وشقيقي الأكبر داريو كلَّ أحد لزيارة يوجو القديمة الحبيبة، حيث لا تزال هناك ساحة سيارات في حينا القديم القبيح.

تعيش جانهولدر في وسط المدينة، بالقُرب من "البِركة"، وهي بحيرة بَجَع صغيرة بالقُرب من الميناء. ها نحن نعود إلى البرچوازية: منازل ذات أسقُف جَمَلونيَّة ونوافذ فرنسية تملأ المنحدرات المحاطة بالماء، وتُحدِّق فيها مثل الضيوف الفخورين في حفلة رأس السنة الجديدة يقفون في حلبة رقص فارغة. لكننا لم نَصِل إلى هناك بَعدُ.

لا تزال الفتاة تقود طريقًا سريعًا يُسمَّى "كيلينج ماي رابيت"[1] أو شيء قريب من ذلك. يبدو أن الأيسلنديِّين لديهم ذوق أمريكي أصليٌّ في تسمية الأشخاص والأماكن. أخبرتني جانهولدر أنَّنا قُدنا للتَّوِّ عبر بلدة تُسمَّى كابوور[2].

"ولكن هذه ريكيافيك؟" يسألها الأب فريندلي وهو يضبط الياقة الخشنة على رقبته السميكة بإحدى يديه بينما يشير إلى الزجاج الأمامي باليد الأخرى.

"نعم، نحن الآن في ريكيافيك".

"يقولون إنها مدينة تارانتينو؟".

أووبس. يبدو هذا مُتساهِلًا بعض الشيء بالنسبة لرَجُل كنيسة. أضيف بسرعة: "أعني، المدينة المُفضَّلة لتارانتينو؟".

(1) Killing My Rabbit: تحريف من اسم أيسلندي.

(2) Cop War.

نظـرت إليّ بسرعـة -مُتسـائِلةً عـمًا إذا كانـت تجلـس في سـيارة مـع واعـظٍ عِلمِلوچـي[1] شـهير، وهـو رَجُـلٌ يقـضي عطلاتـه في لعـب الجولـف مـع تـوم كـروز وچـون ترافولتـا- قبـل أن تقـول:

"بـلى. لقـد كان هنـا ليلـة رأس السـنة الجديـدة. صديقتـي تعرفـه، إنـه بخير".

كم أنا سعيد لأنني لم أقتله.

بعـد خليـجٍ يبـدو كجزيـرة، ثمَّـة جَبـلٌ طويـل يحـرس المدينـة في الشـمال. لـه شَـكلُ حـوتٍ عمـلاق تقطَّعَـت بـه السُّـبُل عـلى الشـاطئ. تحيـط بالمدينـة المزيـد مـن الجبـال شـمالًا وشرقًـا، مسـتلقيةً بطـول الأفـق مثـل النمـور الزرقـاء التـي تتناثـر فيهـا الثلـوج البيضـاء. يمكننـي أن أراهـا بوضـوح مثـل أطـراف حـذائي، بالرغـم مـن بُعدهـا بُعـدَ هامبتونـز عـن هـارلم[2]؛ وذلـك لأن الهـواء نظيـف كنافـذة بـرج ترامـب. المحيـط شـديد الزُّرقـة، ويمكننـي أن أرى أمـواج تتشـكَّل وتتكَّسر عـلى مـدى البـصر. كل شيء هنـا نقـي وواضـح تمامًـا، كعَقـلِ قاتـل عديـم الرَّحمـة.

ينبعـث صـوت جاسـتن تيمبرليـك[3] مـن راديـو السـيارة، وتعجُّ الشـوارع بالمـرور، لكـن تخلـو الأرصفـة تمامًـا. يُذكِّـرني هـذا بسراييفـو أثنـاء حظـر التَّجـوُّل عـلى نحـوٍ مـا. ظـروف ممتـازة لطلقـات النـار مـن الأسـطح إلى أهـداف عـلى الرصيـف. أغلـب السـيارات يابانيـة أو أوروبيـة، وكلهـا تبـدو جديـدة تمامًـا. هـؤلاء النـاس أثريـاء حقًّـا. كل السـيارات الأخـرى هـي سـيارات دَفْـعٍ رباعـي، والعديـد منهـا تقودهـا ملـكات الجليـد الشـقراوات كالزُّبـدة مثـل جانهولـدر. أيـن كل أزواجهـن؟

"هل خُضتُم حربًا مؤخَّرًا؟" أسأل.

---

(1) سينتولوچيا (scientology) فلسفة دينية تستند إلى النظريات العلمية تأسَّست في 1954.

(2) Hamptons and Harlm مناطق في مدينة نيويورك الأمريكية.

(3) مُغَنٍّ أمريكي.

"حرب؟ لا، ليس لدينا جيشٌ حتى".

لا بُدَّ وأنَّكِ تمزحين.

"لماذا تسأل؟" تسألني.

"أنا فقط أتساءل أين كُلُّ الرجال. لا أرى سوى نساء عازباتٍ يَقُدن تلك السيارات".

"معظم الناس لديهم سيارتان، واحدة له وأخرى لها".

ألقي نظرة على سيارة رانج روفر سوداء في الحارة المرورية المجاورة لنا. تقودها امرأة تشبه ڤيرچينيا مادسن[1].

"فهمتُ. لكن هذه لا تبدو سيارة نسائية أليس كذلك؟".

رمَقَتني جانهولدر بنظرةٍ شَرِسة. "المرأة في أيسلندا مساوية للرَّجُل".

أنظر إليها لِلَحظةٍ، ووفقًا للميل الصَّارم لأنف الآيس كريم، عليَّ أن أحاول على الأقل أن أصدِّقها. مساوية للرَّجُل... حقًّا؟

يبدو أنها غاضبة مني، فاختَصَرتُ في إجاباتها على أسئلتي اللَّاحِقة. نعم، خمس درجات باردة قليلًا على هذا الوقت من العام، عشر درجات أمرٌ طبيعي (!). نعم، كانت تحتفل الليلة الماضية. ونعم، جاستن تيمبرليك مشهور جدًّا في أيسلندا. (يبدو أنني قرَّرتُ أن الأب فريندلي رَجُلٌ مُمِلٌ جدًّا).

تدخل جانهولدر البلدة القديمة. الأشجار هنا أطول والشوارع ضيقة. تركن السيارة سكودا في شارع جانبي شديد الانحدار، خارج منزل أخضر صغير بسقف أحمر صدئ. هذا المنزل مُغطًّى بالحديد المُشكَّل من كافة الجوانب كباقي المنازل في وسط المدينة، وكأنه

(1) ممثلة أمريكية.

يستعدٌ للقتل بسترة واقية. في الواقع يمكننا استخدام هذا المنزل: سترات واقية من الرصاص للمباني.

تعيش جانهولدر في الطابق الثاني. يرشم الأب فريندلي إشارة الصليب أمام بابها قبل أن يفتحه بسكين مطبخ صغير من مجموعة والدتها. تنظر إليه الفتاة كما لو أنها شاهدت للتوٌ مُعجِزةً.

"تفضَّلي" أقول بأكثر الطُّرُق تَدَيُّنًا، ثم أفتح لها الباب. تخبرني أن أنتظر وتختفي في الداخل. بيتها على النقيض منها تمامًا، إنه فوضى كاملة. لاحَظَت وجودَ بُرج من علب البيتزا الفارغة على رَفِّ المطبخ، الملابس الداخلية والجينز والقمصان والشيكولاته على الأرض، نصف أحمر شفاه مُستخدَم وشطيرة نصف مأكولة. رائحة الجِعَة التي ظلَّت مفتوحةً لمدَّة أسبوع. ومع ذلك، بطريقة غريبة، تبدو هذه الشَّقَّة أقرب بكثير إلى المسيح من مكان والِدَيْها. أقرب إلى مخبأ رسول.

تعمل جانهولدر في مقهى بوسط المدينة. هي نادِلةٌ زميلة إذن. عرَضَت إعادة صاحب المعجزة إلى البيت المُقدَّس، لكنني لا أطيق العودة إلى حدائق الصَّمت هذه. على أي حال، لقد تأخَّرَت بالفعل عن نوبتها في العمل. أرافِقُها سيرًا إلى العمل، الكاهن وابنة الواعظ. إنها تغذُّ السير كساكنة في نيويورك، والأب فريندلي يحتاج إلى كلِّ طاقته لمجاراتها، وفجأة نجتاز السفارة الأمريكية، مبنى طويل بطول ابتسامة لورا بوش، وبَياض أسنانها. الجبهة مُزيَّنة بسِتِّ كاميرات مراقبة. يحرس المدخل بعض البلهاء بنظراتٍ ثاقِبةٍ في زيٍّ رسمي. أخفض رأسي وأبدِّل مكاني مع جانهولدر إذ أمُرُّ بالسفارة، وأتَّخِذُها كدرعٍ بشري بأسلوب أ.ق.أ. لقد اندهَشَت من حركتي المفاجئة، ووجهها اللطيف اللعين يُظهر نفسي الحقيقية اللعينة، فأتذمَّر سهوًا وأُتَمْتِم: "اللعنة" فتسمعها.

"كاهن يقول اللعنة؟".

أقول "بالتأكيد، يمكننا أن نقول ذلك. نحن فقط لا نستطيع القيام بذلك".

إنها تبطئ قليلًا.

"صحيح. إذًا... لم تَقُم أبدًا بـ... أنت بَتول؟".

"هذا أمرٌ يَخُصُّني، بينما عليكِ أنتِ استكشافه".

تَبيَّن أن مقهاها عبارة عن حانة صغيرة رائعة في قلب المدينة تُسمَّى كافيه باريس. يبدو وكأنه ستاربكس من فئة ثلاث نجوم مع قسم للتدخين، لكنني سعيد لوجودي بالداخل، أَفرُكُ يدي كما لو كُنّا في يناير.

إنهم لا يمزحون بشأن ربيع القطب الشمالي. تضع جانهولدر مئزرها وتحضر لي لاتيه أيسلندي مع جرعة مزدوجة من الضيق. على الرغم من كل ما قدَّمته من معجزات، إلا أنها لا تزال تكره الأب فريندلي ومعدته المنتفخة. يعطيها ابتسامةً غبيَّةً مُقدَّسة.

"هل يحتفظ والدك بمسدس في المنزل؟".

"مسدس؟ هذا سؤال غريب".

"نعم. في الولايات المتحدة نحتفظ جميعًا بمسدس في المنزل. فما يُدريك خاصَّة إذا كنتَ قِسِّيسًا".

إنها تُدير عينيها المبهرتين. "لا أحد لديه مسدس في أيسلندا. إنها دولة آمِنَة".

هذا هراء! لو أجريتُ بعض المكالمات خلال أسبوع ستصبح مُستَعمَرة كرواتية.

إنها الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الأربعاء، ونحن ثلاثة في المقهى. أحصي فردَيْن في الشارع. إذا كان هكذا وسط المدينة

فـلا عجـب مـن صمـت الضواحـي. تبحـر السـيارات ببـطء. لا يمكننـي تَخطِّـي كل هـؤلاء السـيدات الرائعـات الـلائي يشـبهن زوجـات أو بنـات المليونـيرات، مـع نظَّـارات بـرادا الشمسـية، وشَـعر بـاربي، وشـفاه ممتلئـة كالوسـائد الهوائيـة.

وفقًـا لقياسـاتي، جميعهـن يتراوحـن بـين اليـوم الثـاني إلى اليـوم الرابـع. وهــذا يُذكِّـرني بأسـبوع عمـلي في سـويسرا، عندمـا أوصلتنـي دراسـاتي المعماريـة إلى قريـة صغـيرة في جبـال الألـب للبحـث عـن منطقـة تزلُّـج جديـدة تمامًـا. شـعرت أن الأسـبوع شـهرٌ.

لقــد كانــت أكــثر هــدوءًا مــن بيلاروســيا اللعينــة. كان الأشــخاص الوحيـدون في الخـارج بعـض رَبَّـات البيـوت الـلاتي لا يَمَسَـسهُن بَـشَرٌ، بتصفيفـات شَـعر جوتـشي، يتناولـن غـداء بمئـات الـدولارات في مطعـم القريـة، بينـما يقـضي أزواجهـن أيامهـم في المدينـة، محبوسـين في خزائنهـم المصرفيــة.

يذكِّرونني بملكة إسبانيا، أولئك النسوة اللاتي يرتدين الفِراء والكعب أثنـاء مرورهـن ببـطء عـلى متاجـر المجوهـرات (الأثريـاء يسـيرون دائمًـا ببـطء، بسـبب ثِقَـل جيوبهـم عـلى مـا أعتقـد). كانـوا جميعًـا مـن طـراز اليـوم السـادس والعشريـن عـلى مقيـاسي، لكـن بحلـول اليـوم الخامـس، كنــت عــلى شــفا اغتصــابٍ جَماعــيٍّ. لقــد تخيَّلــتُ العنــوان الرئيــسي في إنترناشـونال هيرالـد تريبيـون: "طالِـب يُضاجِـع خمـس عـشرة... ثم نفسـه".

أنهيـتُ قهـوتي ودفعـتُ ثمنهـا ببطاقـة إيجـور. لا يبـدو أن جانهولـدر لاحَظَـت ذلـك. أسـألها عـن أشـياء يمكـن للسـائح الـودود القيـام بهـا، فتشـير مـن النافـذة.

"كلُّ شيء هنـاك: الكاتدرائيـة، البرلمـان، تمثـال چـون سيكريتسـون، بطلنـا القومـي...".

لا بُدَّ أنها تمزح. الكاتدرائية بحجم منزل كلبٍ يقوم الله بتربيته (أتخيَّل أن لديه كلب شيواوا ثلاثي الألوان)، ومبنى البرلمان ليس أكبر من منزل جَدِّي في جورسكي كوتار. أنا في جزيرة ليليبوت.

أحاول التَّوغُّلَ في منطقة وسط المدينة، لكنها لا تزيد عن ثلاث كُتَلٍ مُربَّعة. من الأسهل أن تفقدها بدلًا من أن تضيع فيها. كيف لي أن أحافظ على أ.ق.أ الخاص بي في هذه المدينة؟

انحرَفتُ متجاوزًا جنَّةَ تَسوُّقٍ للصيادين، وأغراني مشهد البندقية في الداخل. يبدو البائع رَجُلًا لطيفًا بنظراتٍ حانيةٍ كأنه فريسة. أطلب مُسدَّسًا، بندقية، أيًّا كان، مجرد شيء جيد لإطلاق الرصاص. نظر إليَّ للحظة قبل أن يخبرني بلهجة بريطانية مُصطَنَعة، أنهم يبيعون بنادق للصيد فقط، وليس مُسدَّسات.

"حسنًا. هل يمكنك إخباري أين يمكنني شراء مسدس في هذه المدينة؟".

"أنا آسف، لا يمكنك ذلك. ليس في مَتجَرٍ على الأقل".

ما خطب هؤلاء الأيسلنديين؟ لا جيش، ولا بنادق، لا شيء. فقط نساء رائعات يَقُدن سيارات دفع رباعي فاخرة، ويتجوَّلن حول المدينة الرائقة الكبيرة في عرباتهنَّ الدافئة، على أمل التقاط قاتِلٍ مُحترِف يتظاهر بأنه كاهن.

أوافق على سكين الجيش السويسري على غرار سِكِّيني القديم، بما أنني لا أستطيع الحصول على مسدس.

أتساءل ما إذا كان الأب فريندلي كاثوليكيًا أم أن لديه زوجة؟ صغار في السن؟ في الواقع لا أعرف لماذا بحقِّ الجحيم أفكِّر في هذا. عادةً لا أريد أن أعرف أي شيء عن ضحاياي. الأمر كأيام الحرب، أقتل الغُرَباء ولا أشعر بهم. هم مجرَّد رأس آخر أدفس فيها رصاصتي. لا أريد حتى

أن أعـرف لمـاذا يسـتحقون المـوت. عـادة مـا يرفضـون دفـع جزيتهـم، أو يفشـلون في تسـليمها لديـكان، أو يظهـرون بنفـس ربطـة العنـق التـي حـضر بهـا حفـل توزيـع جوائـز أوسـكار المافيـا، لكـن يجـب أن أعـترف أن قتـل الأب فرينـدلي كان مختلفًـا. لم يكـن احترافيًـا، بـل عاطفـي. اضطـررتُ لقتلـه لإنقـاذ مؤخِّـرتي. كان مـزج بـين المؤخـرة والعاطفـة.

أثنـاء المـشي، لاحظـتُ أن سـكان ريكيافيـك يتحرَّكـون بسرعـة، كـما لـو كانـوا يعتقـدون أن هـذه كانـت نيويـورك وليسـت أصغـرَ عاصِمـةٍ في التاريـخ. كـما لـو أنهـم تأخَّـروا جميعًـا عـن مقابلـة عَمَـلٍ في شركـة ميريـل لينـش. لا بُـدَّ وأنـه الـبرد. الزمـلاء الوحيـدون الذيـن يجلسـون في دفء عـلى المقاعـد هـم في حالـة سُـكرٍ لدرجـة لا يمكنهـم معهـا الشـعور بـه.

يحاوطنـي الوجـه الوطنـي الأيسـلندي: دائـري، وأنـف صغـير، مثـل كـرة ثلـج بداخلهـا حصـاة. أعتقـد أن كلّ أُمَّـة لهـا سِـمَةٌ مميـزة في وجههـا. نحـن السّـلافيون لدينـا أنـف، أنـف كلـب قـوي يمكننـا مـن خلالـه شَـمُّ رائحـة المتاعـب حتـى القـرن الثـاني عـشر. الأفارقـة لديهـم الشِّـفاه، والعرب لديهـم الحواجـب، والأمريكيُّـون لديهـم الفَـكُّ، والألمـان لديهـم الشَّـارِب، والإنجليـز لديهـم الأسـنان، والطِّليـان لديهـم الشَّـعر. يبـدو أن الأيسـلنديين اختـاروا الخَدَّيـن. بعـض هـذه الوجـوه عبـارة عـن خَدَّيْـن فقـط بينهـما ثَقـبٌ وعينـان غائرتـان.

لكنهـم في الغالـب يتحدَّثـون الانجليزيـة أفضـلَ مِنِّـي. تَحدَّثـتُ مـع ثلاثـةٍ منهـم قبـل أن أجـد مكتبـة المدينـة. هنـا لديـك 470.000 كتـاب تحـت تَصرُّفِـك، كلهـا باللغـة الأيسـلندية. (قـال الرجـل مـن الطائـرة إن الكتابـة هـي إحـدى الصناعـات الأساسـية في أيسـلندا)، وهنـا يمكنـك الوصـول إلى الإنترنـت. أعطـاني رَجُـلٌ مُلتَـحٍ -يبـدو دودةَ قـراءة- رمـزًا. أضرب الأرقـام عـلى لوحـة المفاتيـح، وينفتـح العـالم الكبـير أمامـي. القـسُّ

ديڤيد فريندلي هو قسٌ كنيسة ويستمور المعمدانية في ريتشموند، ڤيرچينيا.

عُذرًا، كان قسيسًا وبالإضافة إلى ذلك كان لديه برنامجه التلفزيوني الخاص، "ساعة مع فريندلي" على شبكة سي بي إن، شبكة البَثِّ المسيحية التي يملكها الرجل المجنون بات روبرتسون، المُرشَّح الرئاسي السابق والمعارِض الأبَديُّ للإجهاض وحقوق المثليِّين. يظهر القسُّ فريندلي بشَحمِه ولحمه في إحدى الصُّوَر: رأس أصلع مستدير بابتسامة كبيرة ونظارات صغيرة. إنه مُحاطٌ بأطفال سُعَداء، كلهم من البيض، بالإضافة إلى الطِّفل الأسود المعتاد. عبَّر أحد مواقع الويب عن موقفه ضد "مباركة زواج مِثليِّي الجنس". كان لدى الأب فريندلي رُهابُ المِثليَّة.

أعتقد أنه كان يستحقُّ الموت.

أحاول البحث عن اسمه على جوجل باستخدام كلمات رئيسية مختلفة مثل "قتل" و"مقتل" و"موت" دون أي نتائج جادَّة. لم يتصدَّر الأخبار بعد. ما زالوا لم يتعرَّفوا على جُثَّته، على الرغم من أنني تركتُ كارِهَ المثليِّين السَّمين مرتديًا جواربه النَّتِنة وبنطاله وسرواله الداخلي، نائمًا في حمَّام الرجال. تحتوي النتيجة الوحيدة لبحثي الأخير على مقابلة مع فريندلي حيث أعرب عن "تَفهُّمه لأشخاص مثل السيناتور كوبرن الذي يفضِّل عقوبة الإعدام لمجرمي الإجهاض وغيرهم ممَّن يُزهِقون الأرواح".

يريدني القسُّ فريندلي ميِّتًا.

7
الأب غضبان

2006/05/16

أجلس في مقهى البحرين. نعم أعتقد أنه اسمه كافيه البحرين. لا يوجد ما هو عَربيٌ في الموضوع رغم ذلك. مجرَّد محلٍّ قديم صغير ولطيف مع كراسي تصرُّ وفتيات من طراز اليوم الثالث، والبعض يُدخِّن.

لم أذهب إلى حانةٍ يملؤها الدُّخان منذ سنوات، وهذا صعب بعض الشيء على عيني. أفهم أن حظر التدخين أمرٌ جادٌّ هنا، في مركب شِراعيٍّ مُشمِس يُسمَّى آل جور. من جهة أخرى قد تشهد كرواتيا حربًا أخرى غير الإقلاع عن التدخين. فقط بعد مرور خمسين عامًا بلا حرب، تبدأ في القلق من أشياء مثل جودة الهواء في الحانات.

أحتَفِل بيومي الأول في المنفى، مع البيرة الخامسة. إنها الساعة الثامنة مساءً تقريبًا، ولكن لا يزال الصباح في الخارج.

هـم يقولـون إن الشـمس ترفـض الغـروب "إنهـا تظـلُّ مسـتيقظة طـوال الليـل، ونحـن كذلـك". "هـم" أقصـد بهـم "زيجـي" و"ج الجحيمـي" وهـما زبونـان سِـكِّيران محليَّـان قـذران في حالـةٍ رَثَّـة.

"الحيـاة الليليـة في ريكيافيـك ليلتـان فقـط بشـكل أسـاسي. واحـدة مُشرِقـة وتسـتمرُّ مـن أبريـل إلى سـبتمبر. والأخـرى مُظلِمـة وتسـتمرُّ مـن أكتوبـر إلى مـارس" هكـذا أخـبروني.

"وما هو أكثر متعة؟".

"المُشرِقـة بالطبـع. الفتيـات الأيسـلنديات لا يرغـبن في القيـام بهـا في الظـلام" كـما يقولـون بضحكـةٍ.

إنهـم أصغـرُ مِنِّـي، وأنحـف، وشـعورهم أكـثر غـزارةً منـي، ويُدخِّنـون بشَراهَـة، ويجـدون أنـه "مريـبٌ جـدًّا يـا رجُـل" أن يشربـوا مـع كاهـن.

يسـألهم رجُـلُ الديـن عـن وضـع المثليِّين هنـا، ومسـألة الإجهـاض، ومـا إذا كانـت أيسـلندا تحـترم عقوبـة الإعـدام؟ لا، عـلى مـا يبـدو، فأيسـلندا جنَّـةٌ خاليـة مـن الأسـلحة ومجنونـة بالإجهـاض، ولا يوجـد فيهـا حُكـمٌ بالإعـدام. لقـد جـاء الأب فرينـدلي إلى المـكان الصحيـح.

"مهرجـان فخـر المثليِّين لدينـا أكـبر مـن مهرجـان السـابع عـشر مـن يونيـو، عيـد اسـتقلالنا".

يسـتقبل الأب فرينـدلي كلَّ شيء بهـدوء. أحـاول أن أتقمَّـص نفسـه ضاربـةَ المثليـين والمُنـذِرة بهـلاك المـوت. يهـزُّ رأسـه وحسـب ويضبـط الياقـة حـول رقبتـه.

في الواقـع، أتسـاءل لمـاذا بحـق الجحيـم مـا زلـتُ أرتـدي هـذه الياقـة الغبيَّـة. أعتقـد أننـي يمكـن أن أنسـى الأب فرينـدلي تمامًـا، وأعـود إلى نفـسي

السامة[1] وأحجز في أحد الفنادق. لا، ليست فكرةً سديدةً. أعتقد أنه من الأفضل إبقاء الأحمق على قيد الحياة، وإلا سيتصل أصدقائي الواعظون بالشُّرطة فتتصل الشُّرطة بأُسرَتِه وينهار كل شيء في الجحيم.

"ماذا عن جرائم القتل؟ كم عدد جرائم القتل الجماعي التي تقع عندكم كل عام؟" أسألهم.

"قتل جماعي؟" يسألون بعيون مرتبكة.

"بلى. كم عَدَدُ الشَّواذ الذين يُقتلون كلَّ عام في هذا البلد؟".

"شواذ؟ لا أحد، على ما أظن" يقول ج الجحيمي، مصدومًا بعض الشيء من شناعة كلمات القسِّ.

"أوه؟ ولكن كم عدد جرائم القتل إذن؟ كم عدد الأشخاص العاديِّين الذين قُتِلوا؟" يواصل فريندلي.

يقول زيجي: "أحيانًا واحد، وأحيانًا لا أحد".

يبدو أن حدسي هذا الصباح كان على حقٍّ. أنا في الجنة. لا جيش ولا أسلحة ولا جرائم قتل. ليس لديهم حتى منطقة ريدلايت[2]، يقولون لي إنها مدينة بلا عاهرات.

"لا توجد بائعات الهوى في أيسلندا، لكننا سنضطرُّ إلى الحصول على بعضهن عندما ننضمُّ إلى الاتحاد الأوروبي" قالوا لي بضحكة أخرى.

الجنسُ لا يزال مجَّانيًا، لكن البيرة تُكلِّف كثيراً. تنزف بطاقة إيجور مع كل كوب. منذ عثرتُ على هذا المكان قبل بضع ساعات شربتُ كمِّيَّةً من الكحول تعادل سعر جهاز آي بود. لقد أوصت به هذه البائعة الساحرة في متجر الكتب، وهي من طراز اليوم الخامس. بعد

(1) Toxic: من اسمه.

(2) Red light district: مناطق تنتشر فيها الأعمال التجارية القائمة على الجنس.

اثنتين من البيرة اكتشفتُ أن مقهى البحرين هو أشهر حانة في البلاد، وقد ظهر بشكل كبير في بعض الأفلام العصرية منذ سنوات. أمرٌ يفوق سياستي في أ.ق.أ. كيف يمكنك الاسترخاء في جزيرة ليليبوت؟

"إذن ماذا ستفعل إذا لم تتمكّن من شراء الجنس ولا ترتكب جرائم قتل؟ هل لديكم مخدرات؟".

ثمّة وَقفة. يبدو هذا القسُّ مختلفًا، هذا ما يفكّرون فيه.

"نعم بالتأكيد" يقول زيجي الشخص الغريب بفخر أكثر غرابة "لدينا الكثير من المخدِّرات".

ويضيف صديقه: "لدينا أيضًا الكثير من جرائم القتل في الكتب. في السنوات الأخيرة لدينا العديد من كُتَّاب روايات الجريمة الجيدين هنا في أيسلندا، مثل أرنالدور أندريداسون على سبيل المثال. وكذلك أفار أورن چوزيفسون، وڤيكتور أرنار إنجولفسون، ويرسا سيجوردادوتير، وأرني ثورارينسون".

الأسماء الأيسلندية مثل صواريخ سكود. تبقى مساراتها في الهواء لفترة طويلة بعد أن تصل إلى هدفها. ومع هذا أُكِنُّ لهؤلاء التقدير؛ فليس سهلًا أن تكون كاتِبَ جرائمَ في أرضٍ بلا جرائم قتل. يبدو أنك بحاجة إلى القوى الإبداعية العبقرية لتتمكَّن من تزويد قاتِلِكَ بمُسدَّس. أغلقت أذني، لكن احتَفظتُ بابتسامة فريندلي، بينما يحكي الرَّجُلان عن بلدهما، ويحاولان جاهدين إقناع رجل الدين بأنها ليست مدرسة يوم الأحد.

ثملتُ تمامًا، أشعر بالكحول يفتش عن اضطراب الرحلات الجوية الطويلة ويُضخِّمه. يا يسوع! أتساءل ما الذي سيفعله مُضيِّفاي المُقدَّسان. إنهما حتمًا على شاشة التلفزيون بالفعل. لم يتَّصِل جودموندور قَطُّ. بدأت أشك، آمل ألّا يكون الأوغاد في السفارة قد التقطوا وجهي أمام الكاميرا، لا بُدَّ وأن هناك مُلصَقًا بصورتي على

جـدران غُـرَف نومهـم؛ فقـد قتَلـتُ أحـد رجالهـم. في الواقـع، لـديَّ في رصيـدي بالضبـط سـبعة وسـتُّون صليبًـا في المقابـر الأمريكيـة؛ لذلـك سـيكون لديهـم سَـببٌ وجيـه لوضـع وجهـي عـلى الرصيـف.

لم يكـن السـبعة والسـتون جميعهـم ممَّـن حظـوا بالبطاقـة الخـضراء، بـل كان بعضهـم طليـان، وبعضهـم رُوسًـا، وقليـلٌ مـن الـصِّرب، ورَجُـلٌ سـويدي أو نرويجـي، إذا كنـتُ أتذكَّـر ذلـك بشـكل صحيـح. كانـت أغـرب لهجـة أتذكَّرهـا. لكـن معظمهـم كانـوا رجـالًا شـاحبي البـشرة، وجوههـم مُربَّعـة ومُتشـقِّقة. ومـع هـذا العـدد الكبـير مـن القتـلى الأمريكيـين في رصيـدي، مـن المحتمـل أن أحصـل عـلى عضويـة فخريـة في القاعـدة.

نعـم. أنـا عـلى قائمـة المطلوبـين. نعـم. عـليَّ أن أتذكـر أن هـذا منفـى، نعـم. لا بُـدَّ لي مـن الحفـاظ عـلى أ.ق.أ. ونعـم؛ اسـمي ديڤيـد فرينـدلي.

فجأة سمعت صوتًا مألوفًا.

"حسـنًا هـا أنـت ذا!" عـادت جانهولـدر في زيٍّ حفـلات، ترتـدي ملابـس مثـيرة، تلمحنـي في الزاويـة "مـاذا تفعـل هنـا بحـق الجحيـم؟ كان والـدي يبحـث عنـك! اتَّصَـل بي مرتـين. يُفـترض أن تكـون عـلى شاشـة التلفزيـون!".

قلتُ في عَبَس مَخمورٍ: "لم يتَّصِل بي قَطُّ".

"لم يفعل؟ هل معكَ هاتِفُكَ؟".

أبحـث عـن معطفـي وسـترة، ليـس معـي هاتـفٌ جَـوَّال. تنظـر الشـقراء البَضَّـة إليَّ كـما لـو كانـت أُمًّـا تنظـر لطفـل فَقَـدَ حقيبتـه المدرسـية. يشـاهدها زيجـي وچـي الجحيمـي في صَمـتٍ كطائِـرَيْ بفـن نحيفَـيْن في وَضـعِ التَّجمُّـد.

تقول: "حسنًا سأتَّصِل به".

بعـد نصـف كـوب بـيرة، دخـل جودمـون بنفسـه إلى الحانـة، ويشـبه إلى حـدٍّ كبـير حيـوان الرنَّـة إذ يدخـل مركـزًا تجاريًّـا كبـيرًا عشـيَّةَ عيـد

الميلاد، مع قرونٍ تومض وعينين متوهّجَتين. ومع ذلك يبتسم وهو يرى زميله الواعظ قد سقط في منتصف الطريق إلى أعماق الجحيم، يمدُّ يده، فأمسكها.

"مرحبًا أيُّها الأب فريندلي. أنا سعيدٌ لأنني عثرتُ عليك". دائمًا سعيد. "أخبرتني جانهولدر أنَّكَ ساعَدتَها هذا الصباح".

"نعم. إيماننا الحقيقي يمكن أن يفتح أيَّ باب" أقول بابتسامة مخمور.

"لكنَّكَ نسيتَ الهاتف، كان في المنزل. كنتُ أتَّصِل به وسمعته يَرِنُّ في الطابق العلوي!".

يضحك مثل طفل سعيد. عليَّ أن أضحك أيضًا. هذا الرَّجُل طيِّب جدًا، إمَّا أن تضطر إلى إطلاق النار عليه في وجهه أو تتماشى معه. وأنا ليس لديَّ سلاح.

"علينا أن نسرع. سنبدأ بعد عشرين دقيقة".

"موافق، أنا آسف حقًّا".

أتساءل عمَّا إذا كان قد لاحظ أنني في حالة سُكرٍ. هل يريدني حقًّا في برنامجه؟ أشاهده وهو يُودِّع ابنته الشقراء الجميلة التي انضمَّت إلى صديقتها على طاولة قريبة (امرأة سمراء من طراز اليوم الثاني من المحتمل أن يكون اسم تارانتينو على قائمتها مهماتها المنتهية).

توقَّف للحظة وجيزة وهو يشاهدها وهي تَمتصُّ السيجارة بيدها اليسرى، وتشرع في شُرب نبيذها الأبيض بيدها اليمنى. لقد لاحَظتُ حركةً صغيرة من شفتي جودموندور، وهي إشارة صغيرة تفضح رغبته في تحطيم رأس ابنته بنُسخَةٍ كبيرة الحجم من الكتاب المقدَّس للملك جيمس. يعضُّ لسانه ويُودِّعها مكسورًا باللغة الأيسلندية،

نظـرَت أخـيرًا لأعـلى ونفخـت الدُّخـان في وجهـه بعينـين باردتـين، وقالـت بصـوت مُخيـفٍ: "بركاتـك، بابـا".

مـن الواضـح أن هـذا يعنـي فقـط "وداعًـا يـا أبي" ولكـن نبرتهـا البغيضة يمكنهـا أن تُحطِّـم قلـب قاتِـلٍ مُحتَرِف.

نخرج.

المسـاء بـاردٌ ومُتجمِّـد كثلاجـة مفتوحـة. إذا كانـت هـذه هـي المدينـة الأكـثر سـخونة في أوروبـا، أعتقـد أنـه يمكننـا أن نهـدأ قليـلًا بشـأن هـذا الاحتبـاس الحـراري العالمـي. يقـود الرجـل الطَّيِّـب خـارج البلـدة القديمـة عـلى طريـق سريعـةٍ مُشـيَّدة حديثًـا، يأخذنـا عـبر بعـض مشـاريع تعاونيَّات السَّـكَن المتأنقـة. تغمـر أشِـعَّةُ الشـمس تلـك النمـور ذات البقـع البيضـاء المحيطـة بالمدينـة، وطيـور النـورس ترفـرف مـن عمـود إنـارة إلى آخـر.

تنجـرف السُّـحُب الصغـيرة الرماديـة في سـماء زرقـاء فاتحـة. معظمهـا يبـدو لي مثـل الحيوانـات المنويـة البشريـة، والبعـض الآخـر مثـل الحيتـان الصغـيرة التـي تسـبح ببـطء عـبر المدينـة. أحـاول أن أعطـي أجوبـة واضحة لأسـئلة رجـل الديـن.

"لقـد تقطَّعَـت بي السُّـبُلُ تمامًـا لأننـي لم يكـن لـديَّ عنوانـك ونسـيت الحصـول عـلى رقـم هاتـف ابنتـك؛ لذلـك انتهـى بي الأمـر بالجلـوس في هـذا المقهـى، والتحـدُّث إلى بعـض الأيسـلنديين. كانـت الأمـور عـلى مـا يُـرام في الواقـع".

"نعـم، لكـن المقاهـي في ريكيافيـك يمكـن أن تكـون مكانًـا خطـيرًا" هكـذا قـال مبتسـمًا وبـدأ بالضحـك.

يبـدو أن ضحكتـه تشـير إلى أنـه كان يعـاني مـن مشـكلة في الـشُّرب، قبـل أن يُجفِّفـه اللـه ويمنحـه محطَّـةً تلفزيونيـة. ولكـن كلَّـما طالـت المدة،

اتَّضح أنه يحاول إخفاء ألم رؤيته لابنته إذ تجلس في عرين الشيطان المظلِم، تُدخِّن وتشرب وترتدي ملابس الاحتفال.

لا بُدَّ وأنني تحت تعويذةٍ قويَّة من الأب فريندلي؛ لأن عليَّ أن أعترف أنه كان مشهدًا مروعًا للغاية. لثانية وجيزة، بدَت حقًّا مثل ابنة الشيطان، بعيون نارٍ وفمٍ مليء بالدخان. أحاول أن أضحك معه.

"كما هو مذكورٌ في لوقا 21: سيأتي اليوم كالفخ، إذا قضيتموه في الشُّرب والسُّكْر" يقول الواعظ وهو ينعطف يسارًا من الطريق السريع إلى شارع يشبه شوارع بروكلين، ضيق بثلاث منازل على كلا الجانبين. هل يتحدث عني؟ وإذ يقف خلف إحدى المباني، يمكنني أن أشعر أن طوق رجال الدين يتحوَّل إلى شَرَكٍ حول رقبتي.

"هل تعرف الأخ برانهام؟" يسأل جودموندور ونحن نسير من السيارة إلى مبنى.

"نعم، بالطبع" يقول الأب فريندلي بإصرارٍ مخمورٍ.

يتوقَّف زميله الأيسلندي عن المشي فجأة في غضب:

"هل تعرف نظرياته؟".

"نعم، أعتقد أنني أستطيع أن أقول ذلك".

"هل تتذكَّر عندما قال إن لوس أنجلوس ستغرق تحت الماء وأن أسماك القرش ستسبح في الشوارع؟".

"إيه... نعم".

"إنه أمرٌ مُمتِع للغاية؛ لأنني كنت أحلم الليلة الماضية. كنتُ أحلم أنني كنت أقود سيارتي، هذه السيارة "، كما يقول ويشير نحو سيارته الفضية طراز لاندكروزر. "كنتُ أقود سيارتي هنا في ريكيافيك وفجأة كان هناك حوتٌ ضخم يسبح بجانبي، كان يسبح بسرعة، حتى إنه سبقني. كان في الشارع، تمامًا مثل السيارة. وعندما جاء بجانبي

نظـر إليّ وقـال شـيئًا، لكنني لم أسـتطع سـماعه؛ لأنـني كنـت في السـيارة ولم أخفـض النافـذة".

ينظـر جودمونـدور إلى الأب فرينـدلي كـما لـو كان يأمـل أن يُفـسّر أخـوه الأمريـكي الحُلـمَ عـلى أنـه حَـدَثٌ جوهـري في تاريـخ المسـيحية.

"واو" أقـول وأتطلّـع إلى السـماء للحصـول عـلى المشـورة. تمـرُّ الغيـوم الشـبيهة بأسـماك القـرش في سـماء المنطقـة. فجـأة أشـعر أنـني عالِـقٌ في فيلـم رسـوم متحرِّكـة للأطفـال تحـت المـاء، وأقـوم بصـوت "مـارتي السـمكة".

أقـول "هـذا رائـع يـا رجـل. ربمـا يجـب أن تتَّصِـل بـه وتخـبره؟ ربمـا يمكنـه أن يخـبرك مـاذا يعنـي ذلـك".

"أنت تعلم أن الأخ برانهام تُوفِّيَ عام 1965".

اللَّعنة.

"بالتأكيـد. أنـا لا أتحـدث عـن مكالمـة هاتفيـة. أنـا أتحـدَّث عـن نـداء الـروح" أقـول.

"نداء الروح؟".

"نعـم. نحـن نفعـل ذلـك طـوال الوقـت، في جماعتنـا هنـاك في ريتشـموند. يـأتي النـاس كلَّ ليلـة ثلاثـاء ويتحدَّثـون مـع ذويهـم المـوتى، إنهـا تحظـى بشـعبية كبـيرة، يحبهـا النـاس حقًّـا. أحـوِّل نفـسي إلى لوحـة مفاتيـح بَشَريَّـة وأجـري الاتصـال مـن خـلال الـرب".

يبدأ في الضحك. فأواصل تأكيدي.

يقـول: "أنـا لا أعـرف الكنيسـة المعمدانيـة جيـدًا، لكـن في كنيسـتي لا نتحـدَّث أبـدًا مـع المـوتى. نقـول إنـه بَحـرٌ مُشـعِر".

بحر مُشعِر.

"نعـم أعـرف. لكـن الأمـر يشـبه، كـما تعلمـون، إننـا لا نهاتفهـم، بـل هـم مَـن يَتَّصِلـون بنـا".

لا بـد وأن درجـة الحـرارة قريبـة مـن 33 درجـة فهرنهايـت، وهـا نحـن هنـا، في ليلـة ربيعيـة مُشمِسَـة[1]، نقـف في موقـف سـيارات خلفـي في وسـط شـمال المحيـط الأطلـسي، أنـا وهـو، الأب فرينـدلي والأب غضبـان، غريبـان ثمِـلَا بالبـيرة وباللـه، يتحدَّثـان عـن هـراء كامـل.

المنفى بَحرٌ مُشعِر.

"نحـن نعيـش نهايـة الزمـان. أقـول هـذا عـلى تلفزيـوني منـذ أكـثر مـن أربعـة عـشر عامًـا. نعيـش الأيـام الأخـيرة. لكـن الآن لـديَّ شـعور بأنـه لم يتبـقَّ الكثـير مـن الأيـام" يقـول جودمونـدور ويُحـدِّق فيَّ كأنـه واعـظ مجنـون، ولا يبعـد نظـره عنـي حتـى يتأكـد مائـة بالمائـة مـن أني تلقَّيـتُ الرسـالة.

كان الالتفات بعيدًا مثل إبعاد وجهي عن النار.

(1) يمتدُّ النهار في أيسلندا أحيانًا 24 ساعة في الصيف بسبب موقعها من الدائرة القطبية.

8
رفاقٌ طيّبون[1]

2006/05/16

"مساء الخير، أصدقائي الأعزّاء، ومرحبًا بكم في برنامجنا. يُسعِدنا أن نُبلِغَكم أن الليلة معنا ضيف عزيز، وهذا هو سبب حديثنا باللغة الإنجليزية الليلة. إنه الأب فريندلي، زيارة من أصدقائنا في سي. بي. إن في أمريكا. إنه صديقٌ مُقرَّب من بات روبرتسون، الذي شاهدتموه هنا على قناة موعظة وآمين. لديه برنامج تلفزيوني مشهور جدًّا في أمريكا. وهو من أشهر الوُعَّاظ في كثير من الدول. أخٌ مسيحيٌّ حقيقي في إيمان الله الحي، القسُّ ديڤيد فريندلي من ريتشموند، ڤيرچينيا. الأب فريندلي، أهلًا وسهلًا بك".

"شكرًا لكَ أيها الأخ جودموندور. إنه لمن دواعي سروري أن أكون معكم هنا".

(1) Goodfellas: يُطلَق على عصابات المافيا.

"يجب أن أخبركم أن الأب فريندلي لديه يوغوسلافيا... ماذا تسمِّيه!؟".

"لكنة".

"نعـم. لديـه لكنـة يوغوسـلافية لأنـه كان يعلـم كلمـة يسـوع هنـاك في الوقـت الـذي كانـوا فيـه شـيوعيِّين. هللويـا!".

كاد يضربنـي في رأسي وهـو يطـوِّح بيديـه في الهـواء، لكننـي تمكَّنـتُ مـن التنحِّـي جانبًـا. نقـف خلـف منـبر أبيـض، وخلفنـا سـتارة زرقـاء، وأمامنـا اسـتوديو تلفزيـون فوضـوي. أحـصي في الغرفـة خمسـة أشـخاص. يقـف رجـلٌ واحـدٌ خلـف الكامـيرا، وتقـف سـيكريدر في المدخـل مُبتَسِـمةً، وينتظـرني جمهـور مـن ثلاثـة أتقيـاء لإنقـاذ أرواحهـم.

"الشيوعيون لا يؤمنون بالله، أليس كذلك أيها الأب فريندلي".

"لا. أنـتَ مُحِـقٌّ تمامًـا في ذلـك، أخـي جودمونـدور. وهـذا هـو سـبب اختفائهـم".

"حسـنًا يمكنـك أن تعـثر عـلى بعضهـم اليـوم". يقـول صديقـي الواعـظ بابتسـامة بلهـاء. إنهـا ابتسـامة شـخصٍ ليـس ذكيًّـا جـدًّا في التَّباهـي بذكائه، إنـه مُضحِـكٌ للغايـة. أحتـاج إلى كل قـوتي حتـى لا أضحـك وأنـا أواصـل:

"بالفعـل. لكنهـم مختبئـون! إنهـم يختبئـون في ظُلمـة وجودهـم الملحِـد!" أحـاول التَّحـدُّث بنـبرة خطيـبٍ مؤمـن إيمانًـا أعمـى. "لأنهـم لا يجـرؤون عـلى الخـروج إلى النـور! نـور اللـه، نـور الخـير! خـير النـور! نحـن هنـا في أيسـلندا، في جزيـرة النـور، حيـث يدعهـا اللـه تَسـطَعُ لوقـتٍ طويـل في الليـل. يـضيء الليـل، يجعـل الليـل مشرقًـا. عـليَّ أن أقـول: أنتـم محظوظـون جـدًّا، أنتـم محظوظـون. أنتـم تعيشـون في أرض اللـه. أرض اللـه الحـي. هللويـا!".

ماذا أقول بحق الجحيم؟

"نعـم، أيُّهـا الأب فرينـدلي، ربمـا يمكنـك إخبارنـا عـن عملـك في يوغوسـلافيا. هـل كان ذلـك قبـل الحـرب؟".

"كان ذلـك قبـل الحـرب، عندمـا كان الرفيـق تيتـو رئيسًـا لـكل يوغوسـلافيا، لجميـع البلـدان التـي نعرفها الآن باسـم كرواتيـا وسـلوڤينيا والبوسـنة والهرسـك وغيرهـا".

ماذا أقول؟ لا بُدَّ وأن فريندلي كان في الخامسة عشرة عندما مات تيتو.

"... كان هـذا وقـت القهـر والسـجن. أبي... والـدي... أرشـدني الـرَّبُّ في شـوارع الدكتاتوريـة المُظلِمـة، للبحـث عـن النفـوس المسـتعدَّة لفتـح قلوبهـم لنـور اللـه.

كان علينـا أن نُخفـي إيماننـا، وفي بعـض الأحيـان كان علينـا أن نخـون بألسـنتنا الإيمـانَ الـذي نحتفـظ بـه في قلوبنـا، فقـط مـن أجـل البقـاء. بهـذا المعنـى، كُنَّـا تقريبًـا مثـل العمـلاء السِّرِّيِّـين، مثـل چيمـس بونـد أو... راي ليوتـا في فيلـم "رفـاق طيبـون""[1].

أنا أخرج عن الشخصيَّة هنا.

"أو مثل أتباع يسوع المسيح الأوائل" يُسعِفني المضيف.

"نعـم! بالضبـط. شـكرًا لـك يـا أخـي جودمونـدور. كنَّـا مثـل الرُّسُـل. كان علينـا الاختبـاء، كان علينـا أن نكـون حَذِريـن، لكنـنـا لم نَشـكُ أبـدًا. كان اللـه يُرشِـدنا إلى الطريـق. لقـد كان... كان مصبـاحَ الكشَّـاف الـذي كنَّـا بحاجـة إليـه؛ حتـى نتمكَّـن مـن السـير في شـارع الديكتاتوريـة المُظلِـم".

"وبعد ذلك كنتَ فتًى أمريكيًّا صغيرًا؟".

"نعـم، نعـم بالضبـط. كنـتُ شـابًّا، ديڤيـد، ديڤيـد فرينـدلي، صبـي صغـير مـن ڤيينـا، ڤيرچينيـا. مـا الـذي كنـتُ أفعلـه هنـاك، في أوروبـا

---

(1) فيلم Goodfellas من إخراج الأمريكي مارتن سكورسيزي عام 1990.

القديمـة؟ لقـد أُرسِـلتُ هنـا كمُبـشِّر. كنـتُ... كنـت... في المنـزل، كنـت مـا يطلقـون عليـه.. المراهِـقَ القَـذِرَ، الولـد الشريـر. وَلَـدُ سـيِّئٌ جـدًّا. بـدلًا مـن القيـام بواجبـي المنـزلي، كنـتُ في الخـارج أسرق وأضاجـع الفتيـات".

أسـتطيع أن أشـعر بابتسـامةٍ مُتجمِّـدة عـلى وجـه جودمونـدور. مـن الأفضـل أن أنتبـه لألفاظـي.

"لكنني كنتُ أفعل ذلك دائمًا من موقع التبشير".

اللعنـة. مـا زلـتُ في حالـة سُـكْرٍ. حتـى إنني أسـمح لنفـسي بالابتسـام قليـلًا. تغلـق السـيدة العجـوز في الصَّـفِّ الأمامـي عينيهـا لمـدة ثانيتـين.

"آسـف، لكـن هـا هـي القصـة. كنـتُ ذاتَ مـرَّة أسرق كنيسـة محلِّيَّـة مـع اثنـين مـن أصدقـائي. كنَّـا نُهـرِّب ببعـض الشـمعدانات والكـؤوس والأشـياء، وكنـتُ آخِـرَ مَـن خـرج؛ لأننـي كنـت حينهـا -مثلـما أنـا الآن- سـمينًا بعـض الـشيء".

أسـتطيع أن أرى أن سـيكريدر تضحـك بطريقتهـا اللطيفـة المميَّـزة. "لـذا، كان أصدقـائي بالخـارج بالفعـل عندمـا أضـاء النـور فجـأة سَـمِعتُ هـذا الصـوت الرائـع: "يمكنـك أن تحمـل كل الفضَّـة التـي تريدهـا، يـا أخـي يهـوذا، لكنهـا لـن تُنقِـذَ روحـك أبـدًا!". لم أجـرؤ حتـى عـلى النظـر إلى الـوراء. توقَّفـتُ للحظـة قبـل أن أركـض إلى البـاب وألقيـت بنفـسي في الظـلام. لقـد هربـتُ بالفعـل، لكننـي لم أسـتطع الهـروب مـن هـذه الكلـمات. راوَدَتنـي مـرارًا وتكـرارًا. ربمـا لأننـي لم أكـن أعـرف مَـن قالهـا. كان الصـوت عميقًـا جـدًّا، صـوت إنسـان عميـق جـدًّا، وفي ذهنـي كان صـوت اللـه نفسـه. "لكنهـا لـن تنقـذ روحَـك أبـدًا!"". لعـدَّة أيـام كانـت روحـي تتعـذَّب تمامًـا بهـذه الكلـمات. أخـيرًا، عُـدتُ إلى الكنيسـة مـع كل الأشـياء التـي سَرَقتُهـا. وَضَعتُهـا عـلى مقعـدٍ داخـل الكنيسـة وكنـتُ عـلى وشـك الركـض للخـارج عندمـا سـمعت الصـوت مـرة أخـرى، كان كاهِـنَ

الكنيسـة. لقـد تحدَّثنـا كثـيرًا، وبعـد نصـف عـام وجـدتُ نفـسي في شـوارع سرايڤـو أنـشر كلمـة اللـه، مـع كشَّـاف إضـاءة".

أنا أبتسم، أصَبتُ الهدف هذه المرة، سيفخر الأب فريندلي بهذا الأداء.

"المجـد للـه! الأخ الكريـم. هَلِّلويـا"، يصيـح زميـلي الأيسـلندي. "أنـتَ مثـل، بولـس الرسـول، القدِّيـس بولـس. كانـت لديـك نفـس تجربتـه. هـل كنـتَ أعمـى أيضًـا؟".

"ماذا؟".

"هل كنتَ أعمى أيضًا عندما جاء النور؟".

"في الكنيسـة، تقصـد؟ نعـم بالتأكيـد. قَطعًـا. لقـد أعـماني الضـوء تمامًـا؛ لهـذا السـبب اضطـررتُ للتوقُّـف".

يُبـدي جودمونـدور هـذا التعبـير الكهنـوتي مـرة أخـرى. نظـر إليَّ كـما لـو أننـي قطَعـتُ المحيـط الأطلـسي وصـولًا إلى جُـزُر الكنـاري ليذهـب شـعبه في إجـازة. يضـع يـده عـلى رأسي كـما لـو كان يُعمِّـدني، وفجـأة تتحسَّـن لغتـه الإنجليزيـة:

"بـارك اللـه روحـك أيهـا الأخ المقـدَّس، مَجِّـدوا اللـه! آمـين. قـوة اللـه الحـي معنـا الحمـد للـه! تبارَكَـت روحـك، أيهـا الأبُ فرينـدلي. لأنـك ممسـوحٌ. روحـك مصونـة" ثـم رفـع يده عـن جمجمتـي الصَّلعـاء وواجَـهَ الكامـيرا.

"دعنـا نسـمع: قصَّـة التلاميـذ في الفصـل التاسـع، في الكتـاب المُقـدَّس الإنجليـزي... تحـكي قصـة شـاول، عـن شـاول الـلّاوي، هـذا الرجـل العـادي مـن طرسـوس، هـذا الرَّجُـل البسـيط الـذي يعمـل جـلَّادًا لـ "الحكومـة الرومانيـة"، وأرسـلوه إلى دمشـق، ليربـط المسـيحيِّين بأرديـة...".

"بالحِبال" صَحَّحتُ له بسرعة لأبدو فجأةً خبيرًا في الكتاب المقدَّس.

"... حتى يربطهم بالحبال ويحملهم إلى القدس. ولكن في طريقه، قبل أن يأتي إلى دمشق، رأى نورًا عظيمًا وصوتًا يكلمه: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فقال شاول: "مَن أنتَ؟" فقال الصوت: "أنا الرَّبُّ". فقال له الرَّبُّ أن يَكُفَّ عن العمل ضد المسيحيين، وكان شاول أعمى أيَّامًا كثيرة، حتى أرسل الرَّبُّ إليه حنانيا. فجاء إليه حنانيا وأمَرَه أن يرى. وكان شاول بولس، أصبح الجَلَّادَ رقم اثنين في كنيسة الله على الأرض، كان يسوع رقم واحد وبولس هو الثاني. المجد لله! وقد كتب جزءًا كبيرًا من هذا الكتاب!".

يحمل جودموندور الكتاب المُقدَّس الأسود في الهواء.

"لقد كتب جزءًا كبيرًا من الكتاب المُقدَّس، كتاب الكتب، كلمة الله. خَلُصَت روحه، أصبح رجلًا مقدَّسًا. رجلًا مُقدَّسًا. هللوليا!".

"هللوليا!" أُردِّد وراءه، أُردِّد حقًّا. إنه حتمًا تأثير البيرة.

9

تورتشور[1]

2006/05/19

أفضـل شيء في الحـرب كان النَّـوم في العَـراء، في جبـال دينـارا. كان الوقـواق مُنبِّهَنـا، رغـم أني لم أرَه قَـطُّ، لكنـه كان دائمًـا ينهـض قبـل الفجـر؛ لأن الأرض كانـت بجوارنـا. كان الـصرب مـا زالـوا نائمـين، خلـف التـل والتلـة التـي تليهـا. الأوغـاد الكسـالى.

لم يبـدأ القتـال قبـل الثامنـة. أعتقـد أنـه يمكننـا أن نشـكرهم عـلى تلـك الصباحـات الجميلـة، صبـاح مشـمس صامـت مـع أفضـل إفطـار في العـالم: قهـوة وخبـز البوفتيـكا. أكلنـا في صمـت، نشـاهد أشـعة الصبـاح الأولى وهـي تتفاعـل مـع الزبـدة التـي لا تـزال بـاردة منـذ الليـل.

(1) تحريف آخر لاسم أيسلنديّ، وهنا يعني تعذيب.

في وقتٍ مبكر من فجر يوم أحد، بدأ أندرو، الفتى المجنون من بولا[1]، يتحدّث فجأة عن ندى الصباح. وبعد قليل راح يصيح:

"نحن نقاتل من أجل النَّدى! لا يمكننا أن ندَعَ الصِّربَ يأخذون الندى! نريد المزيد من الندى! حربٌ غبيّة! القتال من أجل الندى!".

ثم قفز على قدميه وبدأ يركض حول التّلّ مشيراً إلى عدّة مناطق على الأرض.

"الندى الكرواتي! الندى الصِّربي! لا ملكيّةَ للنّدى!".

سحب قائدنا يافور مُسدّسه وأطلق النار عليه في مؤخّرة رأسه. سقط أندرو في العُشب مثل عِجلٍ مَيِّت.

"الآن يمكنك أن تشربه يا غبي يا ابن أبشع عاهِرَةٍ في بولا!" ثم بصق يافور ذو الوجه الأشبه بالحُمَم البركانية.

أصبحت عبارة "يشرب النَّدى"[2] إشارة للموت. شعرتُ ببعض الأسف لأندرو، فمن بين جميع أعضاء كتيبتنا، ربما كنتُ أكثرَ مَن تَصالَح مع جنونه... أنا مَدينٌ له.

كان أندرو من كبار المعجبين بمادونا، حتى إنه أطلق على بندقيته اسمَ نجمة البوب الأمريكية. بين حين وآخر كان ينفجر بصوتٍ موريسيٍّ[3]... "كعذراء"[4]. ودائمًا ما كان يحمل صليبًا صغيراً في جيب سُترَةِ زِيِّه. النسخة المُصغَّرة من يسوع كانت بيضاء، لكن صليبه كان نوعًا ما بُنِّيًا، وبالتالي امتزج مع اللون الأخضر الداكن للزِّيِّ الرسمي. كان تأثير ذلك أن المسيح الصغير دائمًا ما كان يخرج من الجيب كما

(1) Pula: مدينة في كرواتيا.

(2) Piti rosu.

(3) نسبة إلى المغنّي الانجليزي باتريك موريسي.

(4) Like a virgin: غَنّتها المغنية الأمريكية مادونّا عام 1984.

لـو أنـه يلـوِّح بيديـه قائـلًا: "يـا شـباب، اسـمعوا!" ربمـا كان أنـدرو يسـمعه؛ لأنـه مـن وقـتٍ لآخـر كان يبـدأ بالتَّفَلسُـف حـول عبثيـة الحـرب، وهـو خـلافٌ لمـا يرغـب أي جنـدي في سَـماعِه عـادَةً. وبـين الحـين والآخـر كان يفعـل شـيئًا مجنونًـا، مثـل الركـض عاريًـا عـبر خَـطِّ العـدو والعـودة، أو مـا يفعلـه الآن، الصيـاح مـن أجـل النـدى.

لم يكــن مُتَّزنًــا، وكان يافــور مُحِقًّــا تمامًــا في قتلــه. لكننــي وأنــدرو قضينـا ذات مـرة ليلـة كاملـة معًـا، نـشرب ونُغنّـي في العـراء. لقـد فقدنـا مجموعتنـا وفـرغ مخزوننـا مـن الرصـاص عندمـا عثرنـا عـلى دبَّابـةٍ تابِعَـةٍ لشـيتنيك تـمَّ تفجيرهـا. عثرنـا بداخلهـا عـلى زجاجـة راكيـا[1] سرعـان مـا أطلقــت العنــان لأرواحنــا الغنائيــة.

كان أغبـى شيء يمكننـا القيـام بـه، غنـاء الأغـاني الكرواتيـة في قلـب ليلـة صربيـة. كان مـن الممكـن أن تُسـكِتَنا رَصاصـةٌ في أي لحظـة. لكـن عليـك أن تفهـم أن القتـال في الحـرب يشـبه لعـب الروليـت الـروسي عـلى مـدار السـاعة طـوال أيـام الأسـبوع. كل نَفَـسٍ يمكـن أن يكـون نَفَسَـكَ الأخـير. إنهـا فكـرةٌ مُروِّعـة، لكنهـا تتحـول ببـطء إلى فكـرة مثـيرة؛ أدمَنتُهـا نوعًـا مـا، حتـى إنـك تبـدأ في تَخطِّـي الحـدود. كُنّـا صغـارًا لا نخـاف، مُتعَبـين مـن القتـال، ولا نهتـمُّ كثـيرًا.

لحُسـن الحـظِّ، كنَّـا نغنـي أغنيـة الفائـز اليوغوسـلافي في مسـابقة الأغاني الأوروبيـة لعـام 1989 عندمـا ظهـر فجـأةً أمامنـا جنـديٌ صربيٌ مَخمـورٌ للغايـة، مرتديًـا مُعِـدَّات الجيـش الكاملـة. هـل يمكـن أن ينضَـمَّ إلينـا؟ سـأل هـل لدينـا خمـر؟ يبـدو أنـه كان يعتقـد أننـا أبنـاء وطنـه، حيـث كنَّـا نجلـس عـلى رأس دبَّابـةٍ صِربيّـة ونُغنِّـي أغنيـة يوغسـلافية. فقـط بعـد الرَّشـفة الأولى أدرك أننـا كُنّـا العـدوَّ.

(1) مشروب كحولي شهير في وسط وجنوب شرق أوروبا.

عندما لمح شعار هرفاتسكا[1] على زيّي العسكري. كانت هناك لحظة طويلة من التشويق وهو يُحدِّق فيها ونظرنا إلى بندقيته. كانت بنادقنا مُلقاةً على الأرض أسفلنا، خالية من أي ذخيرة. بعد ذلك، أنقذ أندرو الليلة بأن أكمل معنا الأغنية مرة أخرى. انضمَّ إليه الصربي، صرخنا معًا مثل ثلاثة قِطَط في الأزِقَّة، غنَّى ثلاثتنا: "مَتِّعني يا حبيبي! لا شيء يهمُّ. مَتِّعني ودَعْه يدوم"[2].

أنقذَت المسابقة الأوروبية حياتي. أنقذ أندرو حياتي.

في نهاية الزجاجة اعترف أندرو بالحقيقة. كان مِثليًّا وأراد تقبيلي. كان أندرو صبيًّا وسيمًا، شَعرُه أسود، بَشرَتُه جذَّابة، شفاهٌ ممتلئة. أعتقد أنه كان من طراز اليوم 156، وقد استمرّت الحرب بالفعل نصفَ عام و... حسنًا، كِدتُ أرغب في تقبيله (الحرب إمَّا تجعلك فاشِيًّا أو شاذًّا)، لكنني لم أستطع ذلك، ليس بسبب ذِكرَى والدي مُضاجِعِ الصِّرب اللعين، لكننا جميعًا شعرنا بالإثارة، وأنزلنا سراويلنا، وقام أندرو باستمنائنا أنا والصِّربي. كانت أغرب صورة لديَّ من تلك الحرب اللعينة.

الفتى المِثليُّ المجنون من بولا يستمنينا في الليل المُرقَّش العميق، مع قضيبٍ في كلتا يديه: واحد صربي والآخر كرواتي. لو كانت لدينا أُمَمٌ مِثليَّةُ الجنس لقَلَّت الحروب.

أستيقظ مع ظِلالِ حَربٍ تُرَفرِفُ حول الغرفة البيضاء الساطعة. يحاول ماضيَّ المظلِمُ أن يُوازِنَ حياتي هنا في الجزيرة الصامتة المُشرِقة، حيث تذهب للنوم في وَضَحِ النَّهار وتستيقظ في ضوء الشمس الصارخ في السادسة صباحًا.

(1) - كرواتيا.

(2) - بالكرواتية في الأصل.

النوم صعب. أشعر وكأنني في مستشفى. مستشفى ساطعة الأضواء، صامتة حَدَّ الموت، من النوع الذي يُمنع فيه ارتداء الأحذية في الداخل. حتى إن جودموندور يتجوَّل في منزله مرتديًا جواربه فقط. هذا مُقرِف.

وهذه الأرض المسالمة لم تشهد حربًا من قبل، ليس في ألف سنة. لا بُدَّ وأن الأمر يتعلق بتلك الجزيرة، حيث لا مزيد من الندى للقتال من أجله.

هل كان من الضروري أن يموت كلُّ هؤلاء الناس فقط حتى نتمكَّن من ادِّعاء كنين كمدينة كرواتية؟ ما زلتُ أسأل نفسي هذا السؤال.

بعد فترة وجيزة من الحرب، عرجت عليها، هذه المدينة التافهة التي يبلغ عدد سُكَّانها خمسة عشر ألف نسمة. أصابني مشهد عَلَمِنا، إذ يرفرف فوق تلك الأسطح المُحطَّمة، بالغثيان في بطني. في الواقع كان عليَّ إيقاف السيارة والتقيُّؤ. لقد تقيَّأتُ على الأرض التي طالَبنا بها، الأرض التي كُنتُ على استعداد للتَّخلِّي عن حياتي من أجلها. ومع ذلك كان علينا أن نفعل ذلك، كان يجب علينا ذلك، لا تسألني لماذا. كان علينا فقط بحق الجحيم.

كلُّ إنسان ينتمي إلى أُمَّة، أو شيء أعظم منه.

الأُمَّة هي مجموع قُوَّتِنا، وكذلك غباؤنا الجَماعيُّ. تجبر الحَربُ الأُمَّةَ على طاعة غبائنا الجَماعيِّ.

أستيقظ وأمضي إلى الحمَّام. إنه نظيف للغاية. هذا هو المكان الذي تتغوَّط فيه الملائكة. لديَّ صداعُ ما بعد الشُّرب المُقدَّس. ليس فقط من البيرة، ولكن أيضًا من كل كلمة قُلتُها على التلفزيون. كان جودموندور سعيدًا جدًّا بأدائي. لم يخذله زميله الأمريكي.

أتساءل عمَّا إذا كان لديهم حارسٌ تليفزيوني في السّفارة الأمريكية، مخبولٌ ما بوَجهٍ تملؤه البثور، مَهمَّتُه هي مشاهدة جميع البرامج المحلية والتَّحقُّق مِمَّا إذا كانت تحتوي على بعض رسائل "اضربْ بوش" أو "اللعنة على مكتب التحقيقات الفيدرالي"، وبعد ذلك في منتصف الليل، كان سيشاهدني فجأةً على الشاشة، وجه مستدير أصلع، يتطابق مع مُلصَقِ أكثر المطلوبين في أمريكا على الحائط بجانب جهاز التلفزيون. الأحمق الكرواتي الذي قتل عميلَ مكتب التحقيقات الفيدرالي في كوينز الأسبوع الماضي، مُتنكِّرًا ككاهن عُثِر عليه ميِّتًا في حمَّام چون كينيدي الثلاثاء الماضي. لقد انتظَرتُ طوال الليل حتى تظهر فرقة التَّدخُّل السريع، وكنتُ أستيقظ كل نصف ساعة.

في الساعة الرابعة اتَّصلتُ بحبِّي، مونيتا. لكن بلا إجابة.

يستيقظ الزوجان المقدَّسان في الساعة 7 صباحًا. تبدأ صلاة الصباح الساعة 7:30. الأب فريندلي يجب أن يحضر. "يا رب خلِّصْني من خطاياي".

بعد الإفطار أخذوني لمشاهدة معالم المدينة. هناك يعيش الرئيس، وهناك مركز التسوُّق، وهناك يُخزِّنون مياه البركان. هنا يصنعون مُنتَج الألبان المشهور عالميًّا المسمَّى إسكير، والمسبح الموجود هناك واحد من أفضل المسابح في العالم. في الواقع يبذلون قصارى جهدهم لإقناعي بأن بلدهم هو "الأفضل في العالم". إنهم لم يَنفكُّوا يتحدَّثون عن أطول عمر، وأسعد الناس، وأنظف هواء، وما إلى ذلك. أريد حقًّا أن أُخبِرَهم أن بلدًا خاليًا من بيوت الدَّعارة ومحلات الأسلحة لا يمكن حتى أن يُطلَق عليه بلد، ولكن بدلًا من ذلك أومَأت نُسخَةُ فريندلي برأسها، ببطء ولكن بإصرار، مثل حفَّار نفطٍ في تكساس.

يقـوم جودمونـدور بإيصـال زوجتـه إلى محطـة التلفزيـون لتسـجيل برنامجهـا ونحـن نقـود السـيارة، عـلى الرغـم مـن أنـه يشـعر بالحاجـة إلى التوضيـح:

"لا أعتقـد أن المـرأة يجـب أن تعمـل خـارج المنـزل، لكـن زوجتـي تقـوم بعملهـا مـن أجـل اللـه وهـذا أمـر مختلـف، عـلى مـا أعتقـد".

"إنها تعمل في بيت الله" دفعتُ السيد فريندلي ليقول هذا.

يَسـعَد جودمونـدور بالإجابـة ويضحـك قليـلًا قبـل طـرح سـؤال صعـب نوعًـا مـا:

"ماذا عن زوجتك؟ هل تـعمل خارج المنزل؟".

بئسًا... لديَّ زوجة.

"هي؟ لا، تُفضِّل الأعمال المنزلية. وأنا سعيد جدًّا بذلك".

"كنتُ حزينًا جدًّا عندما سمعتُ عن حادثها".

حقًّا؟ زوجتي كانت في حادث سيارة؟ أتمنَّى أن تكون بخير.

"نعـم. شـكرًا لـك" أقـول بعيـونٍ حزينـة، مثـل مُمثِّـل سـيِّئ في إعـلانٍ تجـاريٍّ غبـي.

"لا بُدَّ وأنك تشتاق إليها كثيرًا".

بئسًا! ها قد رحَلَت زوجتي. هذا مثل مشاهدة فيلم إثارة باتجاهٍ عكسي.

"نعم بالتأكيد. من الصعب أن تكون وحيدًا".

"وليس لديك أطفال منها؟".

رائعٌ. هذا قاسٍ.

"إيـه... لا، لا أعتقـد ذلـك" اللعنـة كان هـذا فظيعًا "أعنـي... عَمليًّا لا" لا تسـألني مـاذا أعنـي بهـذا، ليـس لـديَّ أي فكـرة.

يقـود سـيارته في صمـت. لم يطـرح أيَّ أسـئلة أخـرى. إنـه أمـرٌ مُزعِـج للغايـة. هـل يشـكُّ في شيء؟ كـسر حاجـز الصمـت وعـاد إلى بدايـة الحديـث، المـرأة والعمـل.

"لكن جانهولدر.. هل تعمل في مقهى؟".

"بـلى، أنـا أمنحهـا الوقـت، لديهـا الوقـت للتفكـير، عندمـا كنـتُ في الثلاثـين مـن عمـري كنـتُ في الشـارع. كنـتُ أشرب. لم أرَ النـور. عندمـا تدخـل الخمـر، يذهـب العقـل".

أُلقي نظرة فاحصة عليه، في النهاية لم يكن قدِّيسًا.

نـزور كنيسـة صديقـه في بلـدة مجـاورة تشـبه تلـك التـي تظهـر في أفـلام الجريمـة. تبـدو وكأنهـا صالـة ألعـاب رياضيـة أكـثر مـن كونها كنيسـة عاديـة، ورائحـة العَـرَق تمـلأ الهـواء. اسـم صديقـه أقـصر مـن اسـم أيٍّ مـن مضيِّفـيَّ، ولكـن مـن الصعـب جـدًّا النُّطـق بـه. يُكتـب "ثـوردور"، لكـن بعـد مسـاعدتهم لي عـلى تهجئتـه يبـدو أقـرب إلى "تورتشـور"[1].

وجهه مستدير بنظارة دائرية ولحية تَوراتيَّة كاملة.

السِّـمة العصريـة الوحيـدة فيـه هـي شَـعرُه الطويـل الـذي يمسـحه بالجِـلِّ المُبـارَك. في الواقـع، يُذكِّـرني قليـلًا بوالـدي ذي الوجـه العريـض، بُورِكَـت روحـه. أخـبرني جودمونـدور أن تورتشـور يظهـر عـلى قناتـه التلفزيونيـة كلَّ يـوم، وهـو أمـرٌ واضـح. إن حديثـه عـالٍ وواضِـحٌ كأنـه مـا زال أمـام الكامـيرا، لم يـترك الكتـاب المقـدَّس طـوال الدقائـق الثلاثـين، مُمسِـكًا إيـاه في يـده مثـل المطرقـة المقدَّسـة. يرفعـه مـرة أو مرتـين في

(1) Torture: بمعنى تعذيب.

الهـواء كـما لـو كان يُسَـمِّر أطروحاتـه عـلى البـاب الأمامـي لكنيسـته. وجهـات نظـره غـير تقليديـة ومتطرِّفـة، ولغتـه أكـثر تنوُّعًـا مـن غيرهـا.

"يسـألني النـاس أحيانًـا مـا إذا كانـوا بحاجـة إلى الخِتـان لدخـول الجنـة. أقـول لهـم لا، لا حاجـة لـه. لا يتعلَّـق الأمـر بالأعضـاء التناسـلية، بـل بالقلـب. السـؤال هـو: هـل أنـتَ مسـتعدٌّ لفتـح غُلْفَـة قلبـك والدخـول في نـور اللـه الحـي؟".

تشـتعل في عينيـه نـار رُهـاب المِثليَّـة، وعندمـا ألقـي عليهـم نظـرةً عميقـةً أرى عـبر النـيران، زميـلًا مِثليًّـا نحيفًـا مُسـمَّرًا عـلى صليـبٍ ويُنشِـد عبـارة "سـأعيش". يضيـف الأب فرينـدلي الوَقـودَ إلى هـذه النـار إذ يتذكَّـر توكسـيك ليلتـه مـع أنـدرو.

أقـول: "اعتدنـا أن يكـون لدينـا هـذا الرجـل المِثـليُّ في رَعيَّتنـا في ڤرچينيـا... لكـن بعـد أن مزَّقـت القـرطَ مـن شَـحمَة أذنـه مسـتخدمًا الكمَّاشـة، انتقـل مـن كونـه مِثليًّـا لكونـه بخـير".

ينظـر جودمونـدور إلى صديقـه الملتحـي مثـل صبـيٍّ صغـير، ويضحـك تورتشـور مثـل الشـيطان نفسـه، مُجيبًـا بلُغَتِـه الإنجليزيـة الجميلـة:

"هيه هيه. هكذا يتمُّ الأمر! عَلِّم على خُصاهم!".

يتـمادى فرينـدلي: "أو استَخدِمْها كمطفـأة حريـق. ذات مـرة كان لـديَّ صبـيٌّ مذبـحٍ بَـدَا أنثويًّـا جـدًّا بالنسـبة لعمـره. تَحتَّـم عـليَّ أن أُعَلِّمـه درسًـا؛ لذلـك استخدمته لإطفـاء الشُّـموع، بفمـه. كنـتُ أقـول لـه: "خـيرٌ لـكَ أن تنفـخ نـورَ الـرَّبِّ مـن أن تنفـخ قضيـبَ الظَّـلام!".

حـدَّق كلاهـما في وجهـي للحظـة قبـل أن يبـدأ كلاهـما بالضحـك مثـل شـقيقين في منتصـف العمـر يلتقيـان بالصُّدفـة في بهـو فنـدق بعـد أربعـين عامًـا. "قضيـب الظـلام! هـا هـا!".

"الأب فرينـدلي كان بارعًـا جـدًّا عـلى شاشـة التلفـزيـون الليلـة الماضيـة، هـل رأيتَـه؟" يسـأل جودمونـدور صديقه.

"نعـم رأيتـه" يقـول تورتشـور، ويضـع يـده اليمنـى عـلى كتفـي. ذراع النـار.

10
كعبي العالي[1]

20/05/2006

تمـرُّ الأيـام. أتكيّـف بالتدريـج مـع حيـاة المنفـى، وتسـير الأمـور عـلى مـا يـرام. لقـد اعتـدتُ عـلى الصَّمـت والسـطوع وكذلـك التعقيـم في المنـزل. لكـنَّ الـبرد هـو أصعـبُ مـا أتعامـل معـه. إنـه أكـثر شـهور مايـو بـرودةً في حيـاتي، ومـع ذلـك، يتحدَّثـون في كل مـكان عـن كونـه أجمـل ربيـع.

توضِّـح سـيكريدر: "سـنرضى إذا حصلنـا عـلى عـشر درجـات هنـا في أيسـلندا". يـا للمسـاكين. سـأكون سـعيدًا إذا حصلـتُ عـلى عـشر دقائـق إضافيَّـة فقـط هنـا.

في الصبـاح، يـزور الأب فرينـدلي العديـدَ مـن الكنائـس والمنظـمات التطوُّعيَّـة حيـث يعاملونـه مثـل البابـا في جولـة، يُغدِقـون عليـه بالقهـوة

(1) MOJA ŠTIKLA: أغنية بوب اشتهرت في كرواتيا عام 2006.

والبسـكويت، ويُحَمِّلونـه بالكُتيِّبـات والنـشرات التـي تُظهـر عملهـم الجيـد. إنهـم يبنـون روضـة أطفـال في كينيـا، مدرسـة ابتدائيـة في الهنـد. الكَهَنـة كلهـم رجـال والمتطوِّعـون كلهـم نسـاء. أرفـع احتجاجـاتي إلى جودمونـدور بمجـرَّد أن نكـون في السـيارة.

أقول: "أنا قَلِقٌ من رؤية كل هؤلاء النساء يعملن خارج منازلهن".

"كل شيء عـلى مـا يُـرام طالمـا أنهـنَّ لا يَحصُلـن عـلى أجـر"، أجـاب وغمـز لي بطريقـة شـديدة الطَّرافَـة.

عـادة مـا تكـون فـترات بعـد الظُّهـر خاصَّـةً بي. أتجـوَّل في المدينـة بأسـلوب أ.ق.أ، أتحـرَّك ببـطء في ليكـور فيـكار، الشـارع الرئيـسي، أشـاهد النسـاء وأنظـر إلى واجهـات المتاجـر باحثًـا بـلا أمـلٍ عـن مسـدَّس أحلامـي. أمـشي بطـول الطريـق أسـفل التَّـلِّ إلى السـاحة الرئيسـية، والتـي تبـدو وكأنهـا سـاحة انتظـار سـيارات فارغـة أكـثر منهـا سـاحة مدينـة.

يمكنـك شراء مجلـة Handgun التـي يُفضِّلهـا أيُّ قاتـلٍ في متجـر كتـب دافـئ بالقـرب مـن السـاحة. يبـدو أن سـميث ويسـون لديهـم نمـوذج جديـد. "سـهل عـلى يـدك، سـهل عـلى هدفـك" أقـرب إلى "مسـدَّس خـالٍ مـن الذَّنـب" الـذي لطالمـا حلمنـا بـه نحـن الجلَّاديـن منـذ سـتمائة عـام.

أقـوم بلَـفِّ وشـاحي حـول الياقـة قبـل دفـع ثمـن كـوب كبـير في ماكينـة تسـجيل المدفوعـات النقديـة. أعطتنـي الإيصـالَ فتـاةٌ عجيبـةٌ محلِّيَّـة أخـرى، مـن طـراز اليـوم الثالـث. إنهـا حقيقـةٌ مُسَـلَّمٌ بهـا أن كرواتيـا لديهـا أجمـل النسـاء في العـالم، لكـن أيسـلندا قـد تكـون الوصيفـة المُقرَّبـة. إن أولئـك الشـقراوات الزُّبـدة يختلفـن كثـيراً عـن جميـلات الشَّـعر الداكـن عندنـا.

أجلـس عـلى مقعـد بجـوار البركـة الكبـيرة خلـف الكاتدرائيـة، وأشـاهد البـطَّ والبَجَـع يبحـر حولهـا. إنـه مـكان جميـل حقًّـا، مثـاليٌّ لتدخـين السـجائر. لكننـي لـن أتوقَّـف عـن إقلاعـي عـن التدخـين لمـدة خمـس

سنوات، على الرغم من أنني أعتقد أن لديّ أعذارًا جيدة للقيام بذلك. يجب أن أعتني بصحتي. بدلًا من ذلك، قرأتُ عن هذا الابتكار الأشبه بمُبيد النمل، والذي أصبح مُمكِنًا بفضل الرصاصة الثورية الجديدة من شركة إيجل أي "كبيرة بما يكفي لتقتل ضحيَّتك على الفور، ولكنها صغيرة جدًّا بحيث لا تسكب أي دماء على الإطلاق".

لن يسمحوا لمثل هذه المجلة إلا في أكثر البلدان المسيحية تخوُّفًا من الله على هذا الكوكب. مَن يشتريها هنا في تلك الجزيرة منزوعة السلاح؟ ألقي بها في القمامة قبل دخولي مقهى باريس. الزبدة في الخدمة. أشفط معدتي وأختار واحدة من الطاولات التي تخدمها.

يخشى الكاهن من علاقتها بوالدها ويسألها إن كانت تكرهه.

"أعتقد أن والدي يهتمُّ بالله أكثر من اهتمامه بأطفاله"، تردُّ جانهولدر بشكلٍ عدائيّ على نحو غير عادي، بينما تنظف الطاولة بخرقة مُبلَّلة، فيهتز رأسها كأختٍ إفريقية.

"حسنًا، نحن جميعًا أبناء الله، أبناء وبنات الأب المقدَّس" أجيب بمنتهى الود.

"الأب المقدس، الخراء المقدس. أين هي الأمُّ المُقدَّسة إذن؟ إنها عذراء... رائع! مذهل!. الكنيسة لا تصلح إلا للرجال البيض الحمقى" تبصق كلامها، ثم تغادر بقطعة قماشها وصينيتها. عليَّ أن أعترف أنني مُعجَبٌ بها بشدَّة، لكن الأب فريندلي يعتقد عكس ذلك.

عندما عادت بكوب لاتيه قال: "والداك أناس مُقدَّسون وأعتقد أنهم يستحقُّون احترامك".

"إنهم ليسوا مُقدَّسين. عدم ارتكاب الذنوب لسنواتٍ لا يجعلك مُقدَّسًا. مُدمِنُ الكحول الذي لا يشرب يظلُّ مُدمِنًا على الكحول مثل مَن يشرب".

يا للهول... هذا عميق جدًّا بالنسبة لي، وبدلًا من ذلك أركِّز على شفتيها. أحتفظ بكلبٍ عسكريٍّ كرواتيٍّ مسعورٍ خلف بوَّابات الكنيسة الثقيلة في ظهري الكهنوتي. عاجِلًا أم آجِلًا سيخرج من طوق الكلب اللعين ويبدأ في لعق شفاه الفراولة اللامعة.

من المفترض أن أعود إلى البيت المقدس بحلول الساعة السادسة. عادةً ما أسافر بسيارة أجرة، على الرغم من أنني أستطيع السفر من نيويورك إلى بوسطن بنفس المبلغ. يمكن لإيجور أن يتحمَّلها. المال ليس مشكلةً في لعبتنا أبدًا، على الرغم من أن بطاقة المدفوعات الذهبية الخاصة بـفريندلي من المحتمل أن يكون لها حدٌّ أقصى، لكن استخدام البلاستيك المتديِّن الخاص به سيكون بمثابة إرسال دعوة إلى الفيدراليين.

في الساعة 6:30 مساءً نتناول وجبةً مُتواضِعةً أعدَّتها سيكريدر. طعامها يجعلني دائمًا أفكِّر في جيري ساينفلد. شكل الطاولة لذيذٌ للغاية، لكن الطعام لا مذاق له على الإطلاق. بحلول الساعة 8.00 مساءً نكون في الاستوديو. تقرض سيكرير بعض مساحيق التجميل الخاصَّة بها للرَّجُلَيْن اللَّذَيْن يبدأ بثُّهما في الساعة 8:30. المضحك أنني سأشارك فيه، لقد بدأ الأمر يعجبني، بل صِرتُ أتطلَّع إلى ذلك تقريبًا. حتى إنني اشتريتُ نُسخةً من إنجيل الملك چيمس. الوعظ يجعلك قويًّا.

"لأنني كلِمته! وكَلِمَتُه هي أنا! فتكلَّموا!".

كِدتُ أندم أن السبت عطلة. يقول جودموندور: "هذا بسبب يوروڤيچن". ستُقام مسابقة الأغاني الأوروبية السنوية الليلة، حيث تشارك أيسلندا للسنة العشرين، وكرواتيا في السنة الحادية عشرة. يبدو أن هذا هو الحدث التلفزيوني لهذا العام.

"لا داعـي للوعـظ الليلـة. تسـعة وتسـعون بالمائـة مـن كل النـاس يشـاهدون يوروفيچـن، وتخلـو كل الشـوارع. سـنعرض الليلـة تسـجيلًا قديمًـا وحسـب". وهـذا أيضًـا وقـتُ لَـمِّ شَـمْل الأُسرة؛ جانهولـدر وشـقيقها تراسـتر كلاهـما قـادمٌ لتنـاول العشـاء.

يبـدو تراسـتر مختلفًـا تمامًـا عـن أختـه. إذا كانـت هـي بجعـة، فهـو عصفـور: رجـلٌ ناعـس العينـين منتفـخ الصـدر، صغـير ومسـتدير. إلَّا أنـه قـويٌّ أكـثر مـن كونـه سـمينًا. لديـه يَـدَا رَجُـلٍ عامِـلٍ وأصابعـه تبـدو عليهـا مهـارة الحرفيـين. وجهـه أملـس مـا عـدا بعـض الشـعر الأبيـض الـذي يغطي شـفته العليـا. ومـع ذلـك، لا بُـدَّ وأنـه في السادسـة والعشريـن أو السـابعة والعشريـن مـن عمـره. بالـكاد يتحـدث ولا يرفـع عينـه عـن وجبتـه أبـدًا، لكنـي مـا زلـتُ أجـد وجـوده مريحًـا بشـكل غريـب، وأدرك أننـي سـأجد صعوبـةً في اتِّبـاع الأوامـر إذا قالـوا لي أن أتخلَّـص منـه.

"تراسـتر هـو اسـم طائـر أيسـلندي لطيـف للغايـة" تقـول سـيدة المنـزل وهـي تمـرُّ عـليَّ بالصلصـة البيضـاء، والمُقدَّسـة للغايـة.

"إنها ليست أيسلندية" اعترَضَت ابنتها بجفونٍ ثقيلة.

"مـاذا تقصديـن؟ تراسـتر؟" تقـول سـيكريدر باندهـاش كبـير. "إنـه أحـد أكـثر الطيـور الأيسـلندية. لدينـا حتـى قصيـدة عنـه".

"نعـم، لكـن يـا أمـي هـذا لا يعنـي أنهـا أيسـلندية. الطائـر هنـا فقـط في فصـل الصيـف، ويقـضي معظـم العـام في فرنسـا أو إسـبانيا. ألا يجعلـه هـذا إسـبانيًّا أكـثر منـه أيسـلنديًّا؟".

"إسـباني! كيـف يمكنـك أن تقـولي هـذا؟ تراسـتر هـو أشـهر الطيـور لدينـا في أيسـلندا".

"يقضي معظم وقته في إسبانيا".

"لكـن... أطفالـه وُلِـدوا في أيسـلندا، إنهـم مواطنـون أيسـلنديون، ويجـب أن يكـون كذلـك. لقـد وُلِـدَ أيضًـا في أيسـلندا!".

"مواطنـون أيسـلنديون؟" تقـول جانهولـدر: "تتحدَّثـين بعنصريـة يـا أمـي".

مـن الصعـب معرفـة مـا إذا كان والداهـا يفهـمان الكلمـة، لكـن والدتهـا تغلـق عينيهـا وتُطبِـق شـفتيها. ينهـض جودمونـدور مـن الطاولـة ويمـشي إلى رَفِّ الكتـب ليسـحب مُجلَّـدًا، وتحـاول سـيكريدر أن تُهـدِّئ الأمـور باللجـوء إلى الأب فرينـدلي: "أنـا لا أعـرف مـا اسـم هـذا الطائـر بالإنجليزيـة، لكـن...".

"إنـه أحمـر الجنـاح" هكـذا صـاح زوجهـا الطيـب وهـو ينظـر في قامـوس نحيـف.

تشـكره وتـشرح لي أن أحمـر الجنـاح هـو "طائـر سـفر". تُدير جانهولدر عينيهـا، لكـن تراسـتر يجلـس هنـاك، مثـل بحَّـار أصـمّ وجَدَتـه العائلـة عـلى الشـاطئ هـذا الصبـاح. وجنتـاه العـذراوان مُلطَّخَتـان بأحمـر خـدود ناعـم، كـما لـو كانـوا يحاولـون مسـاعدتي في تصوُّر أحمـر الجنـاح.

"أمْ أنـه طائـر مسـافر" تواصـل سـيكريدر "مـاذا تقـول؟ مـاذا تُسـمِّي الطائـر الـذي يعيـش في اثنـين... ".

" لا أعرف.. طائر هجرة؟" هو تخميني الجامح.

تلتقطها جانهولدر بسخرية شريرة: "طائر مهاجر".

نأكل في صمت.

انتهـى تراسـتر مـن وجبتـه والتقـت أعينُنـا. رَجُـلٌ مسـكين. عندمـا قدَّمـه والـداه إليَّ، أضافـا بشـكل غريـب أنـه عشـيق، كـما لـو كان متخلِّفًـا.

"أوه؟ ومَن المحظوظة؟" سألتُ.

"نعم، إنها محظوظة جدًا. ونحن أيضًا".

يجب أن أعترف أنني كنتُ أتطلّع طوال اليوم لمشاهدة مسابقة الأغنية الأوروبية يوروڤيچن الغبيّة. لقد مَرّت سِتُّ سنوات كاملة منذ شاهَدتُ البرنامج الذي أنقذ حياتي. نجتمع على أريكة الزاوية الكبيرة، ويقوم جودموندور بتشغيل شاشته المسطّحة. البَثُّ مباشرٌ من أثينا في اليونان، والجو لا يختلف عن أجواء جمهور الإنجيليين التلفزيوني الضخم: عشرة آلاف شخص يصرخون بفرح في نهاية كل أغنية، ما عدا الأغنية الأيسلندية. فتاة قَذِرَة ترتدي زِيَّ عاهِرةٍ لا تتلقّى سوى صيحات الاستهجان الشديدة. بَدَت الأغنية جيِّدةً، لكن غطرستها بالتأكيد لن تُرضي الإغريق. في الواقع تُذكّرني قليلًا بجانهولدر.

ألقي نظرةً على مُضيفيّ، من بين كل الأفعال العلمانية ربما كان هذا هو أقلها تَديُّنًا، المغنية التي تبتسم ابتسامة شيطانية، كما لو كانت قد نامت للتَّوّ مع منتج العرض. ينظر جودموندور إليَّ بابتسامة مُعقَّدة، كما لو كان مندوبًا للأمم المتحدة وقد تَبوّل رئيس وزرائه للتَّوّ على المنصّة.

تُوضِّح جانهولدر: "إنها مُجرّد مَزحَة، هذه المُغنِّية... إنها تسخر من كل شيء داعر".

تنفجر كلمة الـ "د" بهدوء في الغرفة، مثل ضَرطَةٍ صامتة ولكنها خطيرة. يُذكّرها والدها بلُطفٍ بأن مثل هذه الكلمة غير مقبولة في منزله، وحتى توكسيك فوجئ، وتذَكّر كيف أن "الشيء الداعر" أنقذ حياته.

نستعرض عشر أغانٍ أو أكثر -معظمها من فئة موسيقى التكنو سلاڤية، أو تكنوسلاڤيك كما نقول- حتى ظهَرَت كرواتيا العزيزة، هرڤاتسكا العزيزة الغالية، كاد تومو يتبوّل في سرواله الداخلي وهو

يشاهد الإلهة الوطنية تمشي على خشبة المسرح. إنها سيڤرينا، سيڤرينا العزيزة الغالية. سيڤرينا ڤوكوڤيتش.

بالنسبة لأبناء سبليت، كانت أجملَ فتاة في العالم. كانت تَكبُرُني بأربع سنوات، ولم أجرؤ حتى على الحلم بها. رأيتها ذات مرة تمشي في مارمونتوڤا مع والدتها، فانتابني فَواقٌ فظيع في القلب. على الرغم من أنني لم أرَها منذ سنوات -منذ أن انتشر شريطها الجنسيُّ على الإنترنت وأبكى كلَّ كرواتيٍّ لمدة أسبوع- لكنها لا تزال تبدو وكأنها أجمل امرأة في العالم. إنها ترتدي فستانًا أحمر طويلًا مفتوحًا من الأمام، وتتباهى بساقيها المثاليَّتَيْن. تُدعِّمها فرقةٌ موسيقيَّةٌ مَحلِّيَّةٌ "لأن العشب لم يَنبُت بَعدُ"[1] أشعر بالحنين إلى الوطن، أشعر به في معدتي. آه، هذا فظيع. "حيث يقف كعبي" يا رَجُل، لا أستطيع التَّحمُّل. مشاهدتها وهي ترقص على الشاشة تخلق إحساسًا عميقًا بداخلي، إنه مثل رؤية والِدَيْك يداعبان بعضهما، تمهيد إحضارك إلى العالم، والسبب الأساسي لوجودك.

أشعر بحنين شديد إلى الوطن.

وفي مكان ما عميقًا، أشعر بالرغبة في البكاء. لكن دموعي الحجرية لن تعود إلى حالتها السائلة. يجب أن يصنعوا ڤياجرا للبكاء. آمل ألّا يلاحظوا عيني المغبّشة، أو فمي الحزين، أو انتصابي الوطني تحيَّةً لبلادي، إنها لغتي، فتاة أحلام طفولتي، تضرب الرجل الوحيد في المنفى مثل رجُلٍ تدهسه شاحنة في مدينة نيويورك مليئة بالصحف الشعبية (وعلى صفحتها الأولى توني دانزا الداعر[2]) أوه... "وطني الحبيب" ينظرون إليّ. لا بُدَّ وأنني أبدو مثل جَروٍ وحيد يتوق لأمه. أودُّ أن أقول شيئًا.

---

(1) بالكرواتيّة في الأصل

(2) Tony Danza: ممثّل أمريكي.

"إنها الذكريات..." تمكّنتُ من التَّأتأة "... من يوغوسلافيا" يديرون رؤوسهم مرَّةً أخرى إلى الشاشة، متجاهلين الكاهن الحزين الجالس على الأريكة. تتابع سيڤيرينا الصراخ: "مويا شتيكلا! مويا شتيكلا!" يعني هذا "كعبي العالي! كعبي العالي!" فجأة يَرِنُّ جرس الباب، يشبه صوت أجراس الكنائس. اتَّجَه جودموندور إلى الباب، وسمعت رَجُلَيْن يتحدَّثان إليه.

كانت هذه هي إشارة رحيلي.

أستأذن وأنهض مُتظاهِرًا بالذَّهاب إلى الحمَّام، لكن أواصل المرور عبر غرفة الطعام، وصولًا إلى الجزء الخلفي من المنزل. أفتح الباب إلى الشرفة الأرضية وأتردَّد للحظة وجيزة جدًّا. اندفع هواء الربيع الجليدي في وجهي، وأدرك أنني لا أرتدي أي حذاء، فقط جواربي من مدينة نيويورك. في الخلفية تعوي سيڤيرينا على حذائها ذي الكعب العالي، فلم يكن هناك حذاءٌ غيره أخطو به على الشرفة الباردة. أغلَقتُ الباب خلفي بسرعة، ثم ركَضتُ مثل رَجُلٍ مجنون من حديقة لأخرى.

11
تادِيوس

2006/05/20

الرَّكـض عـلى الأسـفلت الأيسـلندي في الجـوارب الأمريكيـة الرقيقـة في الصيـف صعـبٌ عـلى القـدم الكرواتيـة. مـا زِلـتُ لـن أبـكي بسـبب ذلـك. أنـا قاتِـلٌ مُحـتَرِف، ولسـت كاهنًـا.

اتَّخَـذتُ مِــن الـبرد سـوطي وأنـا أركـض في الشـارع مُتَّجِهًـا أعمـق إلى هـذه الضاحيـة مـن القصـور الصغـيرة. لحسـن الحـظ لا أحـد يـراني. الجميـع يشـاهد رقصـة "كعـوب" سـيڤيرينا[1]. الكعـب العـالي هـو أسـاس المـرأة. عليـك فقـط أن تعبـد الفتـاة التـي ترتديهـا. في الواقـع، يمكنـك قيـاس المـرأة بحذائهـا، كلَّـما كانـت أكـثرَ أنوثَـةً؛ كان كعبهـا أعـلى. عـادَةً مـا تكـون كعـوب سـيڤيرينا بطـول ماسـورة مسـدَّس عيـار 9 ملـم.

---

(1) مغنِّية وكاتبة أغانٍ وممثِّلة كرواتية.

قال أحد أصدقائنا إنه قضى معها ليلة على متن قارب والده في الميناء مباشرة. "نُقَلِّب الأمواج حتى ضوء الصباح". لم نُصدِّقه، لكن بالطبع لم نتمكَّن من إثبات خطئه أيضًا. سواء أكان ذلك صحيحًا أم لا، فقد بنى سُمعَتَه الكاملة على القصة، وانتهى به الأمر في البرلمان اللعين.

كلَّما ظهر وجهه على شاشة التلفزيون الكرواتي؛ أمسَكتُ تلقائيًّا بمسدَّسي.

لا أرى أيَّ سيارات شرطة في الجوار. لا فِرَق تَدَخُّل سريع أو عُمَلاءَ سِرِّيِّين يرتدون قُبَّعاتٍ صوفيَّةً يقفزون فوق الحواجز. أعتقد أن الرَّجُلَيْن تَحدَّثا إلى جودموندور باللغة الأيسلندية، ويعمل قسم الشرطة المحلية لصالح الفيدراليين. كل الدول الصغيرة تحتضنها الولايات المتحدة؛ فالكل يريد لحظته في هوليوود. أتساءل ما إذا كانت الشرطة الأيسلندية ستفعل الشيء نفسه مع المُكافئ الإيراني لمكتب التحقيقات الفيدرالي.

استدرتُ يمينًا عند التقاطع التالي، ولاحَظتُ شاحنة توصيل صغيرة من دومينوز بيتزا ظلَّ مُحرِّكها دائرًا. انحنَيتُ خلف السيارة. يقف فتى البيتزا عند مدخل منزل مجاور موليًا إليَّ ظهره إذ يقدم فطائره الساخنة إلى امرأة جذَّابة بأكتاف عارية، من نوع اليوم السادس. أقفز في السيارة وأنطلق، يهرع إلى الشارع بينما أقود السيارة بعيدًا.

أراه يُلوِّح لي مُودِّعًا في مرآة الرؤية الخلفية. الأيسلنديُّون مُهذَّبون.

بعد تفكير سريع إذ أقود في الشوارع الفارغة، عرفتُ أنني لا يجب أن أبتعد. عربة البيتزا مثل الجَرَس حول رقبة الثَّور. ولطالما قال لنا جافور:

"عندما تريد الاختباء، يجب أن تختبئ في قلب العدو. إنه المكان الوحيد الذي لن يبحث فيه".

جميع القصور مُلحَقٌ بها مرآب مُزدَوَج. بعضها يكاد يكون بحجم المنزل نفسه. وأمام كل واحد هناك سيارة دَفْعٍ رُباعيٍّ ضخمة تقف بجانب واحدة أصغر: له ولها. شاحنة فورد سوبر ديوتي بجانب بورش كايين. هؤلاء الناس يحتفظون بالسيارات مثل البدو الذين يربُّون الجِمال. تبدو جميعها جديدة تمامًا، وتتلألأ أسطحها في ليلة الربيع البيضاء.

ومع ذلك، لم توضع تلك العربات داخل المرآب، كما أخبرني الزوجان المقدَّسان في ذلك اليوم، بل تَمَّ بناء الأسقف المسطَّحة كأضرحةٍ للعجول الذهبية التي تستريح تحتها. أخبرني جودموندور أن جاره يُلمِّع سيارته الليكسز كل أسبوعين، وربما يمارس معها الحب باقي الأسابيع. تمَّ تزيين العديد من سيارات الدفع الرباعي بإطارات ضخمة؛ ممَّا وضع أنبوب العادم في الارتفاع المثالي لمثل هذه العملية.

ثمَّة منزل لا توجد سيارات أمام مرآبه المزدوج. مَرَرتُ به وخمسة منازل أخرى، ثم توقَّفتُ، وأوقَفتُ عربة البيتزا بالليمون لأقفز خارجًا وأغلقها.

أُلقي بالمفاتيح في الفِناء المجاور، قبل أن أركض سريعًا إلى المنزل الفارغ. (ربما ترغب في رؤية هذا بالحركة البطيئة: الكاهن السمين يركض على الرصيف بجورب في قدميه، مثل مُدمِن اليانصيب بعد فوات أوان شراء تذكرته). لا يوجد ضوء في النوافذ. على الأقل لا يوجد ضوءٌ مَرئيٌّ. من الصعب التأكُّد؛ لأن الليل ساطِعٌ مثل حفلة موسيقيَّةٍ في الجحيم.

سِرتُ في الممر القصير وصَعَدتُ ثلاث درجات إلى الباب الأمامي. أدُقُّ الجَرَس، فينبح كلبٌ من مسافة. أنتظر قليلًا في البرد القارس لالتقاط أنفاسي، ثم أقرع مرة أخرى. يبدو أن جرس الباب متَّصِل بكلب على بُعد بنايتين من هنا. وإلا فإنه صامت حتى الموت. الحيُّ

كلـه ملتصـق بالتلفـاز، حتـى الأشـجار تسَـمَّرَت في مكانهـا في لهفـة تتسـاءل مـا إذا كانـت سـيڤيرينا سـتفوز؟

يمكـن سـماع صـوت سـيارة في شـارع قريـب. لا بُـدَّ وأنهـم جواسـيس المباحـث الفيدراليـة في طريقهـم. أخرجـتُ السِّـكِّين وفتحـتُ البـاب لأجـد الكلـب الـذي ينبـح داخـل المنـزل. أجـد بعـض النِّعـال في المدخـل، وأتجـوَّل بسرعـة في منـزلي الجديـد. مائتـا مـتر مُربَّـع تخـصُّ أناسًـا محافظـين. مدفـأة غـير مسـتخدمة وبعـض اللوحـات القمريـة الأخـرى، أشـياء ثقيلـة في إطـارات ذهبيـة ثقيلـة، وبعـض الأرائـك الضخمـة وجهـاز للمـشي.

يبـدو أن الكلـب في القبـو. أجـد السُّـلَّم وتقـودني أذني إلى غرفـة الغسـيل. بمجـرد وصـولي إلى الداخـل، أجـد كلبًـا صغـيرًا مُشـعِرًا اعتدنـا أن نطلـق عليـه "باروكـة مُتحرِّكـة" في المنـزل في سـبليت. تدخـل آلـة النبـاح الصغـيرة في نوبـةٍ أنهيهـا بـأن لَوَيـتُ عُنُقَـه بسرعـة. الأمـر سـهل مثـل كـسر سـاق الدجـاج مـن المفصـل.

أجـد بعـض السراويـل الغريبـة عـلى المنـشر، وقميصًـا مُبتَـذَلًا، وملابـس داخليـة رجاليَّـة مغسـولة حديثًـا. يخلـع الرجـل المقـدس الياقـة ويتـبرَّع بهـا لزميلـه الكلـب الميـت- ويـودِّع الأب فرينـدلي. ارتديـت السـروال والقميـص الغريـب، ثـم اتَّجهـتُ بسرعـة إلى المـرآب الـذي يُمنع فيـه تواجد السـيارات.

أفتِّـش عـن علبـة طِـلاء أو شيء يشـبهه. أجـد بعـض طِـلاء المنـزل في زاويـة مُهمَلَـة. أفتـح العلبـة بسـكِّين الجيـش وأُلطِّـخ ملابـسي ووجهـي ببعـض الطـلاء الأبيـض. هـذا عبقـريٌّ للغايـة، أنـا متحمِّـس جـدًّا. نبضـات قلبـي تنتقـل مـن موسـيقى بولـيرو إلى موسـيقى بوسـانوڤا.

أُحـضِر العلبـة المفتوحـة معـي داخـل المنـزل وأجـد بعـض الصحـف في المطبـخ، فأفرشـها عـلى الأرض في الرَّدهـة -حـوالي سـت عـشرة صـورة لفتـاة تافهـة تُغنِّـي لأيسـلندا- وضعـتُ العلبـة فوقهـم. عـثرت في المطبـخ

علـى راديـو فقُمـتُ بتشـغيله. يـصرخ فيـل كولينـز[1] بأنـه كان ينتظـر هـذه اللحظـة طـوال حياتـه. اعتَـدتُ أن أبـكي معـه بصـوتٍ عـالٍ عندمـا هجرتنـي صديقتـي في هانوفـر مثـل كـوبٍ وَرَقـيٍّ فـارغ في سـلَّة مهمـلات. إنهـا أغنيـة انفصـال رائعـة.

أنهيـتُ كل شيء وقـد بَلَّـل العَـرَق رأسي تمامًـا. في النهايـة رنَّ جـرس البـاب. أنتظـر دقيقـةً وأتركـه يَـرِنُّ مـرَّةً أخـرى. الصـوت فخـمٌ للغايـة وكأنه مُصمَّـم لتذكـير المُـلَّاك بثروتهـم. أذهـب إلى البـاب وأفتحـه. دقَّـات قلبـي عـلى أنغـام موسـيقى الديسـكو الآن، يقـف اثنـان مـن رجـال الشرطـة عنـد المدخـل، سـترات سـوداء، قبعـات بيضـاء.

"أهلًا" كما يقولون باللغة الأيسلندية الخالِصة.

"مرحبًا[2]" أقول بلهجة سلافية كثيفة.

"آه... عفوًا، هل تتحدَّث اللغة الإنجليزية؟".

"... قليلًا".

"هل كريستيان بالمنزل؟".

هـل هـذا منـزل مسـيحي؟ هـذا سـؤال غريـب. ربمـا ليسـوا مـن رجـال الشرطـة. ربمـا يكونـا كاهنـين فقـط في دوريـة تجـوب الحـي. "نخـم، أعتقـد أنـه منـزل كريسـتيان. لكننـي لا أغيـش هنـا.." أقـول بأفضـل نُسـخةٍ لـديَّ مـن انجليزيَّـةِ المهاجريـن.

"هل يمكننا التَّحدُّث معه؟".

"معهه؟".

"نعم. نريد التحدث إلى كريستيان".

---

(1) موسيقي انجليزي.

(2) يتعمد الكاتب في الفقرات التالية التحدث بلغة ركيكة.

لهجتهم قوية، مثل مصارعٍ تناوَلَ الكوكايين.

"آه فهمت. لا، كريستيان لا منزل الآن، لا".

"مَن أنت؟".

"أنا تاديوس".

"بولندي".

"نخـم. أنـا أعمـل في المنسـل. كريسـتيان ليـس في المنسـل" أقـول وقـد بَلَّـل الطِّـلاءُ الأبيـض أنفـي.

"تمـام. نبحـث عـن رَجُـلٍ أصلَـعَ في ثيـاب قِسّـيس. هـل رأيـتَ أيَّ شَـخصٍ يركـض هنـا؟".

"لا، آشف، كاهن أصلع؟".

"نعـم. ليـس لديـه شَـعرٌ عـلى رأسـه ويرتـدي زيَّ كاهـن، إنـه رجـل خطـير للغايـة، مجـرم. نحـن نبحـث عنـه".

"كاهـن جنـائي؟" أسـألهم، متذكّـرًا ديـكان ومقولتـه الشـهيرة: "الغبـاء هـو أفضـل تمويـه".

"نعم، إنه مطلوب في أمريكا".

"أعتقد أن لديهم ما يكفي من الكَهَنَة الجنائيِّين في أمريكا؟" أقول.

يبتسـم الشرطيـان الأيسـلنديَّان بابتسـاماتٍ لطيفـة، ويُودِّعانـي بـأدب، ويتمنَّيـان لي التوفيـق في الرسـم.

12
السيد ماك

2006/05/20

لم أعِش في منزل كبير كهذا من قبل. أحِبُّ ذلك تمامًا، عليَّ أن أعترف. فجأة أصبح المنفى مُمتازًا. كان الهروب من البيت المقدس مصدرَ ارتياح كبير. الآن لست بحاجة إلى رسم ابتسامة غبية في الصباح أو السير على الأرضيات اللامعة مثل المسيح على الماء. كان خلع فرينديلي أشبهَ بالتَّخلِّي عن حبيبةٍ صوتُها عالٍ بلهجة من تكساس، ومُدمِنة على الهاتف الخلوي.

أقضي بقية ليلة السبت في المنزل وحدي، مستمتعًا بمسابقة الأغنية الأوروبية لعام 2006 على شاشتي المسطَّحة الكبيرة الجديدة ذات الصوت المحيطي، والتي تبدو في الواقع أشبهَ بشاشةٍ بَدينة. لطالما كان فرز الأصوات هو المُفضَّل لديَّ. فاز بالكأس فنلنديَّان ارتدوا أزياء الهالوين وراحوا يصرخون. تأتي البوسنة والهرسك في المرتبة الثالثة.

احتلَّـت سـيڤيرينا المركـزَ الثالـث عـشر بحصولهـا عـلى سـتَّةٍ وخمسـين صوتًـا فقـط، جميعهـم مـن جمهوريـة يوغوسـلافيا السـابقة. حتـى الـصّرب يشـعرون بالسـوء بمـا يكفـي لمنحنـا عـشر نقـاط، أم كانـوا يُصوِّتـون بقُضبانهـم؟ مـن الواضـح أن بقيـة أوروبـا لم تشـهد الشريـطَ الجنـسيَّ لسـيڤرينا. إذا أردنـا الفـوز بهـذا الـشيء اللعـين مـرَّةً أخـرى؛ فنحـن بحاجـة لإنشـاء المزيـد مـن دول البلقـان.

الثلاجـة مليئـة بالطعـام. أعِـدُّ عِجَّـة في وقـت متأخِّـر مـن الليـل للقاتـل الجائـع المختبـئ، وآخـذه إلى غرفـة البليـاردو في الطابـق السـفلي، محـاولًا أن أبقـى بعيـدًا عـن الأنظـار وأطفـئ الأنـوار. مُـلَّاكي هـم كريسـتيان ب. مـاك وهيلينـا انجولفسـتودير، ويبـدو أنهـما تَحمَّـلا هـذه الأسـماء لنحـو سـتِّين عامًـا. تُظهِـر ألبومـات الصـور زوجـين سـعيدين بشـاربين يبتسـمان في جميـع الأماكـن الجميلـة مـن فلوريـدا إلى سـلوڤينيا. يبـدو أنهـما يسـافران مـن أجـل لقمـة العيـش. يظهـر تقويـم المطبـخ مـارس في كينيـا وأبريـل في بلغاريـا. لا بُـدَّ وأن هيلينـا فكَّـرَت فيَّ؛ إذ علَّمـت حتـى نهايـة هـذا الأسـبوع: لنـدن، لنـدن، لنـدن. ومـن المُقـرَّر أن يعـودا يـوم الاثنـين.

بعد يومٍ طويل حافل بالأحداث، أنا سعيد لأنني سأنام في فراشهما.

إنهـا سـاحة كبـيرة للملاكمـة مـن جانبـه وجانبهـا. لا يمكننـي العثـور عـلى القُفَّـازات، لكـن يمكننـي أن أرى أنهـا تقـرأ بعـض كتـب الطبـخ الإيطاليـة وهـو يقـرأ: كـوزا نوسـترا... تاريـخ المافيـا الصِّقِلِّيَّـة. الطِّليـان اللُّعَنـاء في كل وقـت. مـاذا عـن بعـض الدعايـة للرجـال الصادقـين المثابريـن في المافيـا الكرواتيـة؟ مـاذا عـن بعـض الكتـب وبعـض الأفـلام وبعـض الشُّـهرة؟ اللعنـة. حتـى النَّكِـرة الـذي يحمـل اسـمًا قبيحًـا في تلـك الجزيـرة معزولـة السـلاح يقـرأ عـن مُتغوِّطـي المكرونـة.

أنـام في جانـب الزوجـة، وأحتفـظ بدقائـق اسـتيقاظي الأخـيرة لأرصـد وضعـي الغريـب. مـاذا بعـدُ؟ يمكننـي قتلهـم عنـد عودتهـم والبقـاء هنـا

حتـى تفـرغ الثلاجـة، أو اسـتخدام التذكـرة التـي اشـتراها لي إيجـور في المطـار. لا أرى أي احتـمالات أخـرى.

أقـضي يـومَ الأحـد في المنـزل، مسـتمتعًا بإفطـار طويـل وفاخـر، أحـاول جاهِـدًا قـراءة المقـال المُصاحِـب لصـورتي عـلى الصفحـة الخلفيـة مـن الصحيفـة التـي جـاءت مـن البـاب الأمامـي في وقـت متأخِّـر مـن الليلـة الماضيـة. العنـوان كالتـالي: Mafíumorðingi á Íslandi؟ يبـدو وكأنـه مافيا في أيسـلندا. علامـة الاسـتفهام مطمئنـة. هنـاك ذِكـرٌ لمحطـة الأب فرينـدلي ومحطـة جودمونـدور كريسـتيان التلفزيونيـة، إلى جانـب بعـض الكلـمات مــن الواعــظ نفســه. يمكننــي تخيُّــل وجــه حيــوان اللامــا ذي العينــين الكبيرتـين عـلى عنـق طويـل مُشـعِر أمـام المراسـل: "نحـن في صدمـة كبـيرة، لم نَشُـكَّ في أي شيء. كان ودودًا[1] للغايـة. نحـن نعتـبر أنفسـنا محظوظـين لأننـا عـلى قيـد الحيـاة".

لم يُذكر اسم إيجور. إنه أملي الوحيد الآن.

أحـاول الاتصـال بمونيتـا باسـتخدام هاتـف منـزل آل مـاك. أعلـم أنهـا ليســت أكـثر الخطـوات حِكمـةً، لكنـي لا أسـتطيع المقاومـة. لا بُـدَّ أن أتحـدث معهـا. أتَّصِـل بهـا عـلى هاتفهـا الجـوال فتجيبنـي خاصِّيَّـة الـرَّدِّ الآلي "لـذا مـن فضلـك اتـرك لي رسـالة بعـد الصفـير" لا يمكنـك إلا أن تحـب هـذا الصـوت. هـذا العـالم الناعـم، الدهنـي، المُشـعِر الـذي يمتصُّـكَ مثـل أمٍّ الحيـاة نفسـها، حتـى تَعَثُّرهـا في الـكلام مثـير.

لا تجيـب ولا تعـاود الاتصـال. أتسـاءل عـمَّا إذا كانـت بخـير؟ المـوت العنيـف شـائعٌ في عائلتهـا.

أسـتحمُّ بمـاءٍ سـاخن لمـدة طويلـة، في أكـبر حـوض اسـتحمام مـن شرق فيجـاس، وأتـرك الفقَّاعـات ترتـد عـلى بطنـي لمـدة خمسـين دقيقـة، ثـم

---

(1) استخدام مزدوج لاسم Friendly.

أستمتع بالسّير عاريًا في المنزل مع بيرة باردة في يدي، مُستَغلًا كل المزايا المُذهِلة للتواري عن الأنظار قدر استطاعتي.

خارج الزمن. أنا أعيش في منزل فارغ. أنا لستُ أحد الموجودين في المنزل، أنا غير موجود. أنا فقط تلك القوّة غير المرئية التي تُحرِّك علبة صغيرة خضراء من بيرة هاينكن حول هذا المنزل الكبير، وتمتصُّ محتوياتها ببطء.

عند عودتي إلى الحمَّام، أتفاجأ بشكل سيئ برؤية وجهي في المرآة. لجزء من الثانية أرى الأب فريندلي. أتذكّر اتصالنا السريع بالعين في المرآة في مطار چون إف كينيدي وقلبي يتخطَّى الخفقان. السيد فريندلي عنيدٌ مثل خيلٍ تحت تأثير المنشطات. هو لن ينسى الأمر. كان يناديني باستمرارٍ من قبره مثل زعيمٍ غاضب يشتكي من نعشه. حتى إنني حَلمتُ به الليلة الماضية، في تجمُّع من العباءات البيضاء الطويلة والأشجار الخضراء الطويلة في الهواء الطلق، اقتَرَب منِّي وقبَّلني على جبهتي. شعرتُ بشفتيه كبيرتين وسميكتين ودافئتين كما لو كان أسود. وعندما تَراجَع، رأيتُ أنه في الحقيقة يُشبِه لويس أرمسترونج، رجل البوق العزيز الطيب.

أنا لا أفهم. لقد مات ستة وستون خنزيًرا، دون أي تأنيب ضمير، وفجأة يُلاحِقُني كاهِنٌ أصلعُ قُتِل في حمَّام المطار كفتاة مُغرَمة حتى الإعاقة. ربما لم يكن مُجرَّدَ رَجُلٍ مُقدَّس، بل رَجُل مبجَّل؟ مثل لويس أرمسترونج.

تجعل البيرة عقلي يسبح داخل رأسي، مثل حوت مُحاصَر في حوض مائي صغير الحجم، وأشعر بالارتباك. أنظر إلى نفسي في المرآة، أبحث عن نفسي في المرآة، بطريقة ما أنا لست هناك. أواجه دُميَةَ بابوشكا بوجه واعظ تلفزيوني أمريكي، بداخله الرسام البولندي الساحر تاديوش بوكسيڤيتس، وبداخله مُهرِّب الأسلحة الروسي إيجور إليتش، وبداخله

توكسيك القاتل، وبداخله: توم بوكسيتش أحدث وافِد. وأخيراً بداخله "تشامب"، الفتى تومو، الصبي الصغير من سبليت في كرواتيا.

بدلًا من الشعور بالاكتئاب بشأن عدد وأحجام كل ما عندي من ذواتٍ مختلفة، أضَفتُ واحدة أخرى إلى الدُّمية الخشبية: أخرج من المنزل بصفتي السيد ماك، رجل الأعمال الناجح في جارد ذا بير، أيسلندا. أرتدي معطفًا شتويًّا طويلًا، بُنِّيًا، فاتِحًا، وقُبَّعةً رمادية داكنة، ووشاحًا أحمر حول رقبتي. حذاء من لويدز في لندن. علاوة على ذلك، أحمل حقيبة جلديَّة بُنِّيَّة اللون تحتوي على حذائي الرياضي الروسي وبعض الملابس الداخلية النظيفة.

لا بُدَّ وأنني أبدو سخيفًا تمامًا، مثل قاتِلٍ مَلَكيٍّ في طريقه إلى وظيفة في ساعة متأخِّرة من الليل.

ما زِلتُ أحاول أن أمشي كرجُلِ أعمالٍ: بظَهرٍ مستقيم وبطن منفوخ. الرجل الذي حقَّق كلَّ نجاحاته وراء ظهره والآن يمشي منتصرًا، كما لو أنه لم يكن يُحرِّك قدميه بنفسه، ولكن تدفعه في الطريق حصَصُ استثماراته المتزايدة باستمرار. هذا يعني أنني أمشي ببطء بطول الرصيف، أنا الوحيد الذي يفعل ذلك هنا في بلدٍ لا يمشي فيه أحدٌ. يصيبني هذا ببعض التوتُّر.

كل سيارة ملعونة يرمقني مَن فيها بالنظرات. يبدو أنهم لم يَرَوا رَجُلًا يمشي من قبل. يبدو الأمر كما لو كنتُ على خشبة مسرح مكتمل العدد في المسرح القومي الكرواتي. لكن هذا هو السبيل الوحيد. سرقة سيارة لن تلائم شخصيَّة السيد ماك، وسيارة الأجرة كانت محفوفة بالمخاطر.

الضَّوء عالٍ أكثر من أيِّ وقت مضى. في الساعة العاشرة وثلاث وثلاثون ليلًا، لا تزال الشمس تحترق في الأفق مثل مصباحٍ برتقاليٍّ في

مطعـم صينـي في الهـواء الطَّلـق في بروكلـين. إنهـا أمسـية جميلـة في الواقـع، بِبحـارٍ هادئـة تمامًـا ودرجـات الحـرارة العـشر المعتـادة. عليـك اللعنـة! الآن أبـدو وكأننـي نبيـلٌ بريطـاني... لا بُـدَّ وأن القُبَّعـة هـي السـبب.

13
شركة الجريمة والقتل

2006/05/21

لم أشعر برغبةٍ في قتل الزوجين ماك. يكفي كلبهما. ما زِلتُ بدون أداة العمل المعتادة، وبصراحة لم أتخيَّل أداةً أخرى تمزج بين العاطفة والمؤخرة. لستُ بحاجة إلى نسختين من فريندلي على ظَهري. أيقنتُ أيضًا أن إيجور لم يَعُد خيارًا.

كنت أعتقد أن خطئي في تقديم نفسي كإيجور على أبواب هذا البلد، بدلًا من أن أكون الأب فريندلي بطول الطريق من چون كنيدي، هو شيء من الحظّ الغبي. لكنني الآن لست متأكِّدًا. حقيقة أن السيد فريندلي كان مسافرًا على متن رحلة طيران أيسلندا في تلك الليلة، لكنه لم يحضر إلى أيسلندا بعد ذلك، لا بُدَّ أنه أثار الشكوك في بعض الأماكن النافذة. وعندما تعرَّفوا على الجثة في حمَّام المطار على أنها جُثَّته، قاموا بالحسابات السهلة: قاتِلُه سافَرَ بتذكرته في تلك الليلة.

ثـم قامـوا بعـد ذلـك بفحـص قائمـة الـرُّكَّاب وتحديدهـم جميعًـا عـلى أنهـم سـائحون بـلا سـوابق جنائيـة ومُحِبُّـون للأنهـار الجليديـة باسـتثناء هـذا الرجـل.

ومـن ثـم لا بُـدَّ أن تقريـر مراقـب الجـوازات في تلـك الليلـة قـد اسـتبعد إيجـور عـن كونـه قاتِلًا مُحتَمَـلًا لفرينـدلي؛ لـذا فـإن تَـرْكَ أيسـلندا مُتخفِّيًـا هـو مخاطـرة لـن أقـوم بهـا. لا أريـد أن أقـضي الثلاثـين عامًـا القادمـة في تنـاوُل رغيـف لحـم بــ 32 سِـنت والاسـتماع إلى سـنوب دوج[1] بينـما يخرج مـن الزنزانـة المجـاورة. أنـا مـن مُحِبِّـي كريـد[2]؛ لأنني أبـكي بصـوتٍ عـالٍ. أُفضِّـل البقـاء هنـا بـلا اسـمٍ، وبـلا أسـلحة، وبـلا هـدف في أرض الدرجـات العشر.

تسـتغرق الرحلـة مـن جـارد ذا بـير إلى ريكيافيـك سـاعة تقريبًـا. تمـرُّ سـيارة شرطـة بيضـاء. أحافـظ عـلى هـدوئي. إنـه مثـل المـشي عـلى حبـل مشـدود. يجـب أن أحافـظ عـلى تركيـزي طـوال الوقـت. نظـرة واحـدة إلى اليسـار وقـد أسـقط في أيـدي المباحـث الفيدراليـة.

أسـير في نفـس الطريـق الـذي قـادت فيـه جانهولـدر في اليـوم الأول. أنـا ذاهـب إلى منزلهـا، شـقراء الزُّبـدة هـي أمـلي الوحيـد الآن. لم أجـرؤ عـلى الاتصـال بهـا، لا بُـدَّ وأن هاتفهـا مُتَّصِـلٌ الآن. ليـس لـديَّ أي سـبب للاعتقـاد بأنهـا سـتنتظرني بالبالونـات والكعـك، ولكـن بطريقـةٍ مـا تُخبِرني غريـزةُ حيـوان البلقـان أنهـا سـتفتح لي شـيئًا آخـر غـير البـاب.

كنـت أتجـوَّل عـلى الرصيـف الخـالي بطـول ميكلابـروت. هنـا قابَلْـتُ أوَّلَ عابِـرِ سـبيلٍ في الليـل. يركـض نحـوي رجُـلٌ نحيـف ذو شـعر رمـادي مرتديًـا قميصًـا أحمـر مُلطَّخًـا بالعَـرَق. يمتلـئ وجهـه بـألم رهيـب، وكأنـه يُمثِّـل دور المسـيح عـلى الصليـب. إنهـا مسـألة سـنوات حتـى يَتِـمَّ حظـر

---

(1) Snoop dogg مغني راب وهيب هوب أمريكي شهير.

(2) Creed: فرقة موسيقية أمريكية.

الركـض والتدخـين. كان لـديَّ خمسـة أصدقـاء عدَّائين في مدينـة نيويـورك. اعتدنـا أن نلتقـي في سـنترال بـارك أربـع مـرَّاتٍ أسـبوعيًّا، فقـط للحفـاظ عـلى لياقتنـا مـن أجـل جميلاتنـا.

تمكَّنـتُ مـن الإقـلاع عـن التدخـين بعـد ستة أشـهر، لكنهـم لم يتمكَّنـوا مـن التخلُّـص مـن هـذه العـادة. بعـد ثـلاث سـنوات، فَقَـدَ ثلاثـةٌ منهـم كُلَّ وزنهـم. حسـنًا، عـليَّ أن أعـترف أن أحدهـما أصبـح رقـم 32 عـلى قائمـة ضحايـاي، ولسـببٍ وجيـهٍ جـدًا. قصَّـة حزينـة حقًّـا، لكـنَّ الاثنـين الآخريـن ماتـا بسـبب ظـروف مرتبطـة بالرَّكـض.

وإذ يمـرُّ العَـدَّاء المُعـذَّب ببطء، تمكَّنـتُ مـن تغطيـة وجهـي متظاهـرًا برفـع قُبَّعَتـي تحيـةً، مثـل رجـل سـينمائي مـن المدرسـة القديمـة. عـليَّ أن أكـون حـذرًا. أنـا أعيـش في أيسـلندا الآن. لقـد ظهَـرَت صـورتي في نـشرة الأخبـار في وقـتٍ سـابق الليلـة. كانـت نفـس الصـورة في الصحيفـة، لقطـة مروعـة منـذ بدايـات توكسـيك في ألمانيـا. أبـدو مختلفًـا الآن، ممتلـئ الخدَّيـن وأصلـع، لكـن قـارئ الوجـوه الـذكي سـيعرفني عـلى الفـور.

يبـدو أن الشـمس تغـرب أخـيرًا مـع دخـولي إلى البلـدة القديمـة. مـا زالـت لا توجـد علامـة عـلى الظـلام، إنهـا مُشرِقـة مثـل المَشرَحـة في منتصـف الليـل.

هنـا مـا زالـت السـيارات كلهـا تقـف خـارج المنـازل الصغـيرة، ولكـن هنـاك أيضًـا بعـض العابريـن الذيـن يجـب الابتعـاد عنهـم. ضَلَلـتُ الطريق لفـترة طويلـة، لكـن في النهايـة وجَـدتُ منـزل جانهولـدر المضـاد للرصـاص. إنهـا ليسـت في المنـزل، فأسـتخدم السـكين السـويسري للدخـول.

في الأيـام التـي انقضـت منـذ يـوم الأربعـاء، زادت الفـوضى في شـقَّتها. كيـف يمكنهـا أن تعيـش هكـذا؟ حتـى رجـل قديـم مـن حـرب الاسـتقلال الكرواتيـة لـن يعيـش لمـدة ثلاثـة أيـام في مكـبِّ النفايـات هـذا. جميـع منافـض السـجائر ممتلئـة، والوضـع يسـتدعي اتِّخـاذ إجـراءات صارمـة:

مقــلاة صغــيرة موضوعــة فــوق التلفزيــون، مليئــة بالرمــاد والأعقــاب المكســورة. الملابــس في كل مــكان تغطــي الأرضيــة والأثــاث مثــل ثلــوج مُلوَّنــة. يمكــن لبــيرة فارغــة أن تقــف في مــكان مــا مثــل شــاهد قــبر في الثلــج، نصــب تــذكاري لحفلــة ميتــة طويلــة. يبــدو أن غرفــة النــوم بــدأ ينمــو فيهــا كتَّــانٌ مُتَّسِــخ، ورائحتهــا مثــل صالــة الألعــاب الرياضيــة.

لَمحــتُ تحــت قدمــي مَجَلَّتــيْن: واحــدة تُســمَّى "حائــر ومذهــول"، والأخــرى اســمها "عاهــرة".

ماذا قلت؟ لقد أنجب الزوجان المقدَّسان عاهِرةً.

أخلــع معطفــي وقُبَّعتــي ووشــاحي، وأفــرغ منافــض الســجائر والتقــط الملابــس. في غضــون أربعــين دقيقــة، أصبــح المــكان صالحًــا لصــورةٍ عنوانهــا "دليــل القاتــل المحــترف لتنظيــف البيــوت". ســقطتُ للتَّــوِّ عــلى كــرسي بذراعــين، ذلــك الــذي يواجــه المطبــخ والبــاب الأمامــي الــذي فتحتــه جانهولــدر. أشــفط معــدتي فتــصرخ بــ "مــاذا!" صامِتــةً ثــم تغلــق البــاب.

"ما الذي تفعله هنا؟".

لــو كنــتُ مــا زلــت الأب فرينــدلي لقالــت: "مــا الــذي تفعلــه هنــا بحــق الجحيــم" يعجبهــا القاتــل أكــثر قليــلًا مــن رَجُــل الدِّيــن.

"مــاذا... أنــا لا... مَــن أنــتَ عــلى أيِّ حــال؟! وكيــف حصَلــتَ عــلى... لهــذا تمكَّنــتَ مــن فتــح البــاب في ذلك اليــوم؟".

إنهــا ثَمِلَــة بعــض الــشيء، ليســت في جَمالهــا المعتــاد. الآن فقــط تلاحــظ النظافــة. "مــاذا؟ هــل جــاءت أمــي أيضًــا هنــا".

بعــد المزيــد مــن الأســئلة التــي لم تحصــل لهــا عــلى إجابــة، ارتضــت بتدخــين ســيجارة وتركــت نفســها تســقط عــلى الأريكــة.

"مَــن أنــتَ؟ مــا اســمُكَ؟ مــاذا تفعــل؟ هــل حقًّــا قتَلــتَ الكاهــن؟ في المطــار؟ لمــاذا؟".

في صوتها لمسة إعجاب. هكذا تُلمّح ابتسامة شفتيها الشهيّتين. أخبرها قصّةَ حياتي وأطرح منها سبعًا وستّين جريمة قتل، وسنتين مع مونيتا، وليلتي مع أندرو. تُدخّن وتستمع وتبحث عن منفضة سجائر.

"أين وضَعتَ كلَّ منافض السجائر؟" تسأل.

"هناك واحدة أمامَكِ".

يبدو أنها لم تَرَ منفضة سجائر فارغة من قبل. الفاسقة الأيسلندية. تنبعث منها رائحة مثل لافتة نيوجيرسي ديڤلز[1] المعلّقة في الزاوية المظلمة من صالة نيووراك المكتظّة على مدار العشرين عامًا الماضية. أريد حقًّا أن أشفطها بأنفي.

"أوه، شكرًا" قالت بينما تضع منفضة سجائر لتستخدمها.

"عليكِ أن تُقلِعي عن التدخين، قد يقتلك" أقول.

"هل تحدّثني عن القتل؟" تقول بابتسامة مهينة.

"نعم، لِمَ لا؟".

"لقد قَتَلتَ كاهنًا لتَوِّك... أليس كذلك؟ بالإضافة إلى أنَّكَ مطلوبٌ لارتكاب جريمة قتل أخرى".

فهمت، لقد ربطوا بين القتيل في المطار والرجل الميت في المكتب، أحسنتم.

"أتحسبين أن القاتل لا يهتمُّ بالحياة؟ لا يهتمُّ بالصّحّة أو يحافظ على نظافة المنزل؟" أقول بينما أشير إلى الغرفة المُرتّبة.

تقول: "جميل جدًّا".

"القاتل إنسانٌ مثل أي شخص آخر. له حقوقه".

(1) New Jerse Devils فريق هوكي جليد أمريكي.

"صحيح. أنا آسفة".

"لا بأس".

"أنتَ طرازٌ حسّاس من القَتَلَة إذن؟".

" لا أعرف، أنا فقط أكره عندما يمارس الناس التمييز ضدّي، فقط لأنني... أقتل الناس".

أووبس، لا ينبغي أن أقول ذلك، توقّفَت في منتصف الدُّخان. "ماذا تقصد؟ هل قتلتَ المزيد من الناس؟".

أنا في ورطة. لا يجب أن تشهر سلاحك في الموعد الغرامي الأول أبدًا. لكنها تعرف بالفعل أنني قتلتُ رَجُلَيْن، بالإضافة إلى أن هذا ليس موعدًا غراميًا، أليس كذلك؟ أنا هنا أطلب مساعدتها... أنا في ورطة.

"بعض الناس يجب أن يموتوا" هو الحَلُّ الذي أُقدّمه.

"وكان على الأب فريندلي أن يموت؟".

"في الواقع كان لا بُدَّ من قتله، وإلّا كنتُ مسجونًا الآن، حيث يتمُّ اغتصابي في الحَمّام كل صباح من قِبَل عمالقة سود بقضبانٍ كالخراطيم".

تبدو متفاجئة من مفرداتي، وأنا أيضًا.

"ولكن ماذا تقصد بـ "بعض الناس يجب أن يموتوا"؟" تسألني.

"فقط... تعرفين، هناك أناس يستحقّون الموت".

"لماذا؟".

"لأنهم أشرار، الناس الأشرار الذين يفعلون الشَّرّ، الناس الذين يفعلون الشيء الخطأ. أو يرفضون فِعلَ الشيء الصحيح، يجب التخلُّص منهم".

"رائع. أنتَ تتحدَّث مثل صديق والدي، بورور".

"تورتشور؟".

"أهكذا تُسمِّيه؟ ها ها... يناسبه تمامًا. هل أنت مُتديِّن أم...؟".

"أنا كاثوليكي".

"حسنًا. كيف أعرف أنَّكَ لستَ واعظًا تلفزيونيًا مجنونًا منافِسًا للأب فريندلي وأراد موته؟".

"لأنني لستُ كذلك".

"حسنًا. لكنك تقول إنك كاثوليكي؟".

"نعم، لكنني كرواتيٌّ كاثوليكي، ما من أمرٍ دينيٍّ في ذلك. هذا فقط يعني أن تذهب إلى الكنيسة مرَّتيْن في حياتك، عندما تتزوَّج وعندما تموت".

"هذا جيِّد. وكم مرة ذهبت؟ مرة؟".

يجب أن أبتسم لهذا.

"لا".

تتردَّد لثانية قبل أن تطفئ سيجارتها في منفضة السجائر. ثم تقول:

"مَن أنتَ إذًا؟ مجرد قاتِلٍ فاشل آخر أطلق النار على عميل في مكتب التحقيقات الفيدرالي بالخطأ واضطرَّ إلى الفرار من الولايات المتحدة اللعينة؟".

حسنًا.. تبًا لها.

"لستُ قاتِلًا فاشِلًا... أنا...".

"نعم؟ ماذا؟".

لقد تمادى الأمر.

"أنا.. محترف".

"محترف؟".

"نعم. أنا قاتل محترف، لقد قتَلتُ أكثر من مائة شخص".

هذا رائع للغاية، أنا أشاركها الفراش الآن.

"لا! مائة شخص؟!".

أعتقد أن الرقم الدقيق سيكون أقرب لـ 125. في الغرب الأوسط كنتُ أقود سيارتي عبر المدن بعلامة ب.و.ب. 125، كنتُ أتوقَّف دائمًا للتَّزوُّد بالوقود، وأتخيَّل أن هذه كانت دراجتي النارية أي. دي. في[1].

"بلى. عامَّةً قَتلتُ حوالي خمسين أو ستين كجنديٍّ في الجيش الكرواتي للدفاع عن أرض أبي وأمي. ومنذ ذلك الحين، قتلتُ بالضبط سِتَّةً وستِّين لعينًا من دول مختلفة في عملي كقاتِلٍ في المنظمة الوطنية. كان الأب فريندلي أوَّل جريمة قتل "غير محترفة" بالنسبة لي".

تعجز عن الكلام مثل القس الكاثوليكي في غرفة اعترافه.

"المُنظَّمة الوطنية؟" تسأل أخيرًا.

"نعم، المافيا".

"المافيا؟ هل أنتَ في المافيا؟".

"نعم، المافيا الكرواتية، ليس الطِّليان الأوساخ".

كانت تُحدِّق في وجهي لمدة عشر ثوانٍ متواصِلَة، وفجأة بَدَت منتبهة تمامًا... المافيا. في الأيام الأولى لي في نيويورك اعتقدتُ أن هذه كانت كلمتي السحرية. حسبتُ أن كل فتاة في مانهاتن تحلم برجل

(1) ADV اختصار لـ Adventure أي مغامرة.

عصابات حقيقي وأصلي بلهجة أجنبية وخبرة في الركوب. لطالما أفصَحتُ بالأمر في الموعد الأول، بعد الطبق الرئيسي مباشرة.

لقد تصرَّفن جميعًا بنفس الطريقة: اعتذرن بأدب، وذَهَبنَ إلى الحمام ولم يَعُدن أبدًا. أوه، فتيات مانهاتن، جيش المواعِدات الكامل من الشَّقراوات الغامضات والسمراوات الصاخبات، بعيونهن المحترفة، ورائحة شَعر صابون التلفزيون، وكاشف الشُّهرة المدفون بعمق في حقائبهم. حتى إن بعضهنَّ تَرَكْنَ حقائبهنَّ معي، وذهبتُ مرَّتين للبحث عنهن في حمام السيدات، لكن لم يكن هناك أثرٌ لهنَّ. نعم، "العصابة" كلمة سحرية.

تعلَّمتُ ببطء ألَّا أناقش مهنتي مع رفيقات وجبة العشاء، وكثيراً ما شعرتُ بأنني مصاب بالإيدز.

احتفظت بهذه المعلومات مثل سلاحٍ سِرِّيٍّ، واحتفظت بها لغرض الإغراق فقط، أو حالات الطوارئ، أو مثلًا إذا كنتُ عالقًا في موعد أول وكان الطعام أفضل من الفتاة (كفتاة اليوم الثالث التي كانت تتحوَّل إلى اليوم 20 في منتصف محاضرتها حول نظام التصويت الأمريكي، وكيف كان المدعو "نادر" هو أملنا الوحيد) كل ما كان عليَّ فِعلُه بعد ذلك هو إلقاء الكلمة السحرية فيقع الانفجار!- يمكنني إعادة ضبط جهاز الرادار الخاص بي.

ردُّ الفعل مختلف قليلًا هنا. تَزِنُ فتاة الجليد خياراتها حتى تسأل: "أنتَ... قاتِلٌ جماعيٌّ إذن؟".

"لا".

"ماذا تعني بلا؟".

"أنا لستُ قاتِلًا جماعيًّا. أنا قاتِل".

"حسنًا".

"هناك فَرْقٌ كبير بين القتل والإماتة".

"حقًّا؟" تسأل وترفع حاجبيها.

"نعم. إنه مثل الفرق بين الهواية والوظيفة".

"ماذا تقصد؟".

"الإماتة شيء تختار القيام به. قد يكون خطأ. القتل شيء عليك القيام به وإلا مُتَّ. هذا ليس خطأ".

"هراء".

"هراء؟".

"نعم. هل تعتقد أن ضحاياك سيشعرون بالفرق؟ "أوه، أنا سعيد جدًّا لأنني قُتِلتُ ولم أمُت! إنه أفضل بكثير!". هُراء سخيف. مائة شخص؟ أي نوع من الوحوش أنتَ إيجينليجا؟".

لا بُدَّ وأن هذه الكلمة الأخيرة أيسلندية. إنها مضطربة للغاية بحيث لا تستطيع السيطرة الكاملة على دماغها. أنا مُرهَق أيضًا:

"مهلًا. ماذا تعرفين عن الحرب؟ لم يسبق لك أن تعرَّضتِ لحرب في هذه... هذه الأرض الباردة الصامتة. لم تضطرِّي أبدًا للعيش في الخارج، في الجبال في منتصف الشتاء، دون أي خيام أو أي طعام حقيقي لأيام، ثم ترين والدك ميتًا، ويقولون لك إن شقيقك قد قُتِل، ثم يصطفُّ هؤلاء الناس أمامك ويُطلَب منكِ إطلاق النار، فتطلقين النار، ولا تعرفين عدد مَن تطلقين النار عليهم، ولا تريدين أن تعرفي عدد التصويبات، لكنَّكِ ما زِلتِ ترغبين في إطلاق النار على أكبر عددٍ مُمكِن. لأن...".

أشعر أنه في مكان ما بداخلي تُصنع الدموع لأول مرة منذ سنوات.

"لأن الحرب هُراء، ونحن جميعًا متورِّطون فيها. لا أحد يستطيع أن يقول إن هذا صحيح وهذا خطأ؛ لأنه إمَّا خطأ كُلِّيًّا أو صواب كُلِّيًّا، و...".

غادَرَت الدموعُ المصنعَ، تمَّ تجهيز الطلب. إنها في طريقها، لكن طريقها طويل.

"وما زلتِ لا تعرفين. ما زِلتِ لا تعرفين بحق الجحيم. بعد خمسة عشر عامًا ما زِلتِ لا تعرفين ما إذا كان خطأً أم صوابًا. كان فقط...".

أتوقَّف، ويختفي حديثي بكلمة أخيرة وحيدة وناعمة: "خراء".

نجلس لفترة فيما يملأ الليل الساطع الذي يدخل من النوافذ الغرفةَ على نحوٍ ساخر تقريبًا. يجب أن يكون هذا المشهد مُظلِمًا. الدموع لم تصل بعد.

تنظر إلى يديها التي أرختهما على ركبتيها. لديها أظافر طويلة، طويلة ومُرعِبة، إنها مطلية باللون الوردي الفاتح. أتذكَّر اليد من المقبرة الجماعية. كانت يدَ فتاة، يدَ فتاةٍ مراهقة، وكانت لها نفس الأظافر الطويلة. وكلَّما حاولنا إغلاق المقبرة برزت اليد في التراب. حاولنا دَقَّها بمجارفنا وتقافزنا فوقها دون جدوى. كانت تعاود الظهور مرة أخرى - يد تلك الفتاة البيضاء السمينة ذات الأظافر الخضراء الطويلة، وبدا الأمر سخيفًا للغاية. لم تتناسب مع الظروف. لم تكن تنتمي إلى مقبرة جماعية.

كانت المقبرة الجماعية شيئًا من الماضي، شيئًا مرتبط بالحرب العالمية الثانية أو أي شيء آخر. شملَت المقابر الجماعية نساء مُسِنَّات يرتدين الحجاب المُتَّسخ، وأطفالَ فلَّاحين فقراء يرتدون ملابس باليَة ونِعالًا خشبية. وهنا كانت هذه اليد، وهي تلوِّح لنا من القبر اللعين، كانت أشبه بالمدافن حقًّا، وكانت عصرية جدًّا، يد تنتمي إلى اليوم

بدرجة كبيرة. يمكنك أن ترى أنها قبل ساعتين كانت تضغط على زرِّ التشغيل في جهاز استماعٍ بداخله شريط لمايكل چاكسون.

من باب الاحترام رُحتُ أُهَمهِم "لست وحدك"، وهو المزمور المثالي لمقبرة جماعية. ومع ذلك، لم يُفلِح غنائي في إراحة اليد. وبعد محاولتي العاشرة لإدخال راحة اليد اللعينة في الأرض، شعرتُ بالذهول تمامًا وسحَبتُ السكين، وقطعت اليد ببعض الجَهد، ثم رميتها بعيدًا.

وكانت هذه واحدة من أسوأ لحظات الحرب: عندما كنتُ أقطعها بالسكين، حسبتُ أنني سمعتُ شيئًا تحت قدمي. شيء مثل صرخة فتاة مكتومة في التراب.

"أظافر جميلة" قلتُ أخيرًا وأنا أنظر إلى يدي جانهولدر.

تنظر إليّ وكأنها تريد أن تغرزهم في وجهي.

14
ضِفدَعٌ على سَقفٍ أحمرَ باردٍ

2006/05/22

كانت غريزة حيواني البلقانيّة صحيحة. بدلًا من أن تُرِيَني الطريق إلى الباب، وضعتني ابنة الواعظ ليلًا في العلّيّة. الجوُّ باردٌ جدًّا، لكن حقيبة نومها دافئة، بالإضافة إلى أن الدور العلوي غائِمٌ قليلًا عن بقية البلاد. إنه يحتوي فقط على نافذتين صغيرتين: واحدة في زاويتي، ونافذة صَدِئَة في منتصف السطح. النوم هنا ليس فقط طريقةَ ابنة الواعظ لمعاقبتي على كل ذنوبي. اضطررتُ إلى الصعود إلى هنا لأن شقيقها تراستر هو رفيقها في السَّكن في الوقت الحالي. أتساءل أين ينام؟ في بيت الطيور ربما، في الحديقة.

توصّلنا إلى اتفاقٍ أنه بالرغم من اسمه[1]، يجب إبعاده عن هذا الموضوع؛ لذلك أمنع نفسي من إصدار صوت أثناء تواجُده في المنزل.

(1) Truster: من الثّقة.

أتظاهـر أني ميِّتٌ مـن منتصـف الليـل حتـى الفجـر. "إنـه يعمـل بجنـون. لا يـأتي إلى المنـزل إلا للنـوم" تخـبرني شـقيقته، رفيـق غرفـة مثـالي. يعمـل كمُشَـغِّل رافعـة في بعـض مواقـع البنـاء.

"لا يتحدث كثيراً، أليس كذلك؟" أسأل.

"نعـم أعـرف. كان دائمًـا هكـذا. وكذلـك هـي وظيفتـه.. أعنـي، لقـد اعتـاد أن يقـضي اليـوم بأكملـه في الهـواء، بمفـرده، عـلى ارتفـاع مائتـي قَدَمٍ فـوق سـطح الأرض. بالإضافـة إلى أن جميـع زملائـه في العمـل مـن بولنـدا أو ليتوانيـا".

بمجـرَّد عـودة تراسـتر إلى الهـواء، يُسـمح لي بالنـزول إلى الطابـق السـفلي لأقـوم ببعـض أعـمال المرحـاض وتنـاول الإفطـار. هـذا النـوع مـن المنفـى هـو في الواقـع أكـثر متعـة مـن منفـى فرينـدلي؛ لأن هـذا هـو المنفـى الحقيقـي: قاتـل محـترف يختبـئ في عليـة الفتـاة المثـيرة. أفضـل شيء هـو أننـي لسـتُ مُضطـرًّا للقيـام بمزيـد مـن التمثيـل. لا مزيـد مـن الكهنـة الأمريكيـين أو الرسـامين البولنديـين.

عـلى الرغـم مـن حبـس جسـدي في هـذا المنـزل الصغـير، إلا أننـي أشـعر هنـا بحريـة أكـبر مـن كافـة أنحـاء المدينـة التـي ركَضـتُ فيهـا بطَـوْقِ رجـل ديـن عـلى مقـود اللـه.

وكأننـي آن فرانـك[1] عـلى الإنترنـت. أعطتنـي جانهولدر جهـاز الكمبيوتر المحمـول الخـاص بهـا حتـى أتمكَّـن مـن تَصفُّـح البحـار الرقميـة. أقـضي اليـوم في البحـث عـن مـاضي، والبحـث عـن وقـراءة قصـص الحـرب مـن قبـل زمـلائي الجنـود. داركـو رادوفيتـش هـو أضخـم مُـدوِّن عـلى الإطـلاق، ربمـا لأنـه فقـد سـاقيه في كنـين. لقـد فقدنـا في كتيبتنـا خمسـة أرواح وسِـتَّ أَرجُـل وثـلاثَ أَذرُع وبعـض الأصابـع. إنـه لأمـر مُحـزِن أن أذكـره، ولكـن لا

(1) Annelies marie frank: كاتبـة يوميـات ألمانيـة هولنديـة مـن أصـول يهوديـة. واحـدة مـن أكـثر ضحايـا الهولوكوسـت اليهـود شُـهرةً بعـد وفاتهـا عـام 1947 بالتزامـن مـع نـشر مُذكَّراتهـا.

يـزال يتعـيَّن عـلى إخـوتي ذَوي السـاق الواحـدة الاسـتمرار في القتـال مـن أجـل حياتهـم. يمكنـك أن تراهـم إذ يتعـثَّرون عـلى عُكَّازاتهـم في شـوارع زغـرب أو سـبليت، ويطلبـون كونـا[1] في فنجانهـم. لقـد نَسِيَت حكومتنـا كلَّ شيء عنهـم، مـع أن قوتهـا مـا زالـت قائِمـةً بفضـل أرجُلِهـم المفقـودة.

كنـت محظوظًـا لأن الشيشـانيِّين لم يُفقِـدوني أطـرافي، لكـن في بعـض الأحيـان أسـأل نفسـي إذا كنـتُ أُفضِّـل أن أفقـد سـاقي بـدلًا مـن أبي وأخـي. يطـرح زمـن الحـرب أسـئلةً لا يسـتطيع زمـن السِّـلم الإجابـةَ عليهـا؛ لذلـك نخـوض دائمًـا حربًـا جديـدة.

في مدوَّنـة داركـو عـلى الإنترنـت، أجـد صـورةً لنفسـي وأنـا في كامـل عتـادي، مجنـون مبتسـم يحمـل بندقيـة كلاشـنكوف فـوق دبابـة صربيـة تـمَّ الاسـتيلاء عليهـا في عـام 95. الوجـه السـعيد لقاتِـلٍ في طـور التكويـن.

أبـدو غبيًّـا حقًّـا. لَطالَـما كرهـتُ "لحظـة كـوداك" هـذه، لحظـة تفـاؤل الأمريـكي بحـظٍّ سـعيد، والـذي يجـبرك عـلى الابتسـام في عيـون المسـتقبل الـذي لـن يقـودك إلَّا إلى شـخص بـريء لا يعـرف أي شيء عـن أي شيء، قتـل شـخصين أو ثلاثـة أشـخاص فقـط، ومـع ذلـك فهـو يبتسـم وكأنـه فـاز للتَّـوِّ بميداليـة أولمبيـة، يبـدو الأمـر لي أقـرب إلى الأولمبيـاد الخـاص.

أنا أُفضِّل الصور الجنائية.

أبحـث كذلـك عـن سـينيكا، صديقتـي السـابقة، الفصـل المفقـود مـن حيـاتي. منـذ انتهـاء الحـرب وأنـا أحـاول تَعقُّبهـا ولكـن دون جـدوى. أنـا مديـن لهـا بالاعتـذار[2].

تبـدأ نوبـة جانهولـدر في المقهـى في السـاعة العـاشرة. "طـاب يومـك" تقـول وتتركنـي بابتسـامة أُبقيهـا دافئـةً حتـى تعـود. في البدايـة ظَنَنـتُ

(1) العُملة الكرواتية.

(2) بالكرواتيّة في الأصل.

أنني سَمِعتُها تقول: "أتمنى لك يومًا جليديًا" لكن حتى هي تعتقد أن العاشرة صباحًا وقتٌ مُبكِّر جدًّا للسخرية. آلة الثلج الخاصة بي، عاهرة أحلام يقظتي، حارسة سجني، كاهنتي.

بعد الظُّهر تعمل في مهرجان الموسيقى المحلي المُسمَّى الخطوط الجوية أو الموجات الهوائية، وتُجري مكالمات هاتفية وأنواعًا أخرى من أعمال السكرتارية. إنها تتحدَّث مع كثيرٍ من نجوم البوب، وبعض المشاهير العالميِّين الذين لم تسمع بهم من قبل.

"هل جاءت فرقة كريد هنا من قبل؟".

"جريد؟".

انْسَ الأمر، لن يفلح هذا أبدًا.

اعتادت أن ترجع في حوالي الساعة السابعة أو الثامنة، وتكون مُزوَّدة دائمًا بالطعام، وعادة ما تكون بعض الوجبات الجاهزة التايلاندية أو الصينية التي يتعيَّن عليها دفع ثمنها. بعد العشاء عادة ما تضع بعض الموسيقى الأيسلندية الغريبة، وتبذل قصارى جهدها في تعريفي بأشخاص مثل موجيسون، جوس جوس أو لاي لو الذي يوحي بأنه أسود.

أُخبِرها أنها لو استطاعت أن تُدبِّر لي مُسدَّسًا فسأفعل المعجزات للترويج للموسيقى الأيسلندية. ضحكت باستياء، لكنني أثَرتُ فضولها. أشاهدها وهي تُدخِّن وتواصل طرح الأسئلة كمُتدرِّبة في المكتب البيضاوي.

"إذا كان بعض ضحاياك ينتمون إلى "منظَّمات" أخرى، فلا بُدَّ وأنهم حاوَلوا قَتلَك، أليس كذلك؟" صحيح. "هل سَبَق وكنتَ على معرفة بأي منهم، ضحاياك؟".

تتحدّى... إنها مفتونة بعملي. أخيرًا لديّ معجب "وهل تتذكّرهم جميعًا، أعني ضحاياك؟".

"المحترفون، نعم".

"ولكن ليس ضحايا الحرب؟".

"لا. كل الجنود متشابهون، لكنني فخور حقًّا بعملي كقاتِل. أحاول دائمًا القيام بعمل جيِّد. "الضحية أوّلًا" هو شِعاري. أحاول أن أجعل الأمر سهلًا عليهم قدر الإمكان. مات جميعهم تقريبًا على الفور. لا وقت للندم أو الغضب أو أي شيء. إنها مجرَّد ضربة! وينتهي أمرك. مثل إيقاف آلة، لا ألَمَ... لا شيء. ما كانوا ليحصلوا على خدمة أفضل.

أقوم دائمًا بإعداد كل شيء بشكل مثالي: التوقيت والمكان والزاوية، وكل شيء. ولقد دَرَستُ جسم الإنسان كطبيب. أين تُصوِّب للحصول على أسرع نتيجة وأشياء من هذا القبيل. إذا كانت هذه فئة في الأولمبياد، فسأكون مارك سبيتز[1] عالَم القتل".

"وما هو أصعب شيء فيه؟".

"أن تُطلِق النار بالطبع. أن تضرب الرَّجُل في رأسه أو قلبه أو مؤخِّرته إذا اضطُرِرتَ لهذا الوضع. لكن في هذه الحالة، عليك التأكُّد من أن الرصاصة تنتقل بشكل مستقيم إلى عموده الفقري. يعتمد إطلاق النار في المؤخِّرة بشكل حاسم على الزاوية، إنه مثل لعب البلياردو".

"إذن عليك أن... تتمرَّن؟".

"بالتأكيد، يجب أن تكون لائقًا. اضطررتُ للتَّخلِّي عن الكوكايين بسبب ذلك. تحتاجين قلبًا ثابِتًا لهذا النوع من العمل".

(1) Mark spitz: بطل سباحة أمريكي.

"رائـع. وهــل تقــوم بعَدِّهــم؟ المــوتى؟" تقــول بعيــون زرقــاء كبــيرة. ضمنــت أنهــا في وضــع لوينســكي المثــالي.

"حســنًا... أنــت لا تحســبينهم حقًّــا، فقــط تتذكرينهــم بشــكلٍ مــا، إنــه يشــبه إلى حــدٍّ مــا... أعنــي تذكريــن كل الرجــال الذيــن نِمْــتِ معهــم أليــس كذلــك؟".

"حسنًا... حاوَلت أن أنسى بعضهم" تقول بابتسامة مثيرة.

لا أستطيع المقاومة.

"كم عدد الكل؟".

" لا أعرف. أعني، أنا لا أعدُّهم، ربما أربعون".

الفاسِقَة.

"أربعون؟".

"هــل تعتقــد أن هــذا كثــير؟ صديقتــي وصلــت لمائــة وأربعــين، أو شيء مــن هــذا القبيــل".

هــا قــد فهمنــا. تارانتينــو لديــه 139 زوجًــا في أيســلندا. مــن الأفضــل أن يقــوم بتحديــث قائمــة بطاقــات عيــد الميــلاد الخاصــة بــه.

"وقد فعلتَها مع سبعة وستين؟" تكمل.

"فتــاة؟ لا، تقصديــن عمليــات القتــل؟ نعــم. ســبعة وســتون. مــات ســبعة وســتون وغــدًا، ســبعة وســتُّون خنزيــرًا في الفــرن".

"وهل تتذكَّرهم جميعًا حقًّا؟".

"أحاول الاحتفاظ بذكرياتهم حيّة".

"وتفكِّر فيهم؟".

"لا، أبدًا".

"ألا تشعر بالسوء تجاه أي منهم؟".

"لا".

"كيف يُعقَل ذلك؟ أليس لديك ضمير؟".

"إنه مُجمَّد على ما أعتقد. هل تشعرين بالسوء تجاه أيٍّ من...؟".

"رفاقي؟" تقول بابتسامة باردة. "لا".

"لا؟ كان لديك أربعون شخصًا بين ساقيك ولا تشعرين بالسُّوء تجاه أيٍّ منهم؟".

"لا يمكنني السماح لنفسي بذلك، فأنا أراهم طوال الوقت".

ارحميني!

"ما زِلتِ تواعدينهم؟ أربعون رجُلًا؟".

"لا أواعدهم، أنا فقط، كما تعلم، ألتقي بهم في الشارع وأشياء أخرى. إنها بلدة صغيرة. يأتون إلى المقهى طوال الوقت".

"حسنًا... لهذا وَظَّفوكِ هناك؟".

لقد تحوَّلَت من لوينسكي إلى بريتني.

"مهلًا... اخرس بحق اللعنة، هلَّا فَعَلتَ! نحن نتحدث عن الموتى هنا، ومع ذلك تجعلني أبدو مُذنِبةً كما لو كان بإمكانك مقارنة قتل الناس بممارسة الحب معهم؟".

"الحب والموت. نفس القدر من الأهمية في الحياة".

"الحب والموت؟ الأمر لا يتعلَّق بالحب. الأمر يتعلَّق بالجنس فقط!".

"أنتِ جادَّة أكثر من اللازم".

قفَزَت من الأريكة وهي تصرخ في وجهي: "أوه! عليك اللعنة!" ثم غادَرَت الغرفة. لكنها عادت بسرعة، بَدَت وكأنها أدركت للتَّوِّ أن هذا مكانها وليس مكاني. "أنا لا أعرف لماذا بحقِّ الجحيم سأُبقيكَ هنا! يجب حقًّا أن أتَّصِل بالشرطة أو تورتشور أو شيء من هذا القبيل، لكن... أغغ! انهض! اذهب للطابق العلوي! ابتَعِدْ عنِّي! واصمت!".

"آسف. أنا آسف حقًّا".

"عليك اللعنة!".

"نعم سأفعل... سأفعل ذلك لاحقًا. من فضلك اجلسي".

تذهب إلى المطبخ وتبقى هناك مُدَّةَ تدخين سيجارة. أستخدم تلك الدقائق لصفع قردتي ذات العيون الخضراء. الغيرة هي العَمَّة العجوز التي تهتمُّ دائمًا والتي لا تنسى أبدًا أن تظهر أثناء مواعيدي الغرامية. لطالما كانت القُوَّة الدافعة في حياتي، منذ أن تخلَّت عني حبيبة هانوفر، ابنة أخصائي البصريات، بأسلوب بروسي. كانت هيلديجارد فتاة من طراز اليوم الثامن (كأجنبية وصلت حديثًا وتتحدَّث القليل من الألمانية فكانت فُرَصي محدودة)، وكانت ترتدي ياقةً طويلة أغلب الوقت، وتعزف على الكمان بوجه ملائكي، ولم تستخدم أبدًا كلمةً قذرةً، لكنها أخبرتني، وقت فراقها، أنها خانتني مع سبعة عشر رجُلًا. سبعة عشر ألمانيًّا سخيفًا، بذيل حِصانٍ وشارِبٍ وكلِّ شيء. قالت إن هذا من المفترض أن يُشعِرَني بتَحسُّن.

"يجب أن تكون سعيدًا للتخلُّص من...".

"... عاهرة مثلك؟".

استغرق الأمر مني سبع سنوات لدفن الأوغاد في تُربة روحي الصُّلبة. بالكاد أزعجوني منذ ذلك الحين، لكنهم حوَّلوا عقلي إلى كيان مرتاب إلى الأبد. كما يعلم الله جيدًا، أجد صعوبة في الاستمتاع

بالعلاقات. أنا دائمًا مثل عميل سري سخيف يحاول إثبات أن شريكي جاسوس. وحين يتعلق الأمر بالحب، فأنا مثل الحكم في مباراة كرة قدم، غير قادر تمامًا على الاستمتاع باللعبة، لكنني دائمًا مستعدٌ بالبطاقة الصفراء.

وها أنا ذا مرة أخرى. طلَبَت العَمَّة غيرة من جانهولدر الدخول إلى المطبخ. إذًا فقد شقَّت العجوز طريقها إلى أيسلندا. ومع ذلك، لا يؤهِّل هذا لموعدٍ غراميٍّ، إنها أشبه بدورة تدريبية مكثَّفة في مجال إطلاق النار على الأشخاص، أساسيات القتل. وصلنا إلى نهاية درسنا الأول. ينتظر المدرِّسُ عودة الطالبة من استراحة التدخين، وفي هذه الأثناء تظهر جانهولدر في المدخل بعيون حمراء وخدَّيْن غاضبين. زحفت عائدةً إلى الأريكة لتشعل سيجارة أخرى. أشاهدها تستنشق وتزفر لفترة من الوقت، إنها تصدر صوتًا عاصفًا صغيرًا كلما خرج الدخان من فمها.

"كيف كان ردُّ فِعل والِدَيْكِ عندما جاءت الشرطة ورحل الأب فريندلي؟" سألتها أخيرًا.

"لقد كانوا في حالة صدمة كبيرة بالطبع. أعني، لقد آمنوا بك تمامًا" تقول بضحكة هادئة.

"هل كان أبوكِ غاضبًا؟".

"كانوا مصدومين أكثر من كونهم غاضبين. ثم بدأ في طمأنة الشرطة، ووضع يده على أكتافهم وقال لهم: الله سيعثر عليه، لن يهرب من عين الرب الساهرة".

يزداد ضحكها، أحاول أن أضحك معها. ثم فجأة سمعنا باب الطابق السُّفلي يُفتح وتختفي ابتسامتها. تقتل سيجارتها وتقف، تُمسك بطبقي وتضعه في المطبخ. أركض صعودًا على السُّلَّم الخشبي

ثـم أسـحبه ورائي. تغلـق خلفـه الكـوَّة بمجـرد أن يصبـح الـدَّرَج بالكامـل داخـل العلِّيَّـة. أزحـف عـلى الأرضيـة المُشـقَّقة وأدخـل مخبـأ المعاطـف.

أسـتمع إلى تراسـتر يهـرول داخـل الشـقة، الحصـان المسـكين، عـاد إلى المنـزل مبكِّـرًا. أسـمعهم يتبادلـون أصـوات الترحيـب الصغـيرة متبوعـة ببعـض الأصـوات مـن المرحـاض.

ثـم قـال شـيئًا أخمِّـن بصعوبـة أنـه: "هـل تبقَّـى بعـض الطعـام؟" هـي تقـول "نـاي". هـذه أيسـلندية تعنـي "لا". لقـد علَّمَتنـي بالفعـل بعـض العبـارات. توجثوسـليمور هـي "صبـاح الخـير" و جلايبامـاور هـي "ليلـة سـعيدة".

ثـم لدينـا صمـت إخـوة لمـدة ثـلاث سـاعات. حتـى إنهـم لا يشـاهدان التلفزيـون معًـا. لا موسـيقى أيضًـا. مـاذا يفعـلان بحـقِّ السـماء؟ لم يغـادر أي منهـما المنـزل. هـل يلعبـان الـورق؟ يقـرآن؟ في منتصـف الليـل تَصـدُر أصـوات المرحـاض مـرَّةً أخـرى، تليهـا أصـوات سراويـل داخليـة حريريـة تنزلـق عـلى أرجُـل بيضـاء ناعمـة... أعطتنـي الحـربُ سَـمْعَ قِطَّـة.

في الثالثـة صباحًـا، أتَّصِـل برقـم نيكـو في مدينـة نيويـورك. أتحـدَّث بصـوت فـأرٍ مُوضِّحًـا وضعـي، فيسـتمع لبعـض الوقـت، ولكـن عندمـا يـردُّ أخـيرًا، يتـصرَّف كطليـانيٍّ مُصطَنَـع عـلى شاشـة التلفزيـون: "هـل تتَّصـل بي؟ لمـاذا تتصـل بي؟ مَـن أعطـاك رقمـي؟" ثـم ينهـى المكالمـة.

قطـع الاتصـال بي. نيكـو رفيقـي القديـم، نيكـو نيفولجـا. هـذه حقًّـا أخبـار سـيئة، أخبـار بالغـة السُّـوء. حَـريٌّ بي أن أعتـبر نفـسي ميتًـا، عـلى الأقـل لا يجـب أن أفكِّـر أبـدًا في العـودة إلى مدينـة نيويـورك، أو حتـى كرواتيـا. اللعنـة. ملعـونٌ أنـا بحـقِّ اللعنـة اللعينـة!

أنام في الخامسة.

أيقظتنـي في السـابعة بعـض الطَّرقـات العاليـة والأصـوات الناعمـة في الطابـق السُّـفلي. أنـا مسـتعدٌّ لهـذا: وبينـما أنـا نائـم في ملابـسي (أو ملابـس السـيد مـاك، أضـع هاتفـي في جيبـي وأرتـدي حـذائي في أقـلَّ مـن ثانيـة. بعـد ذلـك، رميـتُ حقيبـة النـوم في زاويـة مُعتِمـة ووضعـتُ المرتبـة أسـفل صنـدوق كتـب. سَـمِعتُ أن جانهولـدر تتـصرَّف بجنـون في الطابق السـفلي.

"كواري جونج؟!".

يتبعنـي صوتهـا عـبر فتحـة السـقف الصدئـة الصغـيرة الموجـودة في منتصـف السـطح المنحـدر المضـاد للرصـاص. الجـو بـارد في الخـارج، حيـث السـماء رماديـة والأشـجار خـضراء وأسـطح ريكياڤيـك ملونـة.

هـذا سـطح صـدئ أحمـر. أغلـق النافـذة بسرعـة وأتسـلق السـقف شـديد الانحـدار، يمكننـي أن أرى غطـاء مُحـرك سـيارة الشرطـة الأبيـض إذ تقـف في الشـارع بالأسـفل، وأسـمع صـوت ضابـط يتنقَّـل مـن شـارع إلى آخـر. قفـزت عـلى الجانـب الآخـر مـن السـقف، مُعلَّـق عـلى الحافَّـة بثماني أصابـع. بطنـي تسـمع الأوغـاد بالفعـل في العلِّيَّـة، يبحثـون عـن مخبـأ الرجـل المختبـئ. بعـد لحظـات سَـمِعتُ أحدهـم يفتـح النافـذة العلويـة اللعينـة. لا يمكننـي رؤيتـه، لكـن مـن المحتمـل أن يـرى أطـراف أصابعـي البيضـاء البـاردة. لا بُـدَّ أن أتـرك الحافـة. هـا أنـا أفعـل ذلـك. أنـا أُفلِـتُ، أنزلـق عـلى السـطح بحركـة بطيئـة للغايـة، وأطفـو عـلى الحديـد البـارد عـلى بطنـي الكـرواتي الكبـير. أمـدُّ ذراعـي وقدمـي، مُحـاوِلًا إيقـاف نفـسي بحـذائي الزَّلـق وكفَّـي الرطبـة دون إصـدار صـوتٍ واحـد. بعـد بوصتـين أتوقَّـف. أتوقَّـف بحـقِّ اللعنـة، أتمـدَّد عـلى سـطحٍ أحمـر شـديد الانحـدار مثـل ضفـدعٍ عمـلاق.

15
أسلحة أيسلندية

2006/05/22

أودُّ أن أكتب رسالة شُكرٍ إلى الشرطة الأيسلندية؛ إذ إن عدم عثورهم على ضفدع يبلغ طوله ستة أقدام ويزن 240 رطلًا على سطح المنزل الذي فتَّشوه هو لُغزٌ كبير بالنسبة لي. يجب على مكتب التحقيقات الفيدرالي أن يُفكِّر كثيرًا قبل التوقيع على صفقة أخرى للتعاون معهم.

لقد قُمتُ بدور الضفدع المُجمَّد لمدة ساعة مُتجمِّدة أو نحو ذلك قبل أن أعود من خلال العلِّيَّة. كان الكُوَّة في الأرضية مفتوحة. جَثَوتُ أمامها مثل راقصة باليه أمام بحيرة خيالية، وسط المسرح، وكنتُ على وشك أن أضع رأسي فيها عندما واجَهتُ فجأة رأسًا آخر يحتوي على شفتين شهوانيَّتَيْن، فاجأتها رؤيتي، وبعد تنهيدةٍ قصيرة تبادلنا قُبلَةً.

كانت قُبلة طويلة بشكل غير عادي بالنظر إلى حقيقة أنها كانت أوَّل قُبلة لنا. لقد كانت قُبلةً برعاية الفيدراليين ومُساعِديهم ذوي

القُبَّعـات البيضـاء. بمجـرد أن انتهـى الأمـر، دعوتهـا إلى مسـاحة الطابـق العلـوي الخاصـة بي، وفي غضـون دقائـق، كنَّـا نمـارس حُبَّنـا للمـرة الأولى في حقيبـة النـوم ماركـة نـورث فيـس؛ وبذلـك أصبحـت رقمهـا الــ 41.

تَبـيَّن أنهـا كانـت كل الآيـس كريـم الـذي أتـوق إليـه. آيـس كريـم دافئ، كانـت مُذهِلـةً. وكان انتصـابي صلبًـا للغايـة، وكانـت مُتحمِّسـةً للغايـة أيضًـا، وتـصرخ مثـل نسـويَّةٍ غاضبـة تَحتـجُّ عـلى إحضـار مُغتَصِـبٍ مـن العربـة إلى العدالـة، حتـى إننـي اضطـررت إلى تغطيـة فمهـا بيـدي خوفًـا مـن ظهـور الشُّرطـة مـرة أخـرى، فعضَّتنـي، حيـوان القطـب الشـمالي، وارتعبـتُ قليلًا.

لا تـزال تبـدو وكأنهـا تسـتمتع بـأدائي، وجسـدها يهتـزُّ بـكل الأوضـاع مثـل يـد رجـل عجـوز مصـاب بمـرض باركنسـون- أو ربمـا كان مجـرَّد شيء التقطتـه مـن مجلـة "عاهـرة". بعـد ذلـك اسـتلقينا مثـل مُجرِمَـيْن عاريـين طليقـين، يسـتريحان ويتحدَّثـان.

"أنت جميلة جدًّا".

هذا أنا أتحدَّث بالطبع.

"وأنت غ...".

"سمين؟".

"غريب جدًّا".

"غريب؟".

"نعـم، أنـت غريـب جـدًّا. لم يـسبق لي... لقـد أتيـتَ مـن عالَـمٍ آخـر. لم يـسبق لي أبـدًا أن...".

"لم تُواعِدي قاتِلًا من قبل؟".

"لا. أبدًا" تقول بضحكة قصيرة. "رجل مافيا".

ربما ينبغي هنا أن أشكر الطّليان هنا. حقًّا رسموا صورتنا نحن العصابات. على الرغم من أن فتيات مانهاتن قد يعاملننا كمواطنين من الدرجة الثانية، إلا أننا ما زلنا مُلوكًا في الخارج. "لم تُحبِّيني عندما كُنتُ ألعب دور الكاهن".

"لا. هذا صحيح".

"حسنًا، أنا ممثِّل سيئ".

"لا، كان ذلك لأنَّكَ مُمثِّل جيِّد، على ما أعتقد".

"هل تكرهين والدك؟".

"لا، أنا لا أكرهه" تقول بصوتٍ ناعم. "لكن من الصعب أن تُربَّى في كنيسة. لم يُسمَح لي حتى بصبغ شَعري، علينا احترام خَلق الله الأصلي، كذا وكذا وكذا... أعني أنني سَئمتُ، وكان عليَّ أن أبتعد، وكان هذا صعبًا للغاية، كأن أُعلِن أنني مِثليَّة أو شيء من هذا القبيل، عندما عَلِمَ أبي أنني أُدخِّن، أحضر صديقه تورتشور ليستخرج مني الأرواح الشريرة، كان الأمر جنونًا حقًّا".

"ولم ينجح في ذلك؟".

"حسنًا، بطريقة ما. أصبحت أُدخِّن وينستون لايتس بدلًا من وينستون".

ضحكتُ بشدَّة.

"إذن لم تَعُد تربطُكِ علاقة قوية بوالدَيْكِ".

"لا. أقلُّ ما يمكن. أذهب إلى هناك مرَّتين فقط في السنة. لعيد الميلاد ويوروڤيچن".

"ماذا عن تراستر؟".

"تراستر" تضحك. "أنت تُسمِّيه دائمًا تراستر. إنه أورستور. مثل "طائر السمنة" كما تعلم، أور ثم س، ت، و، ر الأمر ليس بهذه الصعوبة".

"حسنًا، آسف، ولكن ماذا عن علاقته بوالدِكِ".

"أوه؟ إنهم بخير. أبي يحبه، إنه هادئ ومفيد ومتعاون، لقد أنجز له الكثير من العمل في محطَّة التلفزيون. دون أن يتقاضى راتبه على الإطلاق. قال: سيدفع له الرَّبُّ في السماء، إلخ، إلخ... فَهِمتَ؟ والداي لا يُطاقان حقًّا".

تذهب لإحضار سيجارة ما بعد نشوة الجنس. أجبِرَت على المشي كالأحدب نحو الفتحة بسبب السقف المنخفض. ثدايها الصغيران ثابتان (أعني لا يتخبَّطان) بينما تنحني فوق الكوَّة الموجودة في الأرض، لكنهما يهتزَّان قليلًا وهي تنزل من السُّلَّم. بعد لحظات عادت مع حقيبتها -تمشي على أطراف أصابعها بأظافرها الوردية المصقولة فوق الأرض الخَشِنة- واستلقت بجانبي. مشَّطَت شعرها الأشقر كلون الزبدة في كعكة صغيرة في مؤخِّرة رأسها. أداعبه برفق من جبهتها إلى الكعكة. إنه جافٌّ نوعًا ما يُذكِّرني بالتصفيفة الرائعة لبوَّاب نيويورك الأسود، على الرغم من أنني لم أحلم أبدًا بلمس عجائب الطبيعة هذه.

تركت عيني تسافر بطول جسدها الأبيض الصافي، من أصابع القدم حتى السيجارة، وتوقَّفتُ قليلًا عند مُثَلَّثها الحليق والسُّرَّة المثقوبة، فتشفط بطنها بشدَّة.

"كيف تقولين "حب" باللغة الأيسلندية؟".

"كينليف".

"كوين ليف؟".

"لا، كينليف".

إنها تعبث معي بحقِّ اللعنة. هؤلاء الأيسلنديون اللُّعناء لا يمكنهم أبدًا أن يكونوا صادقين، باستثناء من أمرهم الله بذلك. يجب أن يكونوا دائمًا هادئين. لا بُدَّ وأن البرد هو السبب.

"وكيف باللغة الكرواتية؟" تسأل.

"ليوباف".

"هذا مثل "حب" بإضافة "ب"".

"نعم، إنه حب الباء، كلمتك فيها ك أو ق...".

"كنتُ أمزح. كينليف تعني الجنس. الحب يعني "أست"".

"رائع. هذا صعب، كيف تنطقينها؟".

"حرف ألف، وسين وتاء".

"أست؟ هذا يعني منشار في لغتنا".

"ماذا يعني ذلك؟" تسأل.

لا أجيب. فجأة اقتَحَمَت مونيتا عقلي وملأته مثل البالون. مونيتا يا حبي، آسف، لقد نِمتُ مع امرأة أخرى دون علمك، لكن هذا ليس خطئي حقًّا. إذا كان هناك شخص ما يجب إلقاء اللوم عليه، فهم الشرطة المحلية، لو كانوا وجدوني لَما حدث هذا أبدًا.

تخبرني جانهولدر إنه من المعروف أن شرطة القبّعات البيضاء ميؤوس منهم، فلدى أيسلندا فريق تدخُّل سريع خاص بها يُسمَّى فرقة الفايكنج، لكنهم غير متاحين طوال الوقت.

"هناك فرقة واحدة فقط. لا بُدَّ وأنهم مشغولون الآن".

أشعر ببعض الإهانة، بل الغيرة. كيف يمكن أن يعثروا على مَهمَّةٍ أكثر جدية في الجزيرة منزوعة السلاح من القبض على قاتلٍ ثُلاثيِّ عضلات البطن قَتَلَ عميلًا فيدراليًّا وكاهِنًا مشهورًا عالميًّا؟

"ماذا يمكن أن يشغلهم".

"لا أعـرف، يفعلـون كل أنـواع الأشـياء، ربمـا يكـون بعـض الرؤسـاء في المدينـة، أو أنهـم يراقبـون حفلـة رقـص مدرسـة ثانويـة في الشـمال".

"حفلة رقص في مدرسة ثانوية؟ هل لدى الأطفال بنادق؟".

"لا، لكنَّ الأطفال الأيسلنديِّين، عندما يثملون يفقدون صَوابهم".

إذًا، جـان ضـد المجانـين، أعتـبر نفـسي محظوظًـا لأنـنـي عـثرتُ عـلى القـسّ فرينـدلي في مراحيـض مطـار جي.إف.كيـه. كان بإمـكاني قتـل شـخص لديـه تذكـرة سـفر إلى بغـداد. أيسـلندا هـي جنَّـة العصابـات، لا جيـش ولا أسـلحة ولا جرائـم قتـل ولا شرطـة تقريبًـا. فقـط نسـاء رائعـات بأسـماء رائعـة.

"إنه ليس جانهولدر، إنه جانهيلدور"، كما تقول.

"جونيلدا؟".

"لا. جان! تبدأ بـ "جان"، ثم هيلدور. جانهيلدور!".

"جونهيلدا؟".

"أيًا كان... سأدعوك توت".

"ماذا يعني ذلك؟".

"لن تحب معرفة ذلك".

"ألم يكن لديكِ لقبٌ من قبل؟".

"عندمـا عشـنا في الولايـات المتحـدة، كان الأطفـال ينادونـنـي دائمًـا بــ "جـان"، ولا يـزال والـدي يدعـوني هكـذا في بعـض الأحيـان

"مسدس؟"[1]

---

(1) Gun.

"لا.. جان!"[1].

"أنتِ مُسدَّسي، أنتِ مَن كنتُ أبحث عنه منذ جِئتُ إلى هنا".

تهتزُّ شفتاها بغيظٍ مثير وهي تزفر آخر دخان لها.

"مسدَّس مُدخِّن" أضَفتُ بينما أتفحَّصها بعيني، إنها عكس مونيتاي تمامًا. ملكة الجليد الشقراء الزبدة وعنكبوتتي التندورية. أميل من أجل قُبلَة، فأقع بين ذراعيها الأيسلنديَّتيْن.

(1) Gunn بزيادة حرف N.

16
الحبُّ في الثَّلَّاجة

2006/05/22

انتهيتُ من الأسبوع الأول في المنفى. على الرغم من أنني لم أقتل أيَّ شخص خلال الأيام السبعة الماضية، باستثناء كلب صغير واحد، إلَّا أن هذا يُعَدُّ أحد أكثر الأسابيع إثارة للاهتمام في حياتي. سبعة أيام وسبع ليالٍ لم تغرب الشمس. لديَّ خمس جنسيات مختلفة وشغلتُ وظيفتين. لقد ظهَرتُ على الهواء مباشرة في التلفزيون، وشاهدت مسابقة الأغاني الأوروبية لأول مرة منذ سِتِّ سنوات. اقتحَمتُ شقَّتين، وسرقت سيارة واحدة، وثلاث زجاجات بيرة، وبعض الخبز ولحم الخنزير المُقدَّد وست بيضات. أجد نفسي أيضًا في حالة حُبٍّ مع فتاتين مختلفتين. واحدة أيسلندية والأخرى هندية من بيرو.

تجنُّبًا للمزيد من زيارات الشرطة، أوصَيتُ الشقراء أن تشتري لي هاتفًا جديدًا مُزوَّدًا برقم لم يُستَخدَم من قبل. أتَّصِل بالسمراء،

أُهاتِفُها كلَّ صباح. أتَّصِل بها عبر الهاتف الجوال، أهاتفها في العمل، في المنزل. أبعث رسائل، أترك رسائل وتدليلًا. في النهاية قرَّرتُ أن أتصل بحارس المبنى الذي أعيش فيه في سوهو، صاحب تسريحة الشَّعر الفظيعة. مجرد سماع صوته العميق يمنحني شعورًا بالدفء، مَمزوجًا بهجمة من الحنين إلى الوطن. لكنها تختلط بشدَّة في معدتي.

يقول إن مونيتا جاءت قبل أيام قليلة برفقة فحلٍ طَلياني المظهر، وصعَدَا إلى الطابق العلوي. أخبرت الحارس أن لديها مفاتيح شقتي، هذه كذبة. لم أُعطِها أيَّ مفاتيح قَطُّ، لكن كان على الحارس أن يُصدِّقها؛ فقد رآها تدخل المبنى معي طوال الوقت. نزل الرَّجُل الطَّلياني إلى الطابق السُّفلي بعد بضع ساعات، لكنها لم تغادر المبنى منذ ذلك الحين.

العاهرة.

أشكره وأنهي المكالمة الهاتفية بسرعة قبل الاتصال بشقَّتي.

لا إجابة. بالطبع لا، الكلبة الهائجة. طَليان لعينون في جميع أنحاء بلَّاط حمامي! يجب أن أتَّصِل بانترفلورا[1] وأطلب باقةً من الزنابق السامة تُسلَّم إلى باب منزلي في مدينة نيويورك. لماذا لم تَقُم بذلك في منزلها؟ لماذا اضطرَّت إلى تشويه أريكتي الجلدية البيضاء بعَرَقِ طليانيٍّ؟

اتَّصَلتُ بالحارس مرة أخرى- شعرتُ فجأة أنه الشخص الوحيد الذي أعرفه في التفاحة الكبيرة[2] (أعلم أنني قتَلتُ معظم معارفي في نيويورك، ولكن لا تزال هذه الحقيقة مُحزِنة للغاية. لقد تمَّ مَحوُ سِتِّ سنواتٍ من حياتي) أطلب منه الاتصال بشقتي وأن يتصل

(1) شركة ورود شهيرة، تأسَّسَت في ألمانيا سنة 1908.

(2) نيويورك.

بالشرطة أو أي شيء إذا لم يَرُدَّ عليه أحد. على أحدهم أن يقتحم الباب اللعين ويحضر المرأة اللعينة إلى الهاتف بقبضة يد.

"لديكَ مفتاح شقتي أليس كذلك؟".

"نعم، بالطبع لديَّ مفتاحك" قال الحارس.

أخبرني أن أتَّصِل به مرَّةً أخرى بعد ساعة.

بعد ساعة... حسنًا، اللعنة على لعنتي.

في غضون ساعة، عاد تراستر اللعين إلى المنزل، فلا يمكنني التحدُّث عبر الهاتف الآن. يجب أن أبقى ساكنًا تمامًا وصامتًا هنا في العلِّيَّة شديدة البرودة، في المحيط الأطلسي شديد البرودة، كم أنا مسكين. ما كان يجب أن أصطحب رقم 66 إلى مكبِّ النفايات، كان يجب أن أتخلَّص منه في سيارته. ثم لم يكن أصدقاؤه ليقتربوا مني مطلقًا بعدسات أسلحتهم، كل ما في الأمر أن سيارته كانت رائعة جدًّا، بدت باهظة الثمن. (أحيانًا كنتُ أبالغ في أتعابي بإعطاء سيارة الضحيَّة لرَجُل رادوڤان في مرتفعات چاكسون، وهو بائع سيارات مُستَعمَلة بشدة يُدعى إيڤو).

رادوڤان اللعين، منبع كل مشاكلي. أستمع إلى تراستر وجانهولدر إذ يشاهدان الأخبار المسائية. يبدو أن جزيرة ليليبوت لديها ما يكفي من الفضائح السياسية والمشاهير الفاشلين لملء ساعة إخبارية يوميَّة. أو ربما يقولون فقط إن شيئًا لم يَحدُث اليوم. لا قتل، لا حرب، لا شيء.

اللعنة... أتَّصِل على أيَّة حال. لا أستطيع الانتظار حتى الصباح. أدير جسدي برفق، وأغوص في رأس حقيبة النوم أوَّلًا جاثيًا على ركبتي، وأهمس لحارسي القديم الطيب:

"إنه تود مرَّةً أخرى. هل اتَّصلتَ بها؟".

"نعم".

"وماذا؟".

"لم يكن هناك جواب؛ لذلك صعدتُ إلى الطابق العلوي".

"و...؟ هل كانت هناك؟".

"الشقة كانت فارغة".

"فارغة؟".

"نعم. لكن كانت هناك رائحة غريبة. رائحة قوية جدًّا".

"أي نوع من الروائح؟ رائحة جسم؟ عَرَق؟".

"رائحة جسم نوعًا ما، نعم".

"حسنًا، اللعنة عليها" أحاول ألَّا أصرخ عبر هاتفي الأيسلندي الجديد، وأنا أهتزُّ غضبًا داخل حقيبة النوم الكبيرة.

يتابع: "لذا تفقَّدتُ جميع الغُرَف يا سيدي".

"آه. و...؟".

"تفقَّدتُ كل الغُرَف يا سيدي... والحمَّام، والمطبخ...".

"و...؟".

"كانت جميع النوافذ مُغلَقة. فحصت كل النوافذ. كانت جميعها مغلقة".

"حسنًا".

"أخيرًا... لا أعرف لماذا حقًّا... فتحتُ الثلاجة".

"الثَّلَّاجة؟".

"نعم. فتحت الثلاجة، و...".

"فسد بعض الطعام؟ تركت بعض الطعام؟".

"أنا آسف سيدي، لكنني لا أعرف حقًّا كيف أُخبِرَك بهذا".

صوته الجَهوَريُّ العميق يصبح أكثر خطورةً من المعتاد.

"ماذا؟" أسأل بينما أرتجف تشوُّقًا.

"كان رأسها بالداخل يا سيدي".

"رأسها؟ في الثلاجة؟".

"نعم يا سيدي. كان رأسها هناك على طبق. كان... الوجه كله منتفخًا، أصفر، وأزرق. ولكن...".

"ولكن؟".

"لكنها كانت هي، لقد تعرَّفتُ عليها. كانت صديقَتَكَ".

"على طبق؟".

"نعم سيدي. في الثلاجة. كان الأمر...".

"رأسها فقط؟".

بدأت أستوعب موت مونيتا وأنا أسأله.

"نعم يا سيدي. فقط رأسها. لم أعثر على جُثَّتها".

"ولكن يمكنك شَمُّها؟".

"نعم. أعتقد ذلك، قد تكون هناك في مكان ما".

"أيَّ رائحةِ جسمٍ شَمَمتَ؟".

"تقصد أي نوع؟".

"نعم. هل كانت مهبلًا؟ رائحة مِهبَل؟".

ماذا أقول بحق الجحيم؟ عقلي الكرواتي القديم المريض. أنا أستحقُّ الموت. أوه، مونيتا. لماذا كان عليكِ أن تخونيني مع رَجُل

عصابـة؟ لقـد خُنتُـكِ مـع فـأر ثلـوج صغـير لطيـف. أعتقـد أننـي يجـب أن أبـكي الآن. رأسـك في الثلاجـة! تحوَّلَـت تلـك الشـفاه الجميلـة البـاردة، تلـك العيـون التـي غُطِّيَـت بزجـاجٍ مُتجمِّـد. شَـعرُكِ مثـل المكرونـة البـاردة. مـاذا عـن جسـدك؟ هـل أكلـوه بالفعـل؟ والآن روحـك، روحـك مقطوعـة الـرأس، تعانـق أبويهـا الكسـيحين في الجنـة. أوه، بونيتـا.

"نعـم يـا سـيدي يمكنـك أن تقـول هـذا حسـبما أعتقـد، مهبـل، لكنهـا رائحـة قويـة جـدًا" يقـول حـارس المبنـى في أذني اليمنـى.

17
القاتل الذي يعوي

2006/05/23

نزلتُ إلى الطابق السفلي. لم أعُد أهتم. أفتح الكوّة وأُخفِض السُّلَّم. يستيقظان بالطبع. يأتي ترستر إليّ بقبضة طائرة، كما لو كنتُ لصًّا بسيطًا. أوقف ضربته في الهواء، ممسكًا ذراعه بيدي. إنه قويٌّ جدًّا، لكنه بالطبع لم يكن جنديًّا قطُّ. تُهدِّئ الفتاة شقيقَها وتسألني ماذا أفعل بحق الجحيم؟

"لم أَعُد أهتمُّ بعد الآن".

نظَرَت إليّ بوجهٍ مُتجمِّد ونظر إليها تراستر بحيرة أكبر.

"هل تعرفينه؟" يسألها باللغة الأيسلندية؛ ممَّا يعني أنني لم أعُد أبدو كاهنًا. هي لا تجيب. إنه عارٍ باستثناء بعض الملابس الداخلية الغريبة، ينظر إليّ هومر سيمبسون من بين فخذيه، ولسان في خدِّه.

ترتدي هي قميصًا أزرق غامقًا كُتِب عليه "آسف" باللون الأبيض. أنا أرتدي ملابسي بالكامل. ارتديتُ حذاء الرَّكض، حذاء إيجور الرياضي.

تتبعني جان من الشقة إلى أسفل الدَّرَج، وتطرح جميع أنواع الأسئلة التي لا أجيب عليها، بينما أتجنَّب النظر إلى وجهها، فمن شأن هذا أن يُحفِّز الأفكار الخاطئة.

لم أعُد أهتمُّ. أمضي إلى الخارج. وداعًا.

الوقت مبكِّر جدًّا. الشوارع صامتة أكثر ممَّا كانت عليه أثناء النهار، بل تخطَّت الصمت. تُذكِّرني بقرية الموتى. إنها مُشرِقة مثل الجحيم، لكنها غائمة. سحابة كبيرة ضبابية ضخمة تتدلَّى على ارتفاعٍ مُنخَفِضٍ فوق المدينة مثل غطاء على قِدر. يبدو أنها تغطس إلى الأسفل، لها اللون الرمادي الفاتح للجليد. كما هو الحال دائمًا، فإن درجة الحرارة كالثلاجة.

ثلاجة لعينة.

أنا أبحث عن طبقٍ لأضع رأسي عليه.

أمشي في الشارع بلا أدنى فكرة عن وجهتي أو ما أفعله. يجب فقط أن أذهب إلى مكان ما. عندما يموت رأسك، تتولَّى قدماك القيادة. أنا دجاجةٌ مقطوعة الرأس تمشي بينما يسيل الدم من حلقي الملتهب.

يمكنني أن أرى البِركة بين البيوت، حيث تُبحِر بجعةٌ لعينة ببطء بين سقف وعمود إنارة. لقد وضعوا رأسها على صحنٍ، لماذا فعلوا ذلك بحق الجحيم؟ ليخيفوني؟ كلَّما فكَّرتُ في الأمر؛ شممتُ رائحة طبخة الطِّليان. في لغتهم، يعني وضع رأس صديقتك في الثلاجة أمرًا جَلَلًا. لماذا لا يأتون ويعثرون عليَّ ويقتلونني على الفور؟

كفى شِعرًا لعينًا!

لا أصدق أنها ماتت. فتاتي مونيتا، وهذا الموت العنيف الوقح المبتذل. كل ذلك حسب تقاليد الأسرة.

لقد نزعوا رأسها عن جسدها... ذلك الجسد المقدَّس... الليلة الماضية كانت الفتاة الأكثر إثارة على هذا الكوكب، واليوم هي في الثلاجة.

كذلك أنا.

أعتقد أن هذا هو عقابي؛ لأنني محبوس داخل هذه الأرض الجليدية. أعتقد أنني أستحقُّ ذلك. لقد خُنتُها، لكن على الأقل لا يزال رأسي مُتَّصِلًا بجسدي. لا بُدَّ أنها خانتني أكثر وأعنَفَ بعشر مرات. سلَّمَت رأسها مقابل الجنس الفموي الذي منحته. كنت أعرف، كنت أعرف ذلك بحق اللعنة. لا يمكن الوثوق بالفاتنة الهندو- إسبانية، أعلم أنهم يقولون إنه لا يمكن الوثوق بأي إنسان تمامًا، باستثناء يسوع المسيح ولورا بوش، ولكن يَحِقُّ لك دائمًا أن تأمل أن يتقدَّم شريكك على الأقل بطلب للحصول على عضوية تجريبية في ناديهم المقدس.

أتذكَّر ذات مرة أثناء عودتنا من عشاء في مطعم أنيق في الجانب الشرقي العلوي، وكان النسيم العليل دافئًا مثل الهواء من أنبوب العادم. سارت ببطء إلى الرصيف، وأحكَمَت ربط حزام محفظتها على كتفها، وشعرت بفخذيها الكبيرتين تحتكَّان ببعضهما البعض تحت فستانها الساتان الأحمر الصاخب (كانت مونيتا واحدة من هؤلاء النساء النادرات اللائي يرتدين الفساتين أغلب الوقت) تكاد الفتحة المثلَّثة في الخلف (أحد تلك الأشياء التي لا أعرف الكلمة الإنجليزية لها) تُلامِس مؤخِّرتها. وحين اندفعت إليها سيارات الأجرة الصفراء نحو جسدها الشَّبِق الممتلئ والملفوف باللون الأحمر، اختبأ عقلي المريض في الظلام داخل فستانها، هناك في الفتحة المثلَّثة، عند حدود

المؤخِّرة والفخذين، ليفكِّر ما إذا كانت تُواعِدُ رَجُلًا آخر هذا الأسبوع، أو هذا اليوم، أو ذلك العام...

داخل المطعم كنَّا نتحدث عن العلاقات بشكل عام ونسخر من مربَّع سواب[1] (أو أيًّا كان اسمه) زوجان على بُعد ثلاث طاولات. همست مونيتا فوق ملعقتها المليئة بالحساء التايلاندي: "لا بُدَّ وأن لديها مهبلًا سحَّابًا". لم أسمع هذا من قبل. مهبلًا سحَّابًا. فكت الكلمتان على الفور حبي الشديد لها. كانت هذه المرأة فتاةَ كلِّ احتلام جاءني، لقد دفَعتُ الفاتورة وأنا منتصبٌ، وقرَّرتُ أن أخبرها أنني أُحبَبتُها عندما نخرج.

كانت المرة الأولى التي أخبرها فيها.

لكن عندما خرجنا إلى الشارع، وكان عقلي يختبئ في ظِلالها، رأيت فجأة هذه اليد بين فخذيها، يدٌ مُشعِرة لرَجُلٍ بالِغ، تشقُّ طريقها إلى ساقها. يرتدي على إحدى الأصابع خاتَمَ زواجٍ ذهبيًا سميكًا. كانت مُجرَّدَ رؤيةٍ سريعة أقرب إلى ومضة.

اشتعلت رقتها الفائقة فانقلبت عيني من الخلف إلى الأمام. ابتسَمَت ابتسامتها الحلوة بشفتين ناعمتين مغلقتين، ابتسامتها المثيرة تلك:

"شكرًا على العشاء يا عزيزي. كان رائعًا".

قُبلة. وصوت مُحرِّك سيارة على بُعد عشرة مبان.

"هل هو متزوِّج؟".

"مَن؟".

"الرجل".

---

(1) SWAP: بروتستانتي أنجلوساكسوني أبيض ينتمي للطبقة البرجوازية.

"أيُّ رَجُل؟ في المطعم؟ نعم، لا بُدَّ وأنهما متزوجان".

"لا، الرجل الذي تـ...".

ولَّـت وجههـا اللطيـف المثـير كزهـرة عبَّـاد الشـمس نحـو زحام الغسـق. مـع تعبـير مفاجـئ عـن الألم، كـما لـو أن أحدهـم قـد قرصهـا في ظهرها.

"الرجل الذي ماذا؟".

"الرجل الذي تواعدينه".

"الرجل الذي أواعده؟ هل أُواعِد رجُلًا؟".

"نعم، هل هو متزوِّج؟".

"لا، لا... لماذا تقول ذلك؟".

صوتها مليء بالبراءة. ولكن بعد ذلك الكلمات الخاطئة:

"تود، أنت تعلمُ أنَّني لن أفعلها مع رَجُلٍ متزوِّج أبدًا...".

ترمـش عيونهـا إثـر الخطـأ الفـادح، وتمتلـئ شـفتاها بالنـدم. وبعـد ذلـك مونولـوج سريـع مـليء بــ "لا تُسِـئ فهمـي".

كـرَّرَت هـذه الجملـة اللعينـة سـبع مـرات في اليـوم عـلى مـدار الأشـهر القليلـة التاليـة. لقـد درَسـتُ هـذه الجملـة مثـل عالِـم آثـار يـدرس حافـة الزجـاج المكسـور الموجـود في أعـماق تـلال جبـل أرارات. مـاذا يعنـي ذلـك بحـق الجحيـم؟ "لـن أفعلهـا مـع رَجُـلٍ مُتـزوِّج أبـدًا" راجَعـتُ القواميـس، وبحَثـتُ في الإنترنـت، واسـتمعت إلى محادثـات لا حـصر لهـا في مـترو الأنفـاق، وشـاهَدتُ الكثـير مـن البرامـج التليفزيونيـة أثنـاء النهـار، ومـع ذلـك لم أسـتطع فهـم الأمـر.

لم تكـن لغتـي الإنجليزيـة عـلى مسـتوى المَهمَّـة حينئـذٍ، لم أكـن عـلى درايـة بجميـع الفـروق الدقيقـة في أم اللغـات هـذه. ومـع ذلـك أتيـت إلى هنـا قبلهـا بعـام، لكنهـا بالطبـع كانـت "تفعلهـا" مـع كل هـؤلاء الرجـال،

وتتعلـم اللغـة الانجليزيـة مـن خـلال أحاديـث الوسـادة، وتتلقَّـى الـدروس جيـدًا في سـاعات الصبـاح، بينـما تذهـب جميـع الفتيـات الـلاتي أواعدهـن مبـاشرة إلى الحـمَّام بعـد الطبـق الرئيـسي، ويغسـلن أنفسـهنَّ في المرحـاض عـلى نمـط كاميـكازي[1].

في النهايـة، عندمـا طـارت هـذه الجملـة غـير الرسـمية عـبر سـماء مانهاتـن، لثلاثـة أسـابيع كاملـة، ابتلَعـتُ كبريـائي وقُمـتُ بالتسـجيل في فصـل اللغـة الانجليزيـة في مدرسـة مسـائية صديقـة للمهاجريـن في تريبيـكا. كانـت غرفـة مضـاءة بالنيـون مـع كـراسي بلاسـتيكية قـذرة مليئـة بفتيـات فلبينيـات مُبتَسِـمات عـلى الـدوام، مـن طـراز اليـوم الــ 15، وعـدد قليـل مـن أعضـاء القاعـدة مـن الذكـور. بالإضافـة إلى المعلِّمـة فنلنديـة المَولِـد كاري، جميلـة نحيفـة لدرجـة مريعـة بشَـعرٍ أشـقر طويـل، ولم أسـتطع أبـدًا أن أُحـدِّد مـا إذا كانـت مـن طـراز اليـوم الخامـس أو الخامـس والعشريـن.

في نهايـة الفصـل الـدراسي، اسـتجمعت شـجاعتي أخـيرًا ورفعـت يـدي لأسـأل المعلِّمـة: إذا كان أحـد الرجـال يواعـد امـرأة مـا لفـترة معيَّنـة مـن الوقـت، وعنـد لحظـة مُعيَّنـة تُطَمئِنُـه أنهـا لـن تفعلهـا أبـدًا مـع رجـال متزوِّجـين...

"هذا يعني أنه يجب عليك التَّوقُّف عن مُواعَدَتِها" صدر الحكم.

وانفجـر الفصـل، انفجـروا ضاحكـين بحـق اللعنـة، وكذلـك جميـع الفلبينيـات المبتسـمات وإخـوان بـن لادن. لقـد فكَّـرتُ بشـدَّة في إحضـار مسـدسي الأوزي[2] إلى الفصـل التـالي، لكننـي أعتقـد أننـي كنـت ممتنًـا جدًّا لهـذه المـرأة كاري، التـي رفَعَـت مسـتواي في اللغـة الانجليزيـة بمقـدار

---

(1) kamikaze: جـزء مـن وحـدات الهجـوم الخاصـة اليابانيـة للطياريـن العسـكريين الذيـن شـنُّوا هجـمات انتحاريـة لصالـح الإمبراطوريـة اليابانيـة ضـد سـفن الحُلَفـاء.

(2) Uzi: مُسدَّس رشَّاش.

عشريـن طابقًـا في ثلاثـة أشـهر؛ فربمـا كانـت سـتكتئب إذا رأت جميـعَ طُلّابهـا يموتـون.

أديـن بلغتـي الإنجليزيـة للعمّـة غـيرة، لقـد سـاعَدَتني في الارتقـاء بمسـتواي. لا يـزال ديـكان وشركاه عالِقـين بانجليزيتهـم في مسـتوى الأرض "خُـذني السـيارة" لقـد وضعنـي ذلـك في موقـف مُحـرِج بعـض الـشيء (لا يجـب أن تبـدو أكـثر ذكاءً مـن رئيسـك في العمـل) وأغلـب الوقـت حاوَلـتُ التقليـل مـن قيمـة مهـاراتي، لكـن ديـكان اكتشـفني، وبـدأ في اسـتخدامي كمُتَرجِـمٍ فـوري لـه في بعـض صفقاتـه الكـبرى. لطالمـا شـعرت بغثيـانٍ عندمـا يجلـس لاعِـقُ إصبـعٍ بجانبـي في زغـرب سـاموفار، يمتـصُّ سـيجاره الميـت ويحـدِّق فيَّ، بينمـا أشرح وضعنـا للفتيـان البولنديـين مـن شـيكاغو. بـدا ديـكان دائمًـا متشـكّكًا بعـض الـشيء مـن تَقدُّمـي السريـع، وتَعامَـل كـما لـو أني تعلّمـتُ اللغـة الانجليزيـة مـن خـلال مواعَـدَة أحـد توأمَـيْ بـوش سرًّا، وقضـاء عطـلاتي مـن العمليـات في نهايـة الأسـبوع في الجنـاح الغـربي، وتَنـاوُل الطعـام مـع رئيـس مكتـب التحقيقـات الفيـدرالي وحَرَمِـه.

لم يعلـم أنـه كان فقـط نتيجـة بحثـي الـدؤوب في حيـاة مونيتـا العاطفيـة، وهـو إجـراءٌ تَضمَّـن بعـض أعـمال التجسُّـس أيضًـا، والـذي -بـكل خجـل- لم يُحقِّـق أي نتائـج.

حـين قالـت إنهـا لـن تفعلهـا مـع رجـال متزوِّجـين أبـدًا، ألمَحَـت مونيتـا إلى أنهـا في الواقـع "تفعلهـا" مـع رجـال غـير متزوجـين، وقـد دلَّ اسـتخدامها لكلمـة "تفعلهـا" الرهيبـة أنهـا كانـت تفعـل ذلـك بكـثرة. كانـت مونيتـا مَطحَنـة قُضبـان "تتَّجـه رأسـيًّا" إلى أعـلى بـرج ترامـب، ومُجهَّـزة بكلـماتٍ مـن قبيـل "انظـر إليَّ!"... عاهـرة الأثـداء المحتالـة.

أنـا لم أذكـر أيًّـا مـن هـذا لهـا. ونعـم، لم أكُـفَّ عـن لقائهـا، تركتهـا تفعلهـا معـي وفعَلتُهـا معهـا. لكـن ظـلَّ الحـب بعيـدًا، مثـل سـفينة سـياحية بيضـاء ضخمـة أكـبر مـن أن تدخـل المينـاء، حتـى الآن عـلى مـا أعتقـد. وأنـا

لا أفهم ذلك تمامًا. لقد ماتت وفجأة بدأت أشعر بالعاطفة تجاهها. سيسعدني أن أراها تنال العقوبة التي تستحقُّها. لقد تمادت للغاية، حتى بلَغَت شقَّتي الرائعة، على بلاط حمامي اللعين.

لكن ربما أجبَرَها أحد العصبجية الطَّليان على ذلك. كان المقصود من "عقوبتها" عقابي فقط. لقد كان نوعًا من (م.إ) مهمة إيطالية، تمَّت باسم جريمتي السِّتَّة والستين، أي واحد أو أي مجموعة؟ لا يهم.

كان لا بُدَّ أن يحدث عاجِلًا أو آجِلًا، كان لا بُدَّ من عزل قاتل مانهاتن الرئيسي، ذي عضلات البَطنِ السِّتَّة، الكرواتي القاسي، توكسيك الذي لا مثيل له. أم كان واحدًا مِنَّا؟ نيكو؟ صاحب مقولة "لماذا تدعوني نيكو؟" قال البوَّاب إن مونيتا صعَدَت إلى الطابق العلوي مع "رَجُلٍ يبدو إيطاليًا". كان من الممكن أن يكون كرواتيًا.

فَهِمتُ.

قتلوها. أصدقائي وأصحاب العمل قتلوا فتاتي، والآن لا بُدَّ لي من الحِداد عليها. لم أكن أعرف كم كانت تعني لي حتى الآن، لم تكن الأسوأ حقًا. لقد أحضَرَت لي الزهور في كل مرة جاءت فيها تقريبًا، أعطتني أفضل تدليك في حياتي، وكانت تطهو لي كل أسبوعين أطباقها المُفضَّلة منذ طفولتها في ليما: سمكة قرش أو سمك سيفيتشي باس أو أنتيكوتشوس البسيط الجميل، أو اللحم المقدَّد البيروفي الذي لَطالما ذكَّرني بشيفابي[1].

أنا أفتقدها.

أستطيع أن أرى الآن أن تصريحها سيئ السُّمعة لم يكن قاسيًا للغاية بعد كل شيء. "أنت تعلم أنني لن أفعلها مع رجُلٍ متزوِّج"، فهذا يعني فقط أنها لن تفعلها إذا سنَحَت الفرصة. كانت تستخدم صيغة

(1) cevapi: وجبة كرواتية من الكباب.

المستقبل -لو- أو أيًّا كان اسمها. ولكن في النهاية، إذا سنَحَت الفرصة، فمن المحتمل أن تفعلها مع الرَّجُل غير المتزوج..

عُذرًا... اللعنة... إنها ميتة الآن.

أسير في الشارع، وفجأة أستطيع أن أراها داخل تلك السيارة، تلك السيارة اليابانية التي تقف هناك على الجانب الآخر، في الليل الأيسلندي السَّاطع كأنه مضاء بالنيون. تلوِّح وتبتسم، تمامًا كما كانت تفعل دائمًا عندما تأتي لاصطحابي في سيارتها هوندا الصغيرة.

ماذا عن السيارة؟ شقتها؟ عملها؟ ليس لديها أقارب.

ربما ينبغي أن أتصل بصديقتها ويندي وأخبرها...

فجأة وصلَت السَّحابة الرطبة الكبيرة فوق ريكياڤيك إلى عيني. تمتلئ مثل سُترة من الصوف بدمٍ من جرح رصاصة، وفجأة أبكي وكأنها نوبة قلبية أو شيء من هذا القبيل. لا أستطيع تَمالُك حالي بحق اللعنة، يستمر الأمر وحسب، لم أبكِ منذ أن خسرنا تلك المباراة في نصف النهائي ضد فرنسا في باريس 98. وسجَّل اللعين ثورام هدفين. عليَّ أن أستريح أمام سيارة دفع رُباعيٍّ صغيرة تقف بصمت في المكان المخصَّص لها، وتتحمَّل الانهيار مثل حصان حربي أبيض.

تأتي سيدة مُسِنَّة تتجوَّل في الزاوية مع كلبها العجوز في طوقه، إنها نزهة الصباح الباكر تلك. أنظر لأعلى فتلتقي أعيننا. لا بُدَّ وأنني أبدو مثل متشرِّد يبكي على زجاجته. ومع ذلك تنظر إليَّ كما لو كانت معتادة على رؤية رجال العصابات في نيويورك ينتحبون في شارعها في الخامسة صباحًا. إنها فتاة من طراز اليوم 65، ترتدي سُترةً ضيِّقة وسروالًا رماديًّا، شَعرُها رمادي، وحذاؤها "نايك" أبيض.

تدفعني للتفكير في سيدات مانهاتن اللاتي تراهُن في أعلى الجانب الشرقي، ينتقلن من الإفطار إلى الغداء، بأحدث تصفيفات الشَّعر على

رؤوسـهن، ويرتديـن أحذيـة أطفـال جديـدة تمامًـا في أقدامهـن. كـما لـو كُـنَّ يُـرِدن أن تُمثِّل أجسـادهنَّ قِصَّـة حياتهـنَّ، مـن الطفولـة إلى النعـش.

لا أعـرف مـا أفعلـه، لكـن يـدي تعـرف: فجـأة ترتفـع يـدي اليمنـى، ترفـع نفسـها وتحـاول إيقـاف المـرأة بحـدَّة. لـن تتوقـف، لكـن كلبهـا يتوقَّـف، يتنقَّـل بـين سـيارتين ويخـرج إلى الشـارع، باتجاهـي عنـد سـيارة الدفـع الرباعـي البيضـاء.

تظـل السـيدة النحيفـة شـبه الرياضيـة عـلى الرصيـف، تسـحب المقـود الطويـل الـذي لا بُـدَّ وأنـه اشـتبك بالمصـد الآن. يرتجـف شَـعرها الرمـادي وهـي تأمـر الكلـب بالعـودة، لكـن الصغـير مصَّـاصٌ للحُـزن يشـمُّ دموعـي، البقـع الرطبـة الداكنـة في الأسـفلت، مثـل مدمـن مجنـون في إعـادة التأهيل يكتشـف الكوكايـين في مسـيرته اليوميـة في الغابـة. نظـرتُ لأعـلى، وفجـأة سـألتُ مالِكَتَـه سـؤالًا فاجـأني أكـثر مـن إيمـاءاتي:

"عفوًا، هل تعرفين إذا كانت ثمَّة كنيسة هنا؟".

18
صباح الموتى

2006/05/23

الكنيسة مُغلَقة. وهي أمام البِركة مباشرة، مُحصَّنة ومَطليَّة باللون الأخضر. يسبح البجع والبط في المياه الراكدة. يبدو أن بعضهم نائم ورؤوسهم مخفية تحت جناح.

كواك! كواك!

أجلس على درجات سُلَّم الكنيسة. يُحلِّق فوق رأسي عددٌ قليل من طيور النورس، ويقذفونني بالإساءة كملائكة في حالة سُكْر. تتَّصل جان بهاتفي الجديد مرَّتين فلا أجيب. عند الحِداد على زوجتك، لا يمكن للعشيقة أن تساعدك. يظهر عامِلُ مَدينةٍ ناعس العينين يقود آلة برتقالية صغيرة بطول الرصيف، وتدور أعلاها إضاءة ديسكو. تمَّ تجهيز الوحش الصاخب بمكانس دوَّارة وخرطوم فيل يستخدمه لامتصاص القمامة: المشهد كله يبدو وكأنه حيوانٌ صاخِبٌ يتغذَّى

علـى القمامـة. يمـرُّ السـائق دون أن ينظـر إليَّ. يـا رجـل... لـو كان فقـط بمقـدورك أن تُنظِّـف مسـار حيـاتي.

إنهـا مقـبرة لعينـة. منـذ أن أنهيـتُ دراسـتي لم أفعـل الكثـير باسـتثناء إضافـة الصُّلبـان إليهـا. هنـاك حـصًى في ضمـيري، مثـل الحـصى الـذي يصاب بـه النـاس في كُلَاهـم، حَـصًى بحجـم الكُلْيَـة. اسـتيقظتُ وبـدأت المـشي. أمـشي في وسـط المدينـة، متابعًـا وحـشَ القمامـة.

قابَلـتُ مونيتـا في مطعـم أرتـورو؛ كابينـة فـرن الفحـم الهادئـة في هيوسـتن وتومسـون. انتظرتنـي. انتظرتهـا. ذهبـتُ وعُـدتُ سـبع مـرَّات قبـل أن تسـمح لي برسـم الابتسـامة عـلى وجههـا. شـكرًا جزيـلًا للسـيدة مطحنـة القُضبـان. تَحتَّـم عـليَّ أن أطلـب سـبع فطائـر بيتـزا مختلفـة قبـل أن أتمكَّـن مـن معرفـة مفاتيـح قلبهـا. كان زيتونًـا أسـود، بصـلًا أحمـر، وجرجـيرًا. جرجـير. لم آكُل شـيئًا لشـهورٍ سـوى بِرجَـر الجرجـير ومكرونـة الجرجـير. وبعـد ثلاثـة أشـهر، تبادَلنـا أوَّلَ قُبلـة. كانـت عمليَّـةً بطيئـة، مثـل تمريـر فاتـورة كبـيرة عـبر الكابيتـول هيـل[1]. ليـس حقًّـا أسـلوبي في الصيـد.

مـا زلـتُ لا أفهـم لمـاذا لَعِبَـت معـي دور المـرأة صعبـة المنـال، في حـين لم يكـن عـلى عُـزَّاب بـرج ترامـب سـوى الضغـط عـلى زر المصعـد، وكانـت ترتقـي لطابـق أعـلى كل ثلاثـة أو أربعـة أسـابيع. لم تفعلهـا مـع المبتـدئ. لكنهـا فَعَلتهـا مـع كلِّ شـخص آخـر.

أقـف في السـاحة الرئيسـية في أيسـلندا في السـاعة 5:02 صباحًـا، مثـل محكـوم عليـه بالإعـدام ينتظـر وصـول جـلَّاده والعصابـة الغاضبـة. لكـن لا أحـد هنـا. لا شيء سـوى النـار الهادئـة للحيـوان البرتقـالي الـذي يختفـي في الشـارع، ونعيـق الغـراب الوحيـد أعـلى السـاعة الصغـيرة في منتصـف الميـدان، وقـد دُفـن الجبـل الأشـبه بالحـوت في ضبـاب الخليـج الرمـادي حتـى كاحلـه الأزرق الفاتـح، وأنـا أتجـه نحـوه.

---

(1) Capitol Hill: مقر الحكومة الأمريكية.

تقف سيارة رمادية صغيرة في الزاوية التالية تنتظر الضوء الأخضر. تقودها شقراء سمينة من نوع اليوم السادس عشر. لا بُدَّ وأنها في طريقها إلى العمل. كم مرَّة كنتُ مكانها، أنتظر إشارة حمراء في الرابعة صباحًا، في أعماق قلب مدينة اللا مكان، السيارة الوحيدة في مرمى البصر، وويلي نيلسون[1] يغنِّي على كل الموجات لجميع الفتيات التي أحببتهنَّ من قبل.

أعتقد أن أكثر من نصف ضحاياي البالغ عددهم ستة وستين لقوا حتفهم قبل الظُّهر. الصباح للقتل؛ فلا أحدَ يتوقَّع رصاصة على الإفطار.

أمشي بمحاذاة الشاطئ، يمتدُّ جدارٌ واقٍ من الأحجار الضَّخمة بطول الخط الساحلي؛ ليحميك من الوحش الذي يقبع تحت سطح مياه المحيط الذي يشبه المرآة، زميلي المجنون. ويمتدُّ مسار المشي الممهَّد بين الجدار والشارع الفارغ.

يظهر أمامي نصف رأس مونيتا الأزرق، يطفو في الهواء مثل عنكبوت ضخم مُشعِر. أمشي بمحاذاة الشاطئ، أتحدَّث معها ومع نفسي. أنا عالِقٌ في جزيرة الثلاجة، ولا يوجد أحدٌ أتحدَّث معه سوى كل خطاياي وخيباتي.

كانت عملية رقم #42 رجل أعمال سيِّئ الحظ من وينيبيج في كندا، كان يدين لديكان ببعض المال. اضطررت أن أصعد خمسة وأربعين طابقًا من أجل هذه المهمة، وأدخل غرفته الصغيرة بالفندق. عندما دخلت، كان يمارس نوعًا مجنونًا من اليوجا فوق السرير المزدوج، ساقاه في الهواء ومؤخِّرته في وجهي. لم يكن يرى الموت قادمًا حتى أرسلت الرصاصة في شرجه. كان الأمر مضحكًا جدًّا فلم أقاوم تجربته. لكنه لم يَمُت على الفور. قضيتُ حوالي أربعين ثانية متألِّمًا من خطوتي

(1) Willy Nelson: مُغنٍّ أمريكي.

التاليـة. لم أرغـب مطلقًـا في إضاعـة رصاصـة أخـرى. كنـتُ عـلى بُعـد رصاصتـين فقـط مـن لقـب ثـلاثي عضـلات البطـن؛ لذلـك وقَفـتُ هنـاك أداعـب بندقيّتـي.

لحسـن الحـظ بـدا أنـه يتفهّـم وضعـي؛ فـكان متعاونًـا. أودُّ أن أذكـره في خطـاب الشُكـر في حفـل توزيـع جوائـز المافيـا.

بجهـد هائـل تَمكَّـن مـن العـودة والزحـف عـبر السريـر الملطّـخ بالدمـاء نحـو الطاولـة. يبـدو أن الرصاصـة قـد انتقلـت إلى القولـون، عـبر معدتـه ورئتيـه، وخرجـت مـن حـدود الصـدر والرقبـة. استمرَّ الـدم في التدفـق من تحـت الذقـن. أسرَعـتُ إلى هنـاك، معتقـدًا أنـه حتـمًا يحتفـظ بمسـدّس في الـدُرج، لكنـه وصـل فقـط إلى محفظتـه وقـضى أنفاسـه الأخـيرة في النظـر إلى صـور زوجتـه وأطفالـه الثلاثـة، أربعـة وجـوه كنديـة مُجمَّـدة في مـرح. ثـم غـرق في دمـه الـذي كان يقطـر مـن أنفـه.

بمجـرَّد أن أخـذه القديـر، جلسـتُ بجـواره عـلى الفـراش، جلسـت هناك لمـدة نصـف سـاعة وقـرَّرتُ في النهايـة أن ألقـي بنفسـي مـن النافـذة إلى الجـادَّة السادسـة. لكننـي لم أتمكَّـن مـن فتـح النافـذة اللعينـة... الفنـادق المعـاصرة... ثـم اكتشَـفتُ أن بإمـكاني اسـتخدام مسـدسي بالطبـع، لكـن الطمـوح طغـى عـلى الاكتئـاب.

بعـد فـترة وجيـزة، في موعـدي الغرامـي التـالي مـع مونيتـا، طرحـتُ فكـرة أن نُنجـب أطفـالًا، وأن نصبـح أسرة. مـاري لـو وبـوبي بوكسـيتش. أرَدتُ بعـض الوجـوه السـعيدة في محفظتـي، لكنهـا قالـت إنهـا تريـد الانتظـار حتـى تصـل إلى الطابـق العشريـن في العمـل.

كان أمامها خمسة، خمسة عُزَّاب تافهين.

يأخـذني مسـار المـشي بعيـدًا عـن الشـاطئ، مُتَّبِعًـا الشـارع المـؤدي إلى بعـض الأحيـاء البيلاروسـية. بنايـات منخفضـة عـلى يسـاري، وأعـلى عـلى يمينـي، تُذكِّـرني بأسـبوع عمـلي في مينسـك، حيـث ننتظـر أنـا ونيكـو في

غرفـة فنـدق لمـدة خمسـة أيـام حتـى تصـل تلـك الحقيبـة. مشـاهدة كل مبـاراة مـن مباريـات بطولـة العـالم لكـرة اليـد للسـيدات، كانـت فتيـات النرويـج مثـيرات.

هنـاك بعـض السـيارات الآن، تـزداد حركـة المـرور في الصبـاح، معظمهـا يتَّجـه نحـو وجهـي، مُتَّجِهًـا إلى وسـط المدينـة. ليـس لـديَّ خُطَّـة سـفر. أنـا فقـط أتبـع رأس مونيتـا المتجمِّـد الـذي يظهـر أمامـي كل سـبع دقائـق، بينـما كنـت آمـل أن تظهـر سـيارة شرطـة. لقـد وصلـت إلى اللحظـة التـي سـتأتي آجـلًا أم عاجـلًا في مهنـة كل قاتـل: عندمـا يتـوق إلى حبـل المشـنقة، عندمـا يبـدأ بالـصراخ في مواطنيـه: "أرجوكـم تعالـوا وخـذوني!".

تأخـذني المسـيرة أمـام السـينما (تظهـر بعـض خـراء أفـلام العصابـات الإيطاليـة) ومتجـر أيكيـا المحـلي مرسـومًا باللونـين: الأصفـر والأزرق. لابـأس بالصبـاح الآن، تنهمـر السـيارات مثـل القـوافي مـن فـم مُغنِّـي الـراب. لكـن لا أحـد يمـشي غـيري في الجـوار، لا يوجـد مُشـاة آخـرون. لا عجـب إذن أن ينتهـي الرصيـف فجـأة. أسـتمرُّ بطـول الطريـق، وأمـشي عـلى العشـب القـذر بجانـب الأسـفلت. هنـاك فـوضى مـن الخرسـانة أمامنـا، حلقـات وعُقَـد مروريـة، ينظـر إليَّ النـاس في السـيارة كـما لـو كنـت هانيبـال ليكـتر في طريقـه لتنـاول الإفطـار.

لقـد سـئمت المـوتى. يبـدو الأمـر كـما لـو أن رأسي عبـارة عـن ثلاجـة مليئـة بالبضائـع والآن بعـد أن تـمَّ سـحب القابـس، يـذوب كل شيء مثـل جـداول الميـاه في الربيـع. يشـبه إلى حـدٍّ مـا أوَّلَ يَـوم لنـا في الحـرب. في الصبـاح كان كل شيء هادئًـا ومُسـالِمًا للغايـة، ومغطًّـى بالثلـج الأبيـض الجميـل، وذلـك بعـد ليلـة جامحـة مـن إطـلاق نـارٍ لا هَـوادَة فيـه. ولكـن بحلـول الظهـيرة ذاب الثلـج وظهـرت كل الجُثَـث.

عمليـة رقـم 51 كان تخـصُّ چـيرسي، بيـت العائلـة. البديـن الأشـبه ببرجـر الجـبن الصغـير ذا الشـارب، والـذي اختبـأ في منزلـه في أحـراش

چيرسي لأكثر من شهر. جلست في سيارتي لمدة ساعتين، حتى غادَرَت زوجته وأطفاله. بمجرَّد أن سقط على الأرض، مُلوِّنًا السجادة بالبول والدم، عادت زوجته. لقد نَسِيَت شيئًا "إنها أنا!" رنَّ صوتها.

ذهبتُ مباشرة إلى المطبخ، وانحنيت بسرعة خلف الأريكة. بينما كانت تفتح الخزائن والأدراج بسرعة، تمكَّنتُ من الزحف إلى النافذة، مختبئًا خلف الستائر السميكة بطول الأرضية. لم أرغب في قتلها أيضًا. الأطفال ينتظرون في السيارة وما إلى ذلك، وفي الحقيقة لم أقتل امرأةً قَطُّ (حسنًا، باستثناء العجوزين الشمطاوين في الحرب، لكنهما كفَّتا عن كونهما نساء منذ فترة طويلة).

ثم سَمِعتُ المرأة تدخل غرفة المعيشة: "مرحبًا يا عزيزي، أنا فقط..." ثم صراخ حاد.

اضطررتُ للوقوف هناك لمدة ساعة قبل أن أتمكَّن من الهروب. ظلَّت تصرخ لمدة نصف ساعة ثم جلست هناك لمدة أخرى مشلولة، قبل أن تستدعي الشرطة في النهاية. كان يجب أن أقتلها بالرصاص أيضًا. ربما كان هذا أفضل لها.

وبدلًا من ذلك، انتهى بي المطاف بالذهاب إلى الجِنازة اللعينة، على الأغلب لكي أتفقَّد الأرملة. كانت مثيرة، وهو أمرٌ حميد؛ فالنساء الجميلات أسرع في التعافي من هذه الأمور. بدت هذه وكأنها يمكن أن تكون على رأس قائمة "أحدث أرملة في أمريكا"، وقد شَعرتُ بتحسُّن حين رأيتُ سِتَّة عُزَّاب وسيمين على الأقل حضروا الجنازة. ربما حقَّقتُ للتَّوِّ النهاية المثالية لخياناتها.

رأسي يضجُّ بالرؤوس، بعضها يصرخ وبعضها صامت.

يظهر شَعرُ مونيتا مرة أخرى، دائمًا على بُعد عشر أقدام؛ ممَّا يجعلني أغذُّ السير قليلًا. يجب أن أعترف أنني أحيانًا تمنَّيتُ بالفعل أن أحصل على رأسها على طبق من الفضة، وقد حدث. تبتسم على

نحـو غريـب، وفجـأة أشـعر بالرغبـة في أن أقبِّـل شـفتيها الأرجوانيتـين الباردتـين. لكنهـا تحافـظ عـلى مسـافتها، وتقطـع الطريـق المنبسـط أمامهـا. أتبعهـا، فتعـزف لي مجموعـة كبـيرة مـن أبـواق السـيارات نغمـة غاضبـة.

كانـت العمليـة رقـم 56 يشـبه صاحِبُهـا روبـرت ريدفـورد، رجـلٌ مفتول العضـلات ذو ربطـة عنـق صفـراء، وفـكٌّ قـويٌّ، وشَـعرٍ رَمـاديٌّ. اسـتغرق عـدَّةَ دقائـق ليمـوت، في الجـزء الخلفـي مـن مطعمنـا. شـعرتُ أننـي أحـرزتُ نـصرًا؛ إذ تمكَّنـتُ مـن القضـاء عـلى مثـل هـذا الأمريـكي الأصيـل.

أمَّـا العمليـة رقـم 59 فـكان مُنتِـجَ أفـلام إباحيـة بولنـدي في كوينـز، في يـومٍ شـبه غائـم مـن أيـام أبريـل. كان عـليَّ أن أرتـدي قناعًـا؛ لأن صديقتـه كانـت هنـاك.

أمـشي عـلى تلَّـةٍ صغـيرة شـديدة الانحـدار مـن العشـب عـلى جانـب الطريـق. يأخـذني إلى الجـسر العلـوي، الجـسر الخرسـاني الصغـير الـذي يعـبر الشـارع الـذي كنـتُ أسـير فيـه خـلال السـاعة الماضيـة. السـيارات هنـا أسرع.

عمليـة رقـم 63 كانـت الرَّجُـل الصينـي الصغـير الخجـول في شـارع كانـال. بـدا وحيـدًا لدرجـة أنـه كان سـعيدًا بشـدَّة بفتـح البـاب للمـوت.

عمليـة رقـم #68 عندمـا أقفـز مـن الجـسر اللعـين، وأقـول وداعًـا سريعًـا لسـبليت.

19

الحياة الآخرة

23.05.2006

أوشَكتُ على الزحف حين وصلت أخيراً إلى المنزل اللعين. نعم، إنه منزلهم. تعرَّفتُ على السيارة لاند كروزر الفضية. لا بُدَّ أن هذا يعني أنهم في المنزل، أنا الوحيد الذي يمشي في هذا البلد. يبدو أن النزيف قد توقَّف، لكن السِّنَّ لا يزال مفقودًا. لا بُدَّ وأنني أبدو كما لو كنت مُعلَّقًا على صليب لمدة يوم أو يومين. أشعر بضيق حين أقرع الجرس.

حين أقرع أجراس الكنيسة اللعينة.

تأتي سيكريدر إلى الباب وسرعان ما تردُّه إلى أنفي المكسور. المزيد من أجراس الكنائس. يظهر وجه جودموندور نفسه في النافذة العمودية بجانب الباب. رأس اللاما القديم الطيِّب ذي الأسنان الأمامية الطويلة. بصفته شخصًا سافر على قدميه إلى صميم روحه؛ فإنه قادر على الرؤية من خلال الدم والعَرَق والدموع. يتعرَّف عليَّ ويفتح

البـاب. نحـن نواجـه بعضنـا البعـض: مَـن غسـل أسـنانه يواجـه مَـن فقدهـا.

"مـا هـو... مـا هـو لرؤيتـك؟" سـألني بما يبـدو أنهـا عبـارة محلِّيَّـة تعنـي: "مـاذا حـدث لـك؟ أنـتَ غـارقٌ في الدمـاء".

"مررحببًا...".

يؤلمنـي التَّحـدُّث بشـكل جحيمـي. الكلمـة الصغـيرة تحـرق حلقـي وتُشـقِّق جمجمتـي؛ لذلـك تركـت عينـي تتحـدَّث. (لا بُـدَّ أنهـما يبـدوان مثـل بئريـن صغيرتـين في حفـرة طينيـة). أنـا سـعيد جـدًّا برؤيتهـما! حتـى إننـي أفقـد تـوازُني وأقـع عـلى ركبتـي عنـد العتبـة الذهبيـة. أمـدُّ يـدي إلى سروالـه، لكنـه يرجـع قليـلًا، وزوجتـه تقـف خلفـه. تلامـس يـدي المؤلمـة والمتورِّمـة أصابـع قدمـه المُغطَّـاة بالجـورب، فأبـدأ في النحيـب مثـل حصـانِ بحـرٍ بأنيـاب مكسـورة.

"جودمـوه..." لا أسـتطيع أن أقـول أكـثر مـن ذلـك. الألم شـديد جـدًّا، يجـب أن أضعـه في روحـي وأدعـه ينهـي كلامـي. صوتهـا عميـق وغـير مسـموع، مثـل كلام بـاري وايـت تحـت الماء.

أنـا بالـكاد أفهـم ذلـك بنفـسي، لكنـه يبـدو شـيئًا مثـل: "... أررجـووك سـاعدني".

أصبـح الأمـر مُمتِعًـا، تتوسَّـم روحـي خـيرًا في وجـه اللامـا العزيـز الطيـب.

أنـا الآن عـلى وشـك الاسـتلقاء عـلى أرضيـة المدخـل، أنـشر خطايـاي القـذرة عـلى بلاطهـم الأبيـض. ألـقِ نظـرة فاحصـة عليهـم، عزيـزي القـس.. ألـقِ نظـرة فاحصـة عـلى الفـوضى القـذرة، خُـذ كلَّ شيء واحرقـه في الجحيـم، أو أحـضره إلى عُـمَّال النظافـة في جَنَّتِـكَ الحبيبـة.

أنَسـتُ بعـض الحـذر، أعتقـد أننـي أسـمعهما يهمسـان فـوق رأسي، ولكـن أخـيرًا يمكننـي أن أشـعر أن السـيد جـود يمـدُّ يـده فـوق رأسي ويغلـق البـاب. سـاعدني عـلى النهـوض وقـادني إلى الحـمَّام القريـب، بالـكاد يمكننـي أن أمـشي.

تغسـل سـيكريدر رأسي المـؤلم ووجهـي المتـورم. أحـاول ألَّا أنظـر في المـرآة، لكنهـا بالرغـم مـن ذلـك تهمـس لي أننـي أبـدو مثـل رجـل الفيـل. بالـكاد أستطيع أن أرى بعينـي اليـسرى، تَضاعَـف حجـم أنفـي، يجـب أن أكسرهـا، وكذلـك السـن بجانـب الأسـنان الأماميـة عـلى يسـاري.

تبـدو الشـفة العليا أفريقيـة، ومـع ذلـك، فقـد جـاء معظـم النزيـف مـن الجبهـة. ثمـة جـرح فـوق عينـي اليـسرى يمتـدُّ حتـى خَـطِّ الشَّـعر. عندمـا تشـطف سـيكريدر الجـرح، يلمـع مـرَّةً أخـرى. ذراعـي اليمنـى سـاكنة بسـبب ألم كتفـي، ولـن أتفاجـأ إذا رأيـتُ بعـض الضلـوع المكسـورة إذا كان لديهـم كامـيرا أشِـعَّة سـينية في المنـزل. كل نَفَـسٍ يجلـب الألم.

أشـعر بالتـواء في كاحـلي الأيمـن، مثـل منشـفة شـبه مُبلَّلـة يحـاول شـخصٌ مـا أن يعصرهـا دون جـدوى.

"هل هبطت[1] في حادث؟" يسأل الواعظ.

"نعااههم!".

إنه مثل التحدُّث إلى طبيب الأسنان وفمك ممتلئ بالأصابع.

"أين؟".

"آه سيار..." أغمغم بأسنان مكسورة وشفتين متورِّمَتيْن.

"في حـادث سـيارة؟ هـذا فظيـع. علينـا الذهـاب إلى الطبيـب... إلى المستشـفى".

(1) يتحدث بلغة انجليزية ركيكة.

"لكـن علينـا تنظيفـه أوّلًا ووقـف النزيـف، لا يمكننـا أن نذهـب معـه عـلى هـذا الحـال إلى المستشـفى" تقـول سـيكريدر مثـل ممرِّضة متمرِّسـة بينـما تغسـل جبهتـي بعنايـة بمنشـفة صغـيرة.

"لاه" أحتجُّ. "لا مستشفاا...".

"لا مستشـفى؟ لمـاذا ؟ إنهـا نظيفـة. لدينـا نظـامٌ صحّـيٌّ جيِّـد جـدًّا، إنـه الأفضـل في العـالم، أم ربمـا يكـون هـذا مخالفًـا لقوانـين كنيسـتك؟" يسـأل جودمونـدور وهـو يرفـع حاجبيـه: "أنـت تعلـم أنـه لم يَعُـد الأب فرينـدلي. هـذا الرجـل قتـل الأب فرينـدلي" قالـت زوجتـه بوجـه مارجريـت تاتـشر[1] ويَـدَيْ فلورنـس نايتينجيـل[2] "إنـه قاتـل!".

يتوقّف زوجها الأقل ذكاءً للحظة.

"نعـم بالتأكيـد، أنـت مجـرم. يجـب أن نأخـذك إلى الشرطـة أيضًـا" أبتعـد عـن سـيكريدر ومنشـفتها لمواجهـة القـاضي عـلى حيـاتي.

"من فظظلك.. أحللقلي".

نظـر إليَّ ثـم نظـر إلى زوجتـه ثـم إليَّ مـرة أخـرى. وجهـه عبـارة عـن تـردُّد كبـير. قـد يعتقـد حقًّـا أننـي أطلـب حلاقـة. وقـد أحتـاج بالفعـل إلى واحـد. أحـاول مسـاعدته عـن طريـق إمالـة رأسي القبيـح فجـأة عـلى صـدره (يمكننـي سـماع قميصـه الـوردي وربطـة عنقـه الزرقـاء يصرخـان بصـوت عـالٍ بينـما يلامسـان جبهتـي الداميـة)، أحاوطـه بذراعـي فيتراجـع قليـلًا، لكننـي لا أتركـه، وأضغـط بذراعـي حولـه أكـثر. أفعـل كل مـا هـو مخالـف لطبيعـة توكسـيك.

صرَخْتُ في بطنه، متناسيًا ألمي لدقيقة "سيقتلونني... أتوسَّل إليكَ".

---

(1) Margaret Thatcher رئيسة وزراء بريطانيا سابقًا.

(2) Florence Nightingale: ممرِّضة بريطانية خلال حرب القرم 1854- 1856.

أستطيع أن أشعر أن الزوج والزوجة يتبادلان نظرات ذات مغزى، جُنديًا خيرٍ في مواجهة شرير مهزوم. تحدَّثا باللغة الأيسلندية لبعض الوقت. أقوم بـ أ.ق.أ وأتمسَّك بجسد الواعظ مثل قرد حديث الولادة متشبِّثٍ بأمه. أشاهد دمعتين مختلطتين بالدم تتساقطان من وجهي إلى أرض، تستحيل كل واحدة بِركةً صغيرة على البلاط الأبيض، وهي بِركة صافية تمامًا مليئة بالخطوط الممزَّقة بالدماء، والتي تتحرك فيها باستمرار مثل بعض السياط الصغيرة.

قاما بلَفّي بضمادات دون إطلاعي على أي قرارات أخرى، وحوَّلاني إلى مومياء، ثم أخذاني إلى الطابق العلوي إلى فراشي القديم. تضع سيكيدر قطعة قماش باردة على أنفي، وتطلب مني الاسترخاء، ثم يغادران الغرفة.

أمي و أبي.

أحاول الحصول على قسط من الراحة. أحاول أن أحصل على بعض الراحة لروحي. الألم الجسدي موجود، لكنَّ مَصادِرَه متعدِّدة، وقد أدخل الآن في ألمٍ عام كبير، ضجَّة عالية في نظامي، يمكنني في الواقع تجاهلها من وقت لآخر، مثل مَن يعيش بجوار موقع بناء وقد توقَّف أخيرًا عن سماع كل الحفر.

قفَزتُ بعد فوات الأوان، كنتُ متأخِّرًا جدًّا. لقد أخطأت في تقدير الوقت اللازم لسقوط جسدي المثقل بالدهون على ارتفاع خمس عشرة قدمًا. كنت أستهدف شاحِنةَ توصيل بيضاء كبيرة كان من المفترض أن تمنحني الضربة القاتلة بمصدِّها الأسود الصُّلب. بدلًا من ذلك، كانت الشاحنة بالفعل في منتصف الطريق تحت الجسر عندما وقَعتُ أخيرًا.

هبطت على سطحها، ثم قفزت على الفور من ظهرها إلى الجدار الخرساني أسفل الجسر واصطدمتُ بعُنفٍ على النصف الأيسر من

وجهـي، قبـل أن أسـقط عـلى كتفـي المتصلِّبـة وكتفـي التـي تؤلمنـي. استلقيت هنـاك لبضـع دقائـق، لكـن لا يبـدو أن أحـدًا قـد لاحـظ أنني أتدحـرج مثـل كيـس غسـيل مُتَّسِـخ مـن مستشـفى عسـكري مجهـول. ولا يبـدو أن أحـدًا قـد لاحـظ الخنزيـر النافـق المُلقَـى عـلى جانـب الطريـق تحـت الجسر. ومـع ذلـك، أبطـأت السـيارات قليـلًا عندمـا عُـدتُ إلى صـوابي وزَحفـتُ عـلى قدمـي. لكـن لا بُـدَّ وأن الجميـع قـد اكتشـفوا أننـي كنـتُ وحشًـا يعيـش تحـت الجسر.

واصَلـتُ سـيري. واصَلـتُ الابتعـاد عـن المعـبر بنصـف وعيـي، في نفـس الاتجـاه الـذي كنـتُ أسـير فيـه قبـل موعـدي الفاشـل مـع المـوت، مشـيت عـلى الفاصـل الأخـضر الواسـع بـين الطـرق ذات المساريـن. مشـيت بكاحـلٍ ملتـوٍ ووجـه ملطَّـخ بالدمـاء. حـدَّق النـاس في وجهـي خلـف عجلاتهـم السـعيدة، لكـنَّ أحـدًا لم يتوقـف. سـيدات مسـاحيق التجميـل اللعينـات وجرَّاحـو التجميـل جميعهـم. ثـم بـدأت السـماء تمطـر، ومنـذ ذلـك الحـين لم أعُـد مرئيًـا بالنسـبة لهـم.

واصَلـتُ المـشي، مثـل دُبٍّ قطبـي جريـح يتَّجـه تلقائيًـا إلى القطـب الشـمالي ليمـوت، ظللـت أسـير في حـارة المـرور. بـدا الأمـر بـلا نهايـة، لكننـي واصلـت المـشي، دون أدنى فكـرة عـن وجهتـي. أخبرتنـي اللافتـات العلويـة أننـي مُتَّجِـه إلى المطـار. قالـوا كيفلافيـك مـع صـورة لطائـرة تحلِّـق لأعـلى. بالطبـع يمكننـي دائمًـا محاولـة الهـروب مـن هـذا البلـد عـلى أننـي إيجـور وبـدء حيـاة ثالثـة جديـدة كمتعهِّـد دفـن بمولينسـك في روسـيا.

مـررتُ أسـفل سـبعة جسـور، مـرورًا ببيتـزا هـت ومركـز تجـاري أشـبه بسـفينة فضـاء غريبـة أذكـر أننـي رأيتـه مـن قبـل. اختفـت جزيـرة المـرور وجعلتنـي أتـرك كتفـي المتألمـة لأمسـك بالأخـرى المتصلِّبـة، ثـم فجـأة رأيت عـلى يمينـي، بـين بضعـة مبـانٍ إداريـة جديـدة، صليبًـا أزرق كبـيرًا مرسـومًا عـلى الجملـون الأبيـض الكبـير لكنيسـة تورتشـور، تلـك التـي زُرتهـا مـع

جودموندور في الأسبوع السابق. أعطتني فكرة ومنحتني الأمل. كنتُ أعرف أن بستان الصمت لم يَعُد بعيدًا جدًّا، كنتُ أعلم أن والِدَيْ جان كانا أملي الوحيد، أهل الخير. وها أنا مستلقٍ على فراشي القديم العزيز مثل الابن الضال.

يفتح جودموندور الباب، تعبيره أبوي صارم... وجهٌ أحمر وشَعرٌ أبيض. من المحتمل أنه مَدينٌ بلون وجهه لأيامه الشيطانية. يمسك كرسيًّا ويجلس بجانب الفراش. قميصه أزرق فاتح الآن، وربطة عنقه وردية.

"انظر. كنَّا نتحدث في الأمر... عنكَ. وهناك احتمالان. رقم واحد: هو أن نبلغ عنك الشرطة، ورقم اثنين: هو أن نعتني بك. لكن هذا صعب للغاية".

يتوقَّف برهة ويتنهَّد ويداعب وجهه الطويل بيده اليمنى.

"إنه أمر خطير بالنسبة لنا".

"آه..." أغمغم من تحت القماش المُبلَّل.

"اتَّصلتُ أيضًا بصديقي بوريور".

"آهه؟".

"ويقول إنه ربما يمكنه مساعدتك أيضًا".

وقفة.

"هل تريد مساعدتنا؟ هل تريد منَّا مساعدتك؟".

"آه" أومئ بألم.

"لكن لا يمكننا القيام بذلك إلا إذا فعلتَ شيئًا واحدًا".

"آه، آه، هاه؟".

"عليكَ أن تعترف بإيمانك بيسوع المسيح وتنضمَّ إلينا في كنيسة الله الحي".

يومئ تود.

20
علاج تورتشور

2006/05/24 - 2006/05/30

إذا كان النوم هو بَثٌّ من السماء، فهناك الكثير من التشويش في الراديو الخاص بي. لا أستطيع النوم. أشياء كثيرة في رأسي الذائب المتألم، الانتحار الفاشل يُشعِر بالحزن على الموت الذي لم يحصل عليه.

لديَّ شاحنات توصيل تأتي إليَّ في كل دقيقة. في لحظة أمارس الحب مع مونيتا في منتصف الطريق، وفي اللحظة التالية تجمَّدَت شفتاها وصدمني مصدُّ سيارات في مؤخَّرة رأسي. في إحدى اللحظات أمُرُ بالعملية رقم 23، وفي التالية أقوم بتزيين دار الجنازة الخاصة بي في سمولينسك. من الأفضل أن أستأجر مساحة جميلة بمواجهة الشارع، وأغطي النوافذ بأحرف كبيرة على الطراز الأمريكي:

"وكيلك المفضَّل- أفضل صديق للموت" وربما إضافة بعض التوصيات من العملاء الراضين.

"نعش ممتاز وأظافر صلبة. بفضل إيجور سأرقد بسلام- فلاديمير فيدوروف (1932-2006)".

أقوم بدور المومياء مستلقيًا على ظهري، ساكن تمامًا، مثل فيدوروف في قبره. كل حركة صغيرة تجلب الألم. وحين نزل جودموندور طلبت منه بعض الأسبرين.

"ربيع؟".

"لا، أسبرين. دواء. مُسكِّنات".

"أوه فَهِمتُ، لا أنا آسف. ليس لدينا. الرب مُسكِّننا".

ثم مرة أخرى ابتسامته الغبية. أنا في بلاد الأميش[1].

لم يجرؤوا على لمس بنطالي الجينز؛ لذلك ارتديته أثناء نومي. لا يزال هاتفي الخلوي في الجيب الأيمن، ومن وقت لآخر يمكنني سماع اتصال جان، تجذب اهتزازات الهاتف جاره في الجانب الآخر من الجيب بقوة، لكنني أضعف من أن أتمكَّن من إخراجه، وحتى لو استطعتُ، فلن أرغب في الرَّدِّ. لا أريدها أن تراني الآن.

ربما كان الوقت بعد الظُّهر عندما وصل تورتشور. يدخل الغرفة البيضاء كطبيبٍ بحقيبة صغيرة، وشعر مُمشَّط إلى الوراء، ونظارات لينون السميكة. إنه ينظر إليَّ مباشرة في عينيَّ ويتحدَّث إليَّ بصوتٍ آمِرٍ كصوت الله ذاته.

"أنت أكبر الخُطاة. يجب أن تعرف أنك قتلتَ رسول كتاب الله المقدَّس، واهِبَ الكلمة الحيَّة المقَدَّس. لقد ارتكبتَ أبشعَ الجرائم. هل نحن مُتَّفِقون على هذا؟ هل تعترف بجريمتك وخطيئتك؟".

---

(1) Amish: طائفة مسيحية تقليدية في الولايات المتحدة، لهم أصول سويسرية ألمانية، ويرفض أتباعها العديدَ من تقنيات الحياة العصرية باعتبارها هرطقة.

أومئ كمومياء.

"هل يمكنك أن تضع اعترافك المقدَّس على لسانِك الشيطاني؟".

"نعم... نعم، أعترف، أنا مخطئ" يعلن رجل الفيل بضَعفٍ من خلال شفتيه المطّاطيتين السَّميكة.

"وقاتل".

"نعم، قاتل".

"أنتَ القاتل الحقيقي للأب فريندلي، أخونا الحبيب ومُخلِّص الملايين والله على ما أقول شهيد؟".

"نعم. قتلتُ الأب فريندلي. لم يكن هذا جيِّدًا".

"لم يكن جَيِّدًا؟ لا، لم تكن تستحقُّ حتى أن تكون في نفس الغرفة التي يعيش فيها. صديقاي العزيزان هنا -جودموندور وسيجريور- يخاطران بالكثير لإنقاذ روحك الضائعة، وأنا كذلك. نحن جميعًا نخاطر بشكل كبير، يجب أن تعلم ذلك. إنهما يخاطران بوظيفتيهما، ويخاطران بسُمعتهما ومحطَّتِهما التلفزيونية ومنزلهما وسيارتهما وكل شيء".

يقف الزوجان الطيبان خلفه بعيون كبيرة وشفاه فخورة.

"لكن إنقاذ روح واحدة في ملكوت السماوات... إنقاذ روح واحدة، على الرغم من أنها أخطر روح، كما هي حقًّا... إنقاذ روح واحدة يستحقُّ كل سيارة جيب، وكل بيت، وكل وظيفة. مثل المؤمنين الحقيقيين بإيمان الله الحي، يؤمنون بأسمى مراتب الحب والتسامح، باتِّباع المثال الصالح ليسوع المسيح، فهم على استعداد لتقديم محبَّتهما ومغفرتهما، حتى في مواجهة ألَدِّ أعدائهم. لذلك يجب أن تعلم أنك مدين لهم بحياتك لبقية أيامك وبقية الوقت. لأن السماء تعلم أن اللطف المقدم في وجه الشر، والمخاطرة بحياته، هو عطية

تـدوم إلى الأبـد، إلى الأبـد. هديـة لا يمكـن إرجاعهـا واللـه عـلى مـا أقـول شـهيد. دعونـا نصلّي".

يُصلُّـون لي ولروحـي الضَّائعـة. لأسـتعيدها يجـب أن أسـتلقي هنـا لمـدَّة سـبعة أيـام وسـبع ليـال، وخـلال هـذا الوقـت يجـب أن أصـوم. يُسـمح لي بكـوب واحـد مـن المـاء المقـدَّس يوميًّـا. فقـط بالتَّخلُّـص مـن احتياجـات الجسـد تخلُـص الـروح، ويؤكِّـد لي تورتشـور وهـو يخيـط الجـرح عـلى جبهتـي بإبـرة حياكـة وخيـط سـميك. يُذَكِّـرني ذلـك عندمـا قـام والـدي بتخييـط جـرح صغـير في رِجـلي في نهايـة حافلـة مدرسـيَّة قديمـة في أولى ليـالي الحـرب. نفـس التركيـز الصامـت والقـوي عـلى الوجـه العريـض الملتحـي. جودمونـدور يسـاعد سـيكريدر عـلى إبقـاء النزيـف بعيـدًا عـن الكتـان الأبيـض.

"لأنـه فتـح جروحـه وتـرك دم المسـيح مُخلِّصـه الـرَّبِّ ينسـاب مـن السـماء عـلى جسـده".

يتذمَّـر تورتشـور وهـو يربـط العقـدة عـلى جبهتـي. سـيكون الصيـام عـلى مـا يُـرام إذا لم أشـمَّ رائحـة طبخهـم في الطابـق السـفلي، إنهـا قصَّـة العطـر والانتصـاب مـرَّةً أخـرى. أرشـف القليـل مـن كـوب المـاء الخـاص بي، في محاولـة لجعلـه يـدوم طـوال اليـوم. تورتشـور طاغيـة. لم يتبـقَّ شيء في معـدتي عـلى الإطـلاق باسـتثناء الأسـنان المكسـورة التـي تقضـم ذنبـي.

بفضـل ذلـك، فـإن عـلاج تورتشـور يسـير بشـكل جيـد. لقـد كان لـديَّ الوقـت لإلقـاء نظـرة خاطفـة عـلى كل ثَقـبٍ فتحتُـه في حيـاة النـاس. في عقـلي تتبَّعـتُ كلَّ رصاصـاتي في حناجـر النـاس، في رؤوس النـاس وفي المسـتقيم. وأشـعر بالأسـف، فقـد أطلقتهـا جميعًـا في الاتجـاه المعاكـس؛ مـمَّا جعلهـا تعـود إلى مصدرهـا، لتفتـح مائـة ثَقـبٍ في رأسي، فيتحـوَّل إلى دُشٍّ تنسـاب منـه كل ذنـوبي المميتـة، وتُصـدِر هَسهسـةً، مختلطـة بالـدم والبـول والقـيء والـبراز.

أسبوع التطهير.

في اليوم السابع، ظهرت جان في منزل والديها. لا يمكنك أن تغفل بعض الجدل الضخم بينها وبين والديها، يتبعه عواء لاذع يبدو بطريقةٍ ما أنه جزءٌ من مكالمة هاتفية. لا بُدَّ وأن هناك أزمة في العلاقات الثنائية. لن تأتي إلى هنا أبدًا بدون سبب، أو ربما أنا السبب.

بعد محادثةٍ طويلة بين الأم وابنتها في الطابق السفلي، سمعتهما يصعدان السُّلَّم.

تفتح سيكريدر الباب إلى غرفتي ببطء شديد، وتسمح للجَمال ذي العيون الحمراء بالداخل. من عادتي أن أشفط معدتي، على الرغم من أنه ليست هناك حاجة ماسَّة لذلك؛ إذ لم تُملأ منذ أسبوع على ما أعتقد، بالإضافة إلى أن ملاءة سرير سميكة جدًّا.

تنزلق جانهولدر إلى سريري، وتبدو متفاجئة بعض الشيء من تنكُّري كمومياء. يملأ وجهها عيني، عيني الجائعة حتى الموت، التي لم ترَ أيَّ شيء لذيذ منذ أسبوع الآن. أنا حقًّا أرغب في التهامها، ظلَّت والدتها عند الباب بوجهٍ صارمٍ تخبرني أنها ليست لطيفة معي: هذه ليست ساعة زيارة. يبدو أنها تستخدمني لإصلاح الرابطة المكسورة بينها وبين جان، فالسَّماح للفتاة أن تكشف عن سِرِّها الكبير قد يساعدها في استعادة احترامها المفقود لوالديها. حقيقة أنها تُمَرِّض سرًّا قاتِلَ شُرطيٍّ مكسور الأنف مطلوبًا في بلدان مختلفة حول العالم يمكن أن تجعلها أكثر إثارة، وهذا جيِّدٌ بالنسبة لي. يمكنني أن أكون مُخلِّصَهم. رائع. يبدو أن العلاج يجري بشكل جيد جدًّا.

يرنُّ هاتف المنزل في الطابق السفلي، فتختفي سيكريدر لفترة، لقد تُرِكنا وحدنا، أنا وجان التي تبكي.

همسَت بصوتٍ واهن: "مرحبا". إنها النغمة التي يستخدمها الناس عند دخولهم منازلهم المهجورة بعد الإعصار.

"مرحبًا".

"كنتُ أتَّصل بك".

"أنا أعرف".

استعدتُ قدرتي على التحدُّث إلى حدٍّ ما.

"كيف حالك؟" تسأل.

"أشعر بالجوع".

تضحك.

"لماذا تركتَ منزلنا؟ ماذا حدث؟".

"لقد... تلقَّيتُ بعض الأخبار السيئة".

"ما الأخبار؟".

"لقد قتلوا حبيبتي".

"حبيبتك؟ مَن؟".

"المافيا. إمَّا نحن أو الطَّليان".

"لا، أعني... لديك حبيبة؟".

"كان لديَّ. لقد قتلوها".

"حسنًا. نعم... بالتوفيق".

"بالتوفيق؟".

"نعم، كان لديك حبيبة، لم أكن أعرف ذلك".

"ولا أنا".

"ماذا تقصد؟".

"كنَّا فقط، كما تعلمين، نتواعَد".

"لمدة؟".

"سنة ونصف".

"هذه مدة تؤهِّل لزواجٍ في هذا البلد. حتى متى تُعتَبر المواعدة طويلة في أمريكا؟".

"إلى الأبد، على ما أعتقد، لكنها تصبح أكثر جدِّيَّةً بعض الشيء في سِنِّ الخامسة والثلاثين، عندما تحصلين على حقوق الميراث".

تضحك قليلًا.

"ماذا كان اسمها؟".

"حبيبتي؟ مونيتا".

"مونيتا؟ كيف كانت تبدو؟".

"كانت... ممتلئة".

هذه هي السِّنُّ في بطني تتحدث.

"ممتلئة؟".

"نعم. كانت... كانت مثل... طبقٍ رئيسي".

تنظر شقراء الزبدة إليَّ كما لو أن مشاكلي ليست جسديَّةً فقط. أقول لأسناني أن تصمت.

تقول: "حسنًا"، وهي تُرطِّب شفتيها الشربات بلسانها المصنوع من الفراولة.

"لكنَّ شخصًا ما أكَلَها، أكلوا جسدها، لكنهم تركوا رأسها في الثلاجة، تركوه لي".

صمت قصير هنا، ثم تسأل مثل الطبيب الذي يختبر سلامَةَ عَقلِ مريضه:

"وأنتَ أحببتَها؟".

"لا، ليس حينها. لكني أحبها الآن، على ما أعتقد".

الموت دواء الحب. لم أكن أعرف أنني أحببتُ والدي إلَّا بعد وفاته.

صمتت جان لبعض الوقت حتى مالت ووضَعَت شفتيها نصف المطهوَّة على شفتي؛ ممَّا يخلق واحدة من أغرب المشاعر في حياتي. في وقت قياسي، أحتاج إلى ترتيب بعض مفاوضات المائدة المستديرة بين القضيب والمعدة. الأوغاد الجياع، يدَّعي كلاهما الحَقَّ في القبلة.

قبل أن ينتهي الأمر المذهل، تمكَّنتُ من إجبارهما على الاتفاق، واقفًا بينهما مثل بيل كلينتون في حديقة مُشمِسة في البيت الأبيض، يترأس المصافحة الشهيرة لرابين وعرفات. تُرى أيُّهم يلعب دور القضيب؟

تعيد وضع الضمادة على أنفي.

"لدى والديَّ خُطَّة كبيرة من أجلك، إنهما متحمِّسان للغاية. يبدو الأمر كما لو أنك تُمثِّل تحديًا في حياتهم".

"موافق. من الأفضل ألَّا أخذلهم".

"لا. على الأقل لا تقتلهم".

تعجبني هذه الفتاة.

"ماذا عنك أنت وتراستر؟".

"تَشاجَرنا. لقد كان أسبوعًا جنونيًّا".

"حسنًا".

"سأنام هنا الليلة، في غرفتي القديمة، لأول مرة منذ سِتِّ سنوات أو شيء من هذا القبيل. بوريور قادم غدًا".

"أوه؟ وقت التعذيب[1]؟".

تضحك.

"نعم، سيأخذك إلى كنيسته".

"أوه؟".

"نعـم، يقـول والـدي: عليـك أن تمـرَّ عـبر بوَّابـات الجحيـم أو شيء مـن هـذا القبيـل".

يا للخراء المقدَّس.

(1) يستخدم الكاتب هنا اسم Torture، والذي يعني أيضًا "تعذيب".

21
أبواب جَهنّم

2006/05/31

إنه علاج تورتشور: الخطوة الثانية.

أقف على الأرض المغطّاة بالسجاد في كنيسة الرجل الملتحي، مع ضمادة كبيرة على جبهتي وسِنٍّ مفقودة. لكن التَّورُّم زال، وكاحلي أصبح يحتمل، وكتفي الأيمن يصرخ قليلًا وحسب. لا بُدَّ أنني خسرتُ عشرين رَطلًا. إن الصوم بالنسبة للمعدة الخجولة علاج نفسي.

جعلوني أرقد في صندوق السيارة أثناء قيادتهم إلى هناك. هؤلاء الرجال لهم احترامي الكامل. أنا لا أفهم حقًّا، لماذا يبذلون كل هذا الجهد من أجل قاتل صديقهم. لماذا لا يرسلونني مباشرة إلى الجحيم؟ أو ربما هذا هو؟

"أبواب جهنم".

الكنيسة فارغة. ذهب السيد ت إلى مكتبه، وعاد في رداء أبيض مضحك، بالإضافة إلى أنه حافي القدمين. يرتدي حول خصره حزامًا أسود، وإذ يقترب أستطيع أن أرى أن هذا في الواقع زي كاراتيه- كاريوكي. شيء ياباني على الأقل. إنه يعطي الإيحاء بأنه جانج هو[1] النسخة المِثليّة، مقاتل حافي القدمين يرتدي رداء نسائيًا.

يخبرني تورتشور أن أتبعه في الرَّدهة. يوجد على يمين المدخل باب أحمر غامق، ندخل غرفة مُربَّعة تبلغ مساحتها حوالي خمس عشرة قدمًا مُربَّعًا. على الأقل السقف مرتفع والجدران بيضاء مع نوافذ صغيرة في الأعلى. يوجد عمود مُربّع أبيض صلب في منتصف الغرفة، الأرضية مُغطّاة بمراتب بأغطية بلاستيكية حمراء داكنة، تفوح من الهواء رائحة العَرَق القديم.

"اخلع حذاءك وقميصك وسروالك" قال بينما كان يغلق الباب ويضيء الأنوار.

أنا هنا من أجل اغتصاب رجوليٍّ، على الطريقة اليابانية.

"كما سَمِعتَ، العالَمُ منقسم إلى قسمين: الجنة والنار. يفصل بينهما سور النار العظيم، إنه يمتدُّ بطول الطريق من عدن حتى يومنا هذا، من أعماق أحلك مناجم الفحم إلى أطراف أصابع الكون. لا يمكن لأي طائر أن يطير فوقه. لا يمكن للأسماك السباحة تحته، لا يمكن لأحد أن يمرَّ من خلاله!" فجأة صرخ قبل أن يهمس: "لكن هناك بوّابة!".

يمشي في دائرة كبيرة حول العمود، يتنفَّس بصعوبة، ويبدو الأمر إلى حدٍّ كبير وكأنه مجنون في فيلم. أخلع معظم ملابسي وأضعها في زاوية. حتى إنني أستطيع أن أشمَّ رائحة الملابس الداخلية التي

(1) G.I. Joe: شخصية خيالية من سلسلة الرسوم المتحركة جي. آي. جو: لعبة بطل أمريكي حقيقي.

كنت أرتديها منذ أيام، ألبسة ماركة جو بيضاء وسوداء من مجموعة السيد ماك الرائعة. يواصل تورتشور حديثه:

"الآن، أنت تعرف البوَّابة الذهبية، أليس كذلك؟ يعتقد الناس أنه يمكنهم دخول البوابة الذهبية. حتى أعتى الخُطاة يظنُّ أن بوسعه دخول البَوَّابة الذهبية، الأمر ليس كذلك" كما يقول، وهو يلوِّح بسبابته في الهواء. إنه يمشي بسرعة كبيرة الآن، يدور حول الغرفة وحولي "ليس كذلك. يعتقد الناس أنهم يذهبون إلى الجنة أو الجحيم عندما يموتون.. ليس صحيحًا، هم هناك بالفعل! أنت هناك بالفعل. إمَّا أن تكون في الجنة أو في الجحيم، لا يوجد موقِعٌ وَسَطٌ، لا مواربة في الأمر، لا حلول وسط! وأنت يا صديقي أنت في الجحيم! والآن بعد أن أردتَ الذهاب إلى الجنة، عليكَ أوَّلًا مغادرة الجحيم لتتمكَّن من دخول البَوَّابة الذهبية، عليك أوَّلًا الخروج من أبواب الجحيم!".

فجأة أصبح أبويًا:

"أخبِرْني، توميسلاف... يا صديقي العزيز توميسلاف... أخبِرني لماذا كل المداخل الفاخرة، مثل تلك التي تراها في البنوك والكنائس، مثل تلك الموجودة هنا على سبيل المثال... لماذا لديهم جميعًا بابان؟ لماذا تمَّ بناؤها جميعًا بأبواب مزدوجة؟".

"لا أعرف. حتى لا يسهل... الهروب؟".

"حتى لا يختلط الهواء في الخارج مع الهواء في الداخل. الأول يُغلَق قبل أن يفتح الثاني. إنه نظام مثالي. وينطبق نفس المبدأ على البوَّابَتَيْن: الذهبية والمشتعلة. لن ترغب في دخول هواء الجحيم الذي يحرق الأنف إلى داخل جنَّتنا المكيَّفة؛ لذا عليك الآن أن تمرَّ عبر أبواب الجحيم!" يصرخ مثل جنرال صربي منتشيًا بالبارود قبل أن يقفز نحوي فجأة على طريقة جاكي شان، ويصيح ببعض هراء الكاراتيه، ويركلني

بقـوة في وجهـي بقدمـه اليمنـى. تنفجـر شـفتاي وكأنـه اصطـدام ببالـون مـليء بالدمـاء.

ما هذا بحقِّ اللعنة!

ثــم جــاء إليَّ مــن الخلــف، وضربنــي في مؤخــرة رأسي بيــده القويــة. أسـقط عـلى الأرض، أرى بقـع الـدم عـلى المراتـب. أنـا نصـف خـارج هـذا العـالم وداخـل تلـك البوابـات اللعينـة، عندمـا أمسـكني مُفجِّـر الكتـاب المُقـدَّس مـن أذنـاي وبـدأ يسـكب حمضـه المبـارك فيهـما:

"أنـتَ أيُّهـا الوغـد البلقـاني يـا ابـن العاهـرة! أنـتَ لا تسـتحقُّ شـيئًا بحـق اللعنـة! أنـت قاتِـلٌ قَـذِرٌ وطـينٌ موحِـلٌ! أنـت حُثالـة الأرض القـذرة! أنـت شـيطانُ كلِّ الشـياطين! أنـت وغـدُ الكـون!".

يرفعنـي مـن أذني، ثـم يضربنـي برأسـه مـرَّة أخـرى بجبهتـه التوراتيـة؛ لذلـك أنـا عـلى وشـك أن يُقـضى عـليَّ، أزحـف في دمـي، فيركلنـي في فخـذي. ركلنـي مـرَّةً أخـرى ثـم ألقـى بجسـده الثقيـل فوقـي، مثـل مصـارع يرتـدي لباسًـا بحـمَّالات رفيعـة في ماديسـون سـكوير جـاردن. يضـع ذراعـه اليمنـى حـول حلقـي ويلـوي رأسي بيـده اليـسرى. اللعنـة. أنـا أتعـرَّض للـضرب مـن قِبَـل كاهـن.

لا يمكنني السماح بحدوث ذلك.

يرتفـع الجنـدي العجـوز الطيـب مـن جيـش هرفاتسـكا[1] في أعماقـي، مثـل تيتـو مـن قـبره، ويمـضي مبـاشرة إلى العمـل. في لحظـة ذهـب ضَعفـي العقـليُّ والجسـدي. في ومضـةٍ اسـتولت عـلى جسـدي الـذي يتضـوَّر جوعًـا قُـوَّةُ خنزيـرٍ بَـرِّيٍّ جائـع. أعـضُّ يـده حتـى العَظْـم، وأطـرح اللعـين عـن ظهـري بحركـة دائريـة سريعـة مـن عمـودي الفقـري. هبـط عـلى الأرض متألـمًا بشـدَّة، وهبطـتُ فوقـه.

(1) كرواتيا.

أضـع يـديَّ حـول رقبتـه وأتـرك القبضـة تشـدُّ مثـل حبـل المشـنقة. أنـا عـلى وشـك إسـكاته نهائيًّـا عندمـا ظهـر الرفيـق تيتـو أمامـي فجـأة. إنـه يرتـدي زي الجـنرال القديـم المُحبَّـب، ويمسـك بـرأس مونيتـا. أغمـض عينـيَّ وأهـزُّ رأسي. أعَـدتُ فتحهـما فلـم يبرَحَـا مكانيهـما: رئيـس وقائـد. القائـد والرئيـس. أحكِـم قبضتـي عـلى رقبـة تورتشـور، وتُصبِـح الصـورة أكـثر وضوحًـا. أرخـي قليـلًا فتختفـي الصُّـورة.

أحكِـم قبضتـي مـرَّةً أخـرى فتظهـر الصـورة مُجـدَّدًا. إنهـا مثـل تلـك الألعـاب البلاسـتيكية التـي تُصـدِر صريـرًا عنـد الضغـط عليهـا. مـاذا يُفـترض أن يعنـي؟ رأس حيـاتي مـع رأس حبِّـي.

يشـعر تورتشـور بارتبـاكي ويعـود إلى الحيـاة، ويبـدأ في سـحب يـدي بعيـدًا عـن رقبتـه. عندمـا تَمكَّـن مـن فـك يـدي اليـسرى، تشـتبك بنظارتـه فتطـير مـن وجهـه. نسـيتُ عـلى الفـور تيتـو وعُـدتُ للعمـل عـلى ضحيتـي المقدَّسـة، أسـتعيد قبضتـي عـلى حلقـه، حتـى تمكَّنـتُ بقـوة غاشـمة مـن تحويـل رأسـه مـن الأحمـر إلى الأرجـواني، ومـن البنفسـجي إلى الشـاحب، ومـن الشـاحب إلى الأبيـض. أنـا لا أنظـر لأعـلى، ولا أجـرؤ عـلى النظـر، لكـنَّ شـخصًا مـا يواصـل التَّنصُّـت عـليَّ: فجـأة يصبـح وجـه تورتشـور وجـهَ أبي. يشـبهه تمامًـا بـدون النظـارات. فجـأة أمسـك بـأبي مـن رقبتـه.

اللعنة.

أتركـه عـلى الفـور، وأقفـز عـلى قدمـي، وأهـرع إلى الزاويـة، ابتعـدتُ عــن الرَّجُـل لألتقـط أنفـاسي، والـدم ينـزف مــن مخاطـي أثنـاء تنفُّـسي بصـوتٍ عـالٍ.

ما هذا بحق اللعنة.

سـبعة أيـام مـن إنقـاذ الأرواح لم تُثمـر عـن شيء. انتهـى أسـبوع الصيـام بقتـل خنزيـرٍ بَـرِّيٍّ، مـات المولـود مـن جديـدٍ مـرَّةً أخـرى. كـوني قاتِـلَ

كاهِنَيْن لا يبدو مُشجِّعًا في طلبي للحصول على الجنة، ولكن كوني قاتِلَ ثلاثة سيقضي على فرصي بالتأكيد.

أمضيتُ بضع لحظات أخرى في الجحيم قبل أن أشعر ببعض الحركة على المراتب البلاستيكية المغطَّاة خلفي. يرتفع الحيوان المقدَّس ببطء.

"توميسلاف بوكشيتش" الصوت متقطِّع ولكنه دراميٌّ للغاية.

"توميسلاف بوكشيتش... جندي البلقان" يبدو أنه استحفظ دروسه جيدًا. "لا يمكنني التَّغلُّب عليكَ في لعبتك الخاصة؛ لذلك من الأفضل أن نجرِّبها".

يمسك بكتفي ويديرني. عادت النظارات إلى وجهه وظهرت في خدَّيه بعض الألوان، لكنَّ ثوبه المُلطَّخ بالدماء في حالة اضطراب كبير. يتنفَّس قليلًا فأرحِّب بهذه الحقيقة.

قال لي وصفعني على وجهي: "أنت ابن عاهرة كرواتي... أيُّها الابن الصغير لعاهرة كرواتية مجنونة!" يمسك كتفي. "مَن تظنُّ حالك؟ هاه؟ هل تعتقد أنك شيء أكثر من مجرَّد قملة صغيرة رديئة تزحف على أرضية المطبخ في ملكوت الله، مع لهبٍ جهنمي صغير على ظهره؟ يا لكَ من أحمق!".

يدفعني ولا أتفاعل. لقد دفعني إلى الوراء في جميع أنحاء الغرفة، ويداه على كتفي، وقدماه تترنَّحان من الإرهاق. إنه يستخدمني كعكَّازات يُعلِّق عليها بنطاله الداخلي. يتكلَّم مثل سِكِّير: "أيها الأحمق اللعين، أنت ابن مجنون أحمق صربي كرواتي".

"كرواتي".

"اصمِتْ بحق اللعنة!".

يتوقَّف. نقف مكتوفي الأيدي في مواجهة بعضنا البعض، ثم يسأل بطريقة أكثر هدوءًا: "كم عدد الأشخاص الذين قتلتَهم؟".

"إيه.. كم؟ مائة وعشرون أو شيء كهذا".

"مائة وعشرون أو شيء كهذا؟".

"نعم. لستُ متأكِّدًا تمامًا".

"ماذا تقصد؟ ألا تحسبهم؟ أنت لا تحسبهم مثل ما لديك من نساء؟ كم عدد نسائك؟".

"لا أعرف، هل أحسب المومسات؟".

"أحسب المومسات؟ ليس لديَّ اليوم بطوله".

"إذن، لستُ متأكدًا، ستون... سبعون ربَّما...".

"ستون... سبعون؟ لقد قتلتَ من الناس أكثر مِمَّن كُنتَ تنام معهنَّ؟ أنت أسوأ ممَّا كنتُ أعتقد".

"لكنني لم أقتل عاهِرةً قَطُّ".

"ماذا؟".

"أعني... امرأة. لم أقتل امرأةً قَطُّ".

"لم تقتل امرأة قطُّ؟".

"لا... حسنًا، نعم، كان بعض الأشخاص في الحرب من النساء، لكن لم تكن هذه مشكلة".

"ليست مشكلة؟".

"لقد أُمِرنا بإطلاق النار. كان مثل إطلاق النار على الغزلان، أطلِق النار أو يُطلَقُ عليك، كان هذا خيارنا الوحيد".

وقفة. يلقي نظرة طويلة عليَّ ثم يقول بصوت عالٍ: "هل تعرف ماذا فعلتَ؟".

"نعم أعرف".

"هل تندم علي هذا؟".

"نعم".

"لقد قَتلتَ الناس".

"نعم"ز

"لقد حَملتَ بين يديك قوّةَ الله".

"أنت تعني...؟".

"وهذه خطيئة. خطيئة كلِّ الذنوب".

"تقصد... الله... يقتل الناس أو...؟".

"إنه يخلق ويقتل، ويملك ويحكم! يجب أن تطيع ولا تخون! بماذا شعرتَ؟".

"شعرتُ بماذا؟".

"ما شعورك عندما تقتل شخصًا ما؟".

"إنه... يبدو وكأنه...".

"نعم؟".

"إنه شعورٌ... كرازة".

"ماذا؟".

"بلى. يجعلك تشعر بالقوة، أنت المقتَدِر".

"هراء. تعتقد أنك تمسك بزمام الأمور، بينما يتمُّ التَّحكُّم بكَ من قبل... مَن كان الأول؟".

"ماذا؟".

"مَن كان أوَّلَ ضحاياك؟".

"عمليتي الأولى؟".

"نعم. ما هي أول عملية لك؟"

ينطلق ذهني إلى أسفل قائمتي بسرعة صاروخٍ حامِلٍ للطائرات يغادر الخليج الفارسي، عبر الأرضيات الخرسانية والبوّابات الحديدية الصّدِئة، وصولًا إلى الطابق السُّفلي حيث تنبعث رائحة الظلام والرائحة القاتمة، فُتِحَ نَعشٌ قديم مُتعفِّن يرقد في رُكنٍ رَطبٍ ومغبر.

أقول: "والدي".

"أبوك؟".

"نعم".

"قتلتَ والِدَك؟".

"نعم".

قتلتُ والدي. ربما كان يجب أن أذكر هذا من قبل.

"قتلتَ والدك؟".

"نعم".

"قتلتَ والدك؟".

"نعم. لكن لا أحد يعرف".

"لا أحد يعرف؟".

"لا. لم أخبر أحدًا، لم يَرَه أحدٌ".

"لم يَرَه أحد؟ الله يرى كل شيء! القتل هو القتل، بغَضِّ النظر مَن كان. والأب، الأب هو الأب دائمًا. كيف يُمكِنُكَ أن تفعل ذلك؟ كيف بحق الجحيم اللعين استطعتَ أن تقتل والِدَكَ؟".

"أنا... كان...".

"نعم؟ كان ماذا؟ دَمُك الساخن مُبرَّدٌ بالثلج من ثلَّاجة الشيطان؟".

"لقد كان حادثًا".

لم أتحدَّث عن هذا من قبل، ومجرد التفكير في الأمر -خاصَّةً في وجود هذا الرجل- كان يكفي لأن أجثو على ركبتي. أركع أمامه مثل فارسٍ شبه عارٍ أمام مَلِكَتِه ذات الرداء الأبيض التي تدعه يتحسَّس سيفها.

"حادث؟ لكنَّكَ قَتلتَه؟".

"نعم ولكن...".

"ولكن ماذا؟".

"لقد كان خطأه".

"خطأه؟".

"نعم لأن...".

أنا في نهاية بطاريتي، مثل جرعة من السُّمِّ تَمَّ توقيتها على العمل بعد خمسة عشر عامًا من استهلاكها، استولى سِرِّي الكبير فجأة على جسدي وأسقطني.

أستلقي عند أقدام تورتشور.

"ماذا؟ بسبب ماذا؟".

"لأن...".

لقد أُصِبتُ بنوبة سعال، ممزوجة بصراخ لم أكن أعرف أنني أحمله بداخلي، لا بُدَّ وأنني أبدو مثل قَقمَةٍ رَضيعٍ تُضرب بمضرب بيسبول. يستمع إليَّ برهة ثم ينهي المشهد:

"لقد قتلتَ والِدك. حفظ الله روحك".

أستطيع أن أشعر أنه يضع قدمه العارية على ظهري المرتعش، مثل چنرال منتصر على عدوِّه الذي سقط. يبدو بطريقة ما أن هذه اللفتة تهدِّئ صراخي قليلًا. لكن بدلًا من ذلك، لديَّ شعور قوي للغاية بالجوع، جوع بحاجة إلى بوفيه مفتوح. أريد أن أركض في الكنيسة، حتى المذبح، وأبدأ في قضم الصليب الخشبي الكبير مثل حصانٍ يائس.

أشعر بريحٍ خفيفة ولطيفة من صُنع الإنسان في أذني اليسرى. إمَّا جاءت من خلفيَّة تورتشور، أو أنه نسيمٌ ناتِجٌ عن رسمه لإشارة الصليب على جسدي التَّعِس.

يُردِّد "حفظ الله روحك... إن استطاع".

وليعطني شيئًا لآكُلَه، إن استطاع.

22
أرض الأب

2006/05/31

وهكذا أخرُج من بوّابات الجحيم، حامِلًا جُثّة أبي العزيز النحيفة، قارعًا جرس الباب الذهبي الضخم. يسمح لي الله بالانتظار قليلًا. أعتقد أن طلبي يجب أن تتمّ الموافقة عليه من قِبَل لجنة الحالات الصعبة قبل أن يصله.

في هذه الأثناء، أخذني تورتشور إلى منزله، وهو منزل أبيض ضخم على تَلّةٍ قريبة من كنيسته، ووضَعَني في مكانٍ خالٍ من النوافذ في قبو منزله، لا يزوره إلّا هو وزوجته. يقولان لي إن لديهما ثلاثة أطفال، لا أراهم ولا أسمعهم.

يبدو أنهم يقضون أيامهم في صمتٍ في قراءة الكتاب المقدس، مثلي تمامًا. يختار الواعظ كلَّ صباحٍ ثلاثةَ فصول من المفترض أن أقرأها في

ذلـك اليـوم. "أم تسـتهين بغِنَـى لُطفِـه وإمهالـه وطـول أَنَاتِـه، غـير عالِـمٍ أن لُطـفَ اللـه إنَّمـا يقتـادُكَ إلى التَّوبـة؟".

إنه علاج تورتشور: الخطوة الثالثة.

سلاح تورتشور السِّرِّيُّ زوجته هانا. إنها كلاسيكيَّة تمامًا.

تبـدو مثلـه: امـرأة متينـة البنيـان ذات بـشرة ناعمـة، وتجاعيـد جلديـة خفيفـة، ومظهـر مُتحفِّـظ، وصـوت لطيـف. تتحـرَّك بصمـت حـول المنـزل، مرتديـة قمصانًـا عديمـة اللـون وتنانـير طويلـة، وشَـعرها أشـيب طويـل مثـل ذيـل الحصـان دون لمسـة مكيـاج واحـدة.

إذا كان هنـاك برنامـج تلفزيـوني يُسـمَّى ملكـة جمال أُمِّنـا الأرض، فحتمًا سـيزورها بطاقـم تصويـر أمريـكي كامـل بالأضـواء والعدسـات. يشـعر المـرء أن شـعرها ينمـو قَدَمًـا كل يـوم، وأنهـا تقصُّـه كل ليلـة قبـل الذهـاب إلى الفـراش، وأنهـا تحلـب ثدييهـا كل صبـاح، وتضـع مـا تحتاجـه الأسرة في الثلاجـة، ولكنهـا تتـبرَّع بالباقـي لصنـدوق الحليـب التابـع لــ ن.م.ص.ك (النسـاء المهنيـات ذوات الصناديـق الكربونيـة).

تتحـدَّث الإنجليزيـة بلهجـة أثقـل قليـلًا مـن الأيسـلنديَّة، كـما لـو كانـت تنتمـي إلى أُمَّـةِ الينابيـع السـاخنة. إنهـا تشـبه الجبـل خلـف الرجـل أكـثر مـن كونهـا "المـرأة خلـف الرجـل". إنهـا بلـد الرعايـة المسـيحية الـذي يُمثِّلـه زوجهـا، سـفير الانتقـام بطريقتـه الخرقـاء.

عيـب هانـا الكبـير هـو رائحـة فمهـا الكريهـة بشـكل لا يُصـدَّق، والتـي لا تتـماشى مـع ردود أفعالهـا الحَسَـنة بشـكل لا يُصـدَّق. ربمـا ينبـع ذلـك مـن مقـدار الإحبـاط الدينـي الـذي كان عليهـا أن تبتلعـه عـلى مَـرِّ السـنين. لا يمكـن أن يكـون الـزواج مـن تورتشـور أمـرًا سـهلًا.

ومـع ذلـك، إذا كانـت المـرأة الوحيـدة في فصيلتنـا وكُنَّـا عالِقَـيْن في الجبـال لمـدة شـهر، كنـتُ سـأبدأ بالحلـم بهـا في اليـوم السـابع.

الإفطـار هـو شريحـة مـن الخبـز المصنـوع منزليًـا، أقبِّلها قبـل الأكل، وكـوب مـن الحليـب الـذي مـا زِلـتُ آمـل أنـه منـزليٌّ أيضًـا.

الغـداء هـو نفســه تمامًـا، لكـن العشـاء دائمًـا لحـم، خـروف أو عِجْـل أو مُهْـر. أنـا واثـق أن بعـض هـذه الحيوانـات ذَبَحهـا تورتشـور في مـرآب منزلـه. لقـد عُـدتُ إلى العهـد القديـم. في رعايـة سـارة زوجـة إبراهيـم. غرفتـي بـلا نوافـذ، وسريـري خَشِـن، وكتـابي هـو الكتـاب المقـدَّس، وأيامـي بسـيطة، والليـالي تـزداد هـدوءًا.

يبدو أن العلاج يعمل.

لقـد تخلَّصـتُ مـن مئـات الزيـارات، وتبقَّـت واحـدة فقـط. كل يـوم، يـأتي مـلاكي الحـارس الـذي يرتـدي نظَّـارةً، إلى الطابـق السـفلي، ويسـتمع لمـدة نصـف سـاعة. شـهوته للعنـف منبعهـا دينـي، لكـنَّ عينيـه المجنونتـين هدأتـا قليـلًا. أو ربَّمـا اعتـدتُ عليهـما. أخـبرني عـن أسـاليبه المبتكـرة.

"لـديَّ الحـزام الأسـود في كلٍّ مـن الجـودو والكاراتيـه. هـذا هـو المـكان الـذي أتيـتُ منـه. لم أقابـل اللـه حتـى التقيـت بزوجتـي عندمـا كنـتُ في الخامسـة والثلاثـين. دائمًـا أعتـبر أننـي تزوَّجـتُ مـن الإلـه يقـول الرَّجُـل الملتحـي بضحكـة لطيفـة. أعتقـد أننـي بـدأت أفهـم حديثـه عـن ختـان القلـب. ربمـا يكـون الأمـر حاسـمًا عندمـا تكـون مُتزوِّجًـا مـن الإلـه يضحـك أكـثر قليـلًا ويضيـف: "كنـت محظوظًـا".

بطريقـة مـا تبـدو ضحكتـه مصطَنَعـة قليـلًا. كـما لـو أنـه تعلَّمهـا في مدرسـة الوعـظ؛ لإخفـاء الإثـارة عـلى خطاباتـه بضحـكات مكتومـة قصـيرة مـن حـين لآخـر. "لا، أنـا فقـط أضـع معرفتـي وخـبرتي في خدمـة الـرب. لدينـا قـول مأثـور في الأيسـلندية مفـاده أنـه عليـك محاربـة الـشَّرِّ بالـشَّرِّ".

وإذ أمُـرُّ عـلى كارثـة حيـاتي بهـدوء وحـذر، أحـاول دفنهـا ببـطء. أحـاول دفـن والـدي بشـكلٍ لائـق. يبـدو الأمـر كـما أخـبرني ذاك الفنَّـانُ ذات

مـرة في مطعـمٍ قَـذِرٍ صغـير في الجانـب الشرقـي: لقـد ظـلَّ يرسـم صـورة الشـخص الـذي لم يرغـب في رؤيتـه مجـدَّدًا.

"الأمـر كإخـراج القمامـة يـا رجـل" قـال إنـه كان يمـرُّ بطـلاق صعـب، ولم يرسـم سـوى زوجتـه السـابقة. لوحـات عاريـة كبـيرة وفظيعـة. لمـدة خمسـة عـشر عامًـا حمَلـتُ هـذا الـشيء بداخـلي.

منـذ خمسـة عـشر عامًـا، كان والـدي المتـوفَّى هـو الطفـل الـذي لم يولـد بعـدُ، كنـت أحملـه في رحمـي. أعتقـد أن هـذا هـو السـبب في أننـي كنـتُ دائمًـا بدينًـا. لكـن بـولادتي الأخـيرة يمكننـي التوقُّـف عـن العيـش مثـل النعامـة المحشـوَّة بالعـار. كانـت الـولادة مؤلمـة للغايـة، لكـن قابِلَتـي كانـت رائعـة: كاهـن أيسـلندي يرتـدي زي الكاراتيـه.

يشبه المولود الجديد هذا:

كان ذلـك في نهايـة الأسـبوع الأول لي بالـزي الرسـمي. لقـد تطوَّعنـا للهجـوم الكبـير في الـشرق، أنـا وأبي وداريـو، بعـد فـترة وجيـزة مـن سـقوط ڤوكوڤـار. كانـت مَهمَّتنـا هـي عبـور نهـر الڤـوكا، لكنهـم لم يرغبـوا في خروج أسرَةٍ كامِلَـةٍ في الخطـوط الأماميـة؛ فأخـبروني أن أبقـى. "وافِنـا بالأخبـار وأطلِـق النَّـارَ عـلى كل وغـدٍ تـراه".

أمضيـتُ الليلـة البـاردة مـع بندقيتـي التـي لم أسـتخدمها، وأسـنان تـصرُّ، أعتنـي بثـلاث خِيـامٍ وسـيارة جيـب. كنـت أسـمع مـن بعيـد أصـوات البنـادق تتجـادل مثـل الحـشرات الغاضبـة. شـعلة غـير مقصـودة مـن شـأنها أن تـضيء الغابـة المقفـرة. كان أبي وأخـي في الخـارج يؤدِّيـان واجباتهـما الوطنيـة في طـين الغابـة البـاردة. حاولـت جاهـدًا أن أميِّـز بـين ضوضـاء بنادقنـا وبنـادق الـصرب، عـلى أمـل أن تُسـكِت الأولى الأخـيرة. لكـن بالطبـع كنَّـا جميعًـا نسـتخدم نفـس الأسـلحة اللعينـة. في مـكانٍ مـا ليـس بعيـدًا، كان ثمَّـة أحمـق سـمين ينـام عـلى مرتبـةٍ مُريحـةٍ مصنوعـة مـن أربـاح الحـرب.

أخـيرًا بـدأ الثلـج يتسـاقط. رقائـق سـميكة وثقيلـة، كـما لـو كانـت مليئـةً بالـتراب بالفعـل. أمسـكتُ إحداهـا بطـرف لسـاني وكان مذاقهـا طينًـا.

مـع اقـتراب الفجـر، سـمعتُ صوتًـا أعقبـه حفيـفٌ بـين الشـجيرات. لقـد تفاعَلـتُ عـلى الفـور، وأطلَقـتُ أوَّل تسـديدة "رجوليَّـة". فوجئـت بـردِّ فِعـلي السَّريـع والحـازم، لكنـه قوبِـلَ بالصَّمـت، بـدا أن تسـديدتي أصابـت. ومـع ذلـك، أمسَـكتُ عـلى الزنـاد لمـدة نصـف سـاعة؛ لدواعـي السـلامة، أشـاهد رقاقـات الثلـج تتسـاقط عـلى البندقيـة وعـلى يـدي، فتشـكَّل ثلجًـا صغـيرًا عـلى البرميـل، لكنهـا تـذوب عـلى بـشرتي. ثـم ظنَنـتُ أننـي سـمعتُ هـذا الصـوت مـرة أخـرى، بعـض الهمهمـة المنخفضـة في الأدغـال. أطلقـتُ رصاصـةً أخـرى. لم يـردُّوا، لكـن الهمهمـة الخافتـة لم تتوقَّـف. بقيـتُ سـاكنًا لمـدة نصـف سـاعة أخـرى، أطلقـتُ النَّـارَ مَرَّتـين أخريـين، لكـن الصـوت ظـل يتسـلَّل؛ لذلـك زحفـتُ مثـل ثعبـانٍ مُتخـفٍّ إلى الأدغـال.

أخـيرًا، اسـتطعت أن أجـد جُثَّـةً مدفونـة في الأغصـان العاريـة، يُكلِّـم نفسـه. يبـدو أنـه كان يرتـدي زيَّنـا الرسـمي. صرخـتُ مُحـذِّرًا قبـل أن أهـرع عـبر الشـجيرات، البندقيـة أولًا.

وجـدت والـدي مسـتلقيًا هنـاك بقلـبٍ دامٍ. كان الجـزء السـفلي مـن جسـده مُغطًّـى بالثلـج، وكأنَّ سـاقيه ميِّتتـان بالفعـل. وجهـه شـاحب وعينـاه بحجـم البيـض الـذي انكـسر فـور رؤيتـي. تمكَّـن مـن الهمـس بالنصـف الأول مـن اسـمي، ثـم رحـل.

أطلَقـتُ النـار عـلى والـدي وتركتـه يرقـد مثـل غـزالٍ جريـح في الأدغـال لمـدة سـاعة، وهـو يثرثـر بحياتـه بعيـدًا. عندمـا اسـتمعت إليـه أخـيرًا، لم يتبـقَّ منـه سـوى نصـف كلمـة "تُـود..." الـشيء الـذي أصبحـتُ عليـه.

لقد كانت بمثابة لعنة.

فجَّرتُ عن طريق الخطأ النِّصفَ الثاني من اسمي. والنصف الأفضل من حياتي.

وقفتُ هناك لبضع دقائق، أحدِّق في وجهٍ يُشبِه وجهي للغاية. استمرَّ تَساقُط الثلوج، وشاهَدتُ الرقائق تكفُّ ببطءٍ عن التَّحوُّل إلى ماء على جبين أبي ووجنتيه، وبدأت تُكوِّن أكوامًا صغيرة حول عينيه الصارختين. لقد فوجئت بمدى سرعة تحوُّل دفئه الأبوي البارد. لم أتمكَّن من لمسه، لقد ابتعدتُ على الفور عن جسده، تاركًا عينيه الكبيرتين مفتوحتين لأي تأويل.

لم أبكِ.

عندما أعلموني بخبر والدي، أخبروني أن أخي داريو مات أيضًا موتًا بطوليًا. كالعادة، كان في موضع الهجوم عندما لقي مصيره، ركض مثل عدَّاء چامايكي نحو الرُّمح الصِّربي الذي انطلق صوب قلبه. كان هذا من صميم داريو.

قالوا إن والدي شهد وفاته وأنه أصيب بالجنون على الفور. ألقى بنفسه على جُثَّته ثم فجأة بدأ يصرخ باسمي "تومو! تومو!" قبل أن يعود إلى مركزنا بدون بندقيَّته.

"أوه؟" قُلتُ لزملائي الجنود، وأومأتُ برأسي عدَّة مرَّات، وكأنهم يخبرونني بنتائج بعض مباريات كرة القدم. "لكن ماذا عن المعركة؟".

"أخذنا ضفَّة النهر. نحن نمتلك ضفَّة النهر الآن".

لقد رأيتُ ذلك النهر اللعين. إنه مريع.



23
صُنِعَ في أيسلندا

2006/06/6

أيـدي هانـا الكبـيرة بيضـاء بشـكل لا يُصـدّق. أكـثر شـحوبًا مـن ذراعيها. يبـدو الأمـر كـما لـو كانـت ترتـدي قفّـازات بيضـاء. تتحـرك أصابعهـا الطويلـة والقويـة بهـدوء وبسرعـة شـديدة للغايـة ولكـن صامتـة. بالـكاد تُسـمع أي ضوضـاء بينـما تحمـل صحنـي وكـوبي الفـارغ.

أمـي عكسـها تمامًـا. عندمـا كانـت تغسـل الأطبـاق، شـعرتُ دائمًـا أن هنـاك فرقـة بانـك تتـدرَّب في المطبـخ. ربمـا لم يمنحهـا بابـا الجِنـسَ الـكافي. إذا كان هـذا هـو السـبب؛ فـلا بُـدَّ وأن تورتشـور مُتحفِّـظٌ في السريـر.

"هـل تشـعر بتحسُّـن؟" تسـألني بصوتهـا الأُسَريِّ الـذي بـدا كالنبيـذ الأحمـر في أذني، لكنـه فاسِـدٌ في أنفـي.

"نعم".

"هذا جيد".

لسببٍ غامض، تثق بي بنسبة مائة بالمائة، تقول أغلب الوقت "سأكون جور"[1] يعني "الخير" و"الشِّفاء".

قرأتُ مرّةً أخرى قصة شاول، الرجل المقدَّس العصامي من طرسوس في تركيا. إنها نفس القصة التي قالها جودموندور لجمهوره بشكلٍ عفويٍّ أوّلَ ليلة لي في أيسلندا، والآن أصبَحَت أساسَ شفائي كما يقول تورتشور. فهمتُ مقصده. هذا الرجل مثلي؛ فقد غيَّر اسمه أيضًا، ولديه مثلي ماضٍ دموي. ولكنه أصبح القديس بولس "أبو الكنيسة". أنا متأكِّد من أنني سأصبح القِدِّيس توم، أبو شيء ما. آمل ألّا تكون كنيسة، رغم ذلك.

في منتصف أسبوعي الثاني في قبو تورتشر، أحضَرَت لي هانا خطابًا بعد العشاء. وضَعَته برفق على صدري، بابتسامةٍ تَجعَّد لها جِلدُها حول عينيها، وقالت:"اقرأها" قبل أن تجمع أواني الطعام الفارغة بصمتٍ من مائدة سريري وتعود إلى الطابق العلوي، ويتأرجح ذيل حصانها الضخم خلف ظهرها، فوق مؤخّرتها الدائرية الصُّلبة.

أفتح الرسالة، إنها مكتوبة بخطّ اليد. لا بريد إلكتروني في بيت إبراهيم. خطُّ يَدٍ جميل، حبر أزرق. "عزيزي ثوردور" إنها كتابة الأب فريندلي، من منزله في ڤيرچينيا، في أكتوبر الماضي.

" اسمح لي أن أبدأ بتوجيه جزيل الشُّكر لك على كلماتك الرقيقة وعلى دعوتكم لزيارة أيسلندا. إن فكرة القدوم إلى جزيرتك الغريبة، والتي سَمعتُ عنها الكثير من الأشياء الرائعة، مثيرة للغاية، على أقل تقدير.

(1) Góður - بالأيسلندية في الأصل

أخبَرَني صديقي العزيز القس كارل سيمونسن عن عملك الممتاز نيابةً عن الرب، وأنا على عِلمٍ بمحطَّة تلفزيون صديقك إنجلبرتسون. سيسعدني تقديم بعض العروض هناك.

لذلك، فإنه يؤسفني أن أبلغكم أنني بسبب وضعي الشخصي؛ لا يمكنني قبول عرضكم الجيد. في الشهر الماضي، تعرَّضَت زوجتي چودي لحادث سَيرٍ مُروِّع، وستدخل المستشفى للأشهر الثلاثة القادمة على الأقل. كما تفهم، هذا الوضع المُحزِن يمنعني من السفر في الوقت الحالي. لقد أجَّلتُ كلَّ شيء يشمل الطيران حتى أوائل الربيع العام المقبل.

من فضلك اكتب لي مرَّةً أخرى في عام 2006".

محترف لكن ودود[1]. الأخ المشغول.

يا له من رجل بائس. كوفئ بالموت لبقائه بجوار فراش موت زوجته. يا لها من قسوة مني.

يُرفِق بالرسالة صورةً مُلوَّنة مُوَقَّعة تُظهر عائلة فريندلي واقفة أمام منزل أبيض كبير يمكن أن يكون إمَّا كنيستهم أو منزلهم أو كليهما. ها هو ضحيتي الأصلع ذو الياقة البيضاء حول رقبته وزوجته الشقراء المبتهجة چودي بجانبه، المرأة التي تزوَّجتُها لمدة ثانيتين كاملتين في سيارة جودموندور في وقتٍ سابق من هذا الربيع.

إنها جميلة بعض الشيء بلمحة جنوبية، يمكن أن تشبه والدة لورا ديرن المحفوظة جيدًا. من طراز اليوم السابع. يقف الزوجان بفخرٍ وراء طفلين يبلغان من العمر حوالي عشر وثماني سنوات. واحد أسود والآخر أبيض. يجلس هذا الأخير على كرسيٍّ مُتحرِّك. ومثل باقي النساء الأمريكيات دون غيرهن، تبتسم السيدة فريندلي بشدَّة، لدرجة

(1) استخدام مزدوج لـ Friendly.

أنها لا تستطيع رؤية الكاميرا. لقد أعماها النعيم. في الواقع، يبتسمون جميعًا بنفس الحماس كما لو كانوا يُصمِّمون كُتيِّبًا لأفضل فندق في الجنة، والطفل ذو الإعاقة ابتسامته ذات إعاقة، لمسة خيبة أمل من الحياة بشكل عام.

ألخِّص انطباعي عن القِسّ ديڤيد فريندلي من الخطاب والمظهر. لا يبدو لي ذلك الإنجيليَّ الجنوبيَّ المعتاد، محتال المسيح، بطريقة ما يبدو صادقًا. أعتقد أنه لم يكن يستحقُّ أن يموت في سن الأربعين. على الرغم من كل ما لديه من رهاب المِثليَّة. يتغلَّب مُخلِّص الأرواح على صانع الأرامل تحت أي ظرف، بالإضافة إلى أنه لديه طفل مشلول، وطفل آخر تمَّ تَبنِّيه، والآن أصبح الأطفال أيتامًا، بلا أب أو أم، ومخلوقات صغيرة بلا أم. ربما ينبغي عليَّ أن أعرض تبنِّيهم.

في اليوم التالي، شَدَّدَت هانا على كل شيء. "هل قرأتَ الرسالة وشاهَدتَ الصورة؟".

"نعم. فعَلتُ".

"لقد كان رَجُلًا صالحًا" تقول بعينين متغضنتين، وبدون أدنى تلميح من الاتهام في صوتها.

"وفَقَدَ زوجته؟".

قالت "لا". "لقد تعرَّضَت لحادثٍ، وهي مشـ.. ماذا تطلق عليها؟".

"مشلولة؟".

"نعم. إنها على كرسي متحرك".

"لكن جودموندور أخبرني أنها ماتت".

"لا لا. لقد كادت أن تموت لكنها تتحسَّن، على ما أعتقد".

"ولديهما طفلان؟".

"نعـم. لديهـما طفـلان بالتَّبنِّـي، الأصغـر مـن جامبيـا، والآخـر عـلى كـرسيٍّ مُتحـرِّكٍ أيضًـا".

لا. بحـقِّ الجحيـم! الشـخص المصـاب بالشَّـلل مُتبنًّـى أيضًـا. إلى أي مدى يمكـن أن تكـون مُقدَّسًـا؟ والآن هنـاك العديـد مـن الكـراسي المتحرِّكـة في العائلـة... "ربمـا تريـد أن تكتـب لهـم؟" تواصـل السـيدة تورتشـور.

"نعم ممكن".

"لا تخبرهـم مَـن أنـتَ بالطبـع، فقـط قُـل إنَّـكَ تعـرف الأب فرينـدلي كواعِـظٍ، وأنَّـكَ سـمعت عـن وفاتـه، وأنـك آسِـف".

تتوقَّف، ونتبادل النظرات، أنا وأُمُّنا الأرض.

وتضيف: "إذا كنتَ كذلك".

"نعم، بالطبع أنا آسف".

"هذا جيد، أنت تتحسَّن".

وهنـا يـأتي الجـزء المُفضَّـل. تداعـب خـدي بيدهـا البيضـاء الكبـيرة. بأصابعهـا القويـة الناعمـة. إذا كان هـذا فيلـمًا، فسـألتقطها بذراعـي كتـوم كـروز وسـنتبادل القُبَـل كشـخصين يـأكلان الجريـب فـروت الأول بعـد أسـبوع في الصحـراء، وبعـد ذلـك كنـتُ سـأمزِّق ملابسـها، وبعـد لقطـة واحـدة سـنمارس حُبًّـا دينيًّـا عـلى فـراشي مـن العهـد القديـم. سـيكون الفيلـم بعنـوان "ثالوثيَّـات"، ويحتـوي عـلى مُثلَّـث حـبٍّ بـين الخاطـئ والكاهـن وزوجتـه.

"أعتقد أنه قد يفيدك أن تكتب لهم رسالة".

"موافق. سأفكر في هذا".

في الواقـع، يجـب أن أكتـب أيضًـا لسِـتَّةٍ وستِّين أرملـة. يجـب أن أكتـب لهـم جميعًـا خطـابَ أسَـفٍ مُوحَّـد:

عزيزتي السيدة (...)

ببالـغ الأسـف والحـزن أكتـب لأبلغـك أننـي أنـا مَـن قتـل زوجـك. بالطبـع أعلـم ألَّا شيء يمكـن أن يَحـلَّ مَحـلَّ حُـبِّ حياتـك، وبغَـضِّ النظـر عـن مـدى عُمـق أسـفي، فلـن يتمكَّـن أبـدًا مـن إعادتـه إلى الحيـاة.

مع ذلك، أريدك أن تحاولي فهم وضعي.

في وقـت التخلُّـص مـن زوجـك كنـتُ قاتِـلًا مُحتَرِفًـا في منظمـة وطنيـة مُعيَّنـة. كان القتـل رزقـي. بـين عامـي 2000 و2006 قتلـتُ 67 رجُـلًا. كان زوجـك واحـدًا فقـط مـن بـين كثيريـن.

السيد(...) كان عملية رقم (#...).

يمكننـي أن أؤكِّـد لـكِ أن وفاتـه كانـت مـن بـين أكـثر الأحـداث التـي لا تُنسى في قائمتـي. كان زوجـك رجُـلًا طيِّبًـا. مـات بكرامـة كبـيرة، ولم يشـكُ عـلى الإطـلاق مـن مصـيره.

ومـع ذلـك، إنـه لمـن دواعـي سروري البالـغ أن أبلغكـم أننـي قـرَّرتُ الآن شَـقَّ طريـق جديـد في غابـة الحيـاة. اعتبـارًا مـن مايـو 2006، سـأترك صناعـة القتـل، مـن المؤكَّـد أن إطـلاق النـار عـلى الأشـخاص مـن أصعـب الوظائـف التـي يمكـن أن تجدهـا.

الضغط الجسدي والضغط النفسي عالٍ جدًّا.

والآن اكتفيتُ بمنتهى البساطة.

لذلـك أسـتطيع أن أؤكِّـد لـكِ، في حـال وجَـدتِ لنفسـك شريـكًا جديـدًا (وأريـد أن أهنِّئَـكِ، إذا كان الأمـر كذلـك)، لـن أقتـل زوجَـكِ مَـرَّةً أخـرى.

المُخلِص

توميسلاف بوكشيتش.

هذه آخر مرة أستخدم فيها اسم والدي. إنه ميِّتٌ الآن.

لم تكن محاولة انتحاري فاشلةً تمامًا.

نفسي الجديدة لها اسمٌ جديد. بعد قتل اثنين من الكهنة، تعمَّدتُ من قِبَل اثنين آخرَيْن.

"صباح الخير سيد ألفسون!" يقول جودمونور وهو يظهر فجأة في نهاية أسبوع اختبائي الثاني مبتسمًا حتى ظهرت أسنانه. أعطاني جوازَ سَفَرٍ أيسلندي جديد، عليه وجهي ورقم الضمان الاجتماعي الأيسلندي الخاص بي المسمَّى كينيتالا. لقد تمَّ إحيائي باسم "توماس ليوفر أولافسون" يضحك الواعظان عندما يشاهدانني أقرؤه. إنهما لا يستطيعان السيطرة على أنفسهما. لا أعرف بالضبط لماذا، لكنهما يريان الأمر مُضحِكًا للغاية.

"توماس ليوفر أولافسون تهانينا! أنتَ أيسلندي الآن! عليك أن تتعلَّم الأيسلندية!" يكاد جودموندور يصرخ.

أفحص جواز السفر، يبدو سليمًا تمامًا، أكثر من ذلك الصيني الذي زوَّرتُه لإيجور.

"كيف لك...؟ من أين حصلتَ عليه؟" أسألهما.

"إنه مصنوع في أيسلندا! صُنعٌ يدويٌّ!".

بالكاد يستطيع جودموندور التَّحكُّم في فرحته، ولا يمكنه إخفاء الفخر الهائل الذي يشعر به لقدرته على تدبير هذه القطعة الأثرية غير القانونية.

"لديَّ صديق في الشرطة" قال لي وغمز لي بابتسامات سَمِجَة: "وآخر في حزب سياسي".

أريـد أن أركـض إلى الخـارج وأضحـك عـلى نفـسي حتـى المـوت. لا يوجـد شيء مُضحِـك في هـذا العـالم أكـثر مـن قيـام رجـال ديـنٍ بأمـور غـير قانونيـة.

إنهـما يُصـدِران جولـةً أخـرى مـن الضحـك عندمـا يطلبـان منـي أن أقـول اسـمي الجديـد. "تومـاس... لـيــفوو ر" هــي محاولتــي الأولى، ومنطقيـة تمامًـا بالنسـبة لي. يبـدو أن "تومـاش ليـو فـر" يشـبه ذلـك إلى حـدٍّ كبـير. لقـد جعـلاني أقـول ذلـك حـوالي عـشر مـرات قبـل أن يـستعدَّا لتبليـل شَـعري اللطيـف بمـاء الصنبـور الـذي يجعلـه تورتشـور مُقدَّسًـا بمباركـة وابتسـامة. إنهـما يقضيـان أجمـل أيـام حياتهـما.

"في الواقع، كان يجب أن تكون توماس ليفور بوجاسون".

يـشرح تورتشـور. "هـذه هـي الترجمـة المباشرة لاسـمك الكـرواتي، ولفترة طويلـة كان هـذا هـو التقليـد هنـا في أيسـلندا. أُجـبر المهاجـرون عـلى اتِّخاذ اسـمٍ أيسـلندي كان عـادةً ترجمـةً أو نُسـخةً مـن الاسـم الأصـلي. لكننـا لا نريـد المخاطـرة بـأي شيء، أليـس كذلـك؟ لذلـك توصّلنـا إلى هـذا الأمـر.

أولفسون تعني "ابن أولف"، وهذا هو اسم رئيسنا".

هـذا هـو اسـمه الأول. هـؤلاء الرجـال لا يـستخدمون أسـماء العائلـة. لا يـزال الأيسـلنديُّون يتبعـون تقليـد الفايكنـج؛ إذ يشـتقُّون الأسـماء الثانيـة لأطفالهـم مـن اسـم والدهـم الأول. إذا كان لـديَّ أطفـال، فسـيحصلون عـلى الاسـم الرائـع والجـذَّاب تومسـون (فتـى) أو توماسـدوتير (فتـاة).

أطلـب مـن قِسِّيسـايَ الحصـولَ عـلى نسـخةٍ أسـهل مـن اسـمي الجديد، وبعـد تفكيرهـما لبعـض الوقـت، يتوصَّـلان لاسـم تومـي أولافس.

24
فندق هاردورك

2006/06/13

لكي أحصل على جواز سفري غير القانوني، وضعوني في مسكنٍ غير قانوني بالقرب من كنيسة تورتشور. إنه مبنى حديثٌ وجميل يضمُّ متجرَ أثاث فاخر في الطابق الأرضي، وبعض العُمَّال المهاجرين ذوي مظهر رَثٍ في الطابق الأول.

أدخل إلى العالم السُّفلي الأيسلندي. يبدو أننا قمنا بتبديل الأدوار، أنا وأصدقائي المقدَّسين. رجل جودموندور من الحزب السياسي، وهو رجلٌ ذو أنف كبير بلا رقبة تقريبًا يُدعى جود ني[1] (لا علاقة له بالجريح) لديه نظرة العُصبجيَّة الدوليِّين في عينيه، والتي يصعب شرحها للقارئ البريء، لكن زميله لا يمكنه أن يفوت هذه الملاحظة. تلك العيون شهدت كثيرًا من الحياة وبعضًا من الموت.

---

(1) Good knee: أو الرُّكبة الصالحة.

يسرع إلى المدخل بعد خروجه من سيارته السوداء رباعية الدفع كثيرة الكدمات، وهو رجل بدين أشعَثُ يبلغ من العمر خمسين عامًا، يرتدي سُترةً واقية زرقاء داكنة تبدو كبيرة الحجم، ولكن بنظرة فاحصة، يزيد وزنه مع جيوب مليئة بالمفاتيح (والمسدَّسات؟). أخرج عشرات المفاتيح وجرَّب ثلاثة منهم قبل أن يجد المفتاح المناسب.

يقدِّمني جودموندور، وأبدو سخيفًا للغاية، مثل أبٍ فخورٍ يوصي بابنه لمدرِّب كرة قدم مشهور.

يرمقني جود ني بضَجَرٍ لثانية ويغمغم بالأيسلندية "مرحبًا" قبل أن نمضي إلى المدخل الفوضوي الذي تملؤه النشرات الإعلانية الملوَّنة وآثار الأقدام، والصحف المحلية غير المقروءة. نتبعه صعودًا إلى الدرج، ثم نهبط إلى ممرٍّ طويل ومُقبِض تملؤه الأبواب الحديدية كل خمس عشرة قدمًا، يسارًا ويمينًا.

السقف مُرتَفِعٌ نوعًا ما، يرتفع من المنتصف، أمَّا الجدران، كونها بارتفاع ثماني أو تسع أقدام فقط؛ فلا تتَّصل به. يجلس في مطبخ صغير في نهاية الرواق عدد قليل من الرجال بعيون حمراء وحواجب داكنة، مع قِطَع صغيرة من الخرسانة البيضاء في شعورهم، ويحملون البيرة. ثمَّة تلفاز صغير على مسطح يدوي رخيص، وبجواره موقد كهربائي قديم. تضيء الشاشة ببعض أعمال القتل التي يرتكبها هواة، لكن العُمَّال لا يشاهدون، يستقبلهم جود ني ببضع كلمات غير مسموعة بلغة العصابات.

يجيبه أحدُ العُمَّال باللغة الانجليزية بلهجة سلافية ثقيلة ويشير إلى أسفل الممرِّ الذي مشينا فيه للتَّوِّ:

"رقم ثلاثة على اليمين".

هذه زنزانتي. يتعيَّن على نجل الرئيس أن يكتفي بمساحة لتخزين قطع الغيار، تمَّ تقسيمها إلى أكشاك للنوم فقط بجدران رقيقة من

الـورق. السريـر عبـارة عـن أريكـة محمولـة عـلى بقايـا جـدار، مـع جـذوع خشـبية مكوَّمـة عـلى بعضهـا كأرجُـل.

لا يوجـد شيء آخـر في الغرفـة باسـتثناء كـرسي مكتـب قديـم ورخيـص، ومصبـاح بـلا إضـاءة أو إطـار، وملعقـة فضيـة وحيـدة ملقـاة عـلى الأرضيـة المتَّسِـخة. الجـدار المواجـه للبـاب هـو في الأسـاس نافـذة واحـدة كبـيرة تحتهـا مُـبرِّد مسـتطيل. والمنظـر مـن الخـارج عبـارة عـن مبنـى مشـابه لهـذا المبنـى، بـه مَتاجِـرُ في الطابـق الأرضي، وأمامـه موقـف للسـيارات. يلقـي جودمونـدور عـلى الفـراش كيسًـا بلاسـتيكيًا أسـود، يحتـوي عـلى بعـض المـلاءات، ويقـول لصديقـه "هـذا جيـد" قبـل أن يعـود إليَّ بابتسـامةِ مَـن وُلِـدَ مـن جديـد:

"أنـتَ تعلـم أن بإمكانـك دومًـا أن تـأتي إلى منزلنـا لتنـاول الطعـام أو غسـل الملابـس أو مشـاهدة التلفزيـون".

شيء لم أسمع والدي يقوله.

يعطينـي جـود ني المفتـاح الصالـح، بالإضافـة إلى رقـم هاتفـه الخلـوي الثمـين في حالـة حـدوث انتفاضـة في الثكنـات أو أخـذ بعـض الرهائـن. مـن الأفضـل ألّا يعـرف هـؤلاء الأجانـب أنهـم يشـاركون سـقفًا مـع الابـن الوحيـد لرئيـس أيسـلندا. ربمـا ينبغـي لي أن أطلـب مـن جـود مـون أن يمنـح هـذا المكـبَّ بَرَكـةً سريعـة، لكـنَّ الرفيقـين الطيِّبَيْن خرَجَـا، وهـا هـي حيـاتي الجديـدة تبـدأ بحقيبـة رياضيـة صغـيرة وكتـاب مُقـدَّس كبـير.

زمـلائي في السـجن هـم مـن بولنـدا وليتوانيـا، بالإضافـة إلى شـخصٍ بلغـاريٍّ ذي شَـعرٍ أسـود ناعـم اسـمه بالاتـوف يبـدو كقاتل محـترف وزميل. إنـه حلـف وارسـو القديـم العزيـز. حمّامنـا الوحيـد يُسـمَّى الضريـح. وفقًـا لقواعـد المنـزل، إمّـا أن تذهـب إلى هنـاك لـترى لينـين (الـشيء الأصفـر) أو سـتالين (الـشيء البُنّـي). ويُسـمُّون المخيَّـم نفسـه فنـدقَ الأشـغال الشـاقَّة.

عـادة مـا يعـودون إلى المنـزل حـوالي السـاعة الحاديـة عـشرة ليـلًا ويرحلـون في السـابعة، ويتنهَّـدون في الرَّدهـة ويركلـون بعضهـم بأحذيتهـم المصنوعـة مـن الصُّلـب.

يخـبرني بالاتـوف: "أنـا لسـتُ عامِـلًا" يبقـى في المنـزل طـوال اليـوم ليستمع إلى روك سـوفييتي بصوتٍ عـالٍ عـلى جهـازه البومبوكـس الصغـير، ويشـاهد التلفـاز في المطبـخ، ويلعـن كل مـا يظهـر عـلى الشاشـة بلُغَتِـه الأمّ. عـليَّ أن أحـرص ألّا أكشـف أننـي أفهـم بعـض هـذه الكلـمات.

يؤكِّـد الرجـل القـادم مـن البحـر الأسـود بسُـترةٍ سـوداء ولحيـة سـوَداء وشَـعر أسـود وحاجبـين أسـودين فـوق عينـين سـوداوين. يبـدو أنـه أسـود في كل شيء.

"أسـود" يخـبرني بلُغَتِـه الإنجليزيـة المكوَّنـة مـن ثلاثـين كلمـة كلَّـما ظهَـرَت المـرأة السـوداء الغريبـة في منتصـف إعـلان صابـون الأسـنان الأبيض أثنـاء النهـار. "أنـا أضاجـع السُّـود. إنـه جيـد".

أغوص في الثلاجة بحثًا عن حاوية الحليب الأبيض.

لا يوجـد غيرنـا أنـا وبالاتـوف خـلال النهـار، إلى جانـب الإعـلان عـن تفضيلاتـه الجِنسـيَّة سِـتَّ مـرات في اليـوم، تنبعـث منـه رائحـة مثـل رَوَث الحصـان المنقـوع في الوقـود. بالإضافـة إلى أنـه يسـتغلُّ كُلَّ فرصـة ليجعلـك رفيقَـه في المنافسـة.

"أعـرض صـورة سـوداء... في الغرفـة... تعـال" يبـدو الأمـر وكأنَّـك عالِـقٌ مـع نَمِـرٍ عـلى مـتن قـارب صغـير في وسـط المحيـط الهنـدي. عليـك أن تفكِّـر في كل خطـوة تقـوم بهـا. أقـوم بتهريـب وجبـات الغـداء الخاصـة بي بصمـتٍ مـن المطبـخ، وأذهـب لأرى لينـين فقـط عندمـا أسـمع الموسـيقى مــن جهــازه البومباكــس. أقــضي ســاعات في زنزانتــي محــاولًا بشــدَّة أن أفصـل كتابـات الأنبيـاء عـن الأصوات الرائعـة لأفضـل أغـاني الهيفـي ميتـال

البلغاريـة التـي تشـبه بطريقـةٍ مـا الفِـرَقَ الموسـيقية المبتدئـة في أركنسـاس أو الإكـوادور.

يبـدو أن موسـيقيِّي الـروك المُشـعِرين في هـذا العـالم ينتمـون إلى أمَّـةٍ واحـدة، عـلى الرغـم مـن انتشـارهم في جميـع أنحـاء الأرض. إنهـم يهـود الغـد.

لكـنَّ السـيد القـادم مـن البحـر الأسـود لـن يقتنـع بــ أ.ق.أ الخـاص بي كإشـارة. يقـرع بـابي اللعـين، ردُّ فِعـلي الفـوري هـو البحـث عـن مسـدسي. أفتقـده مثلـما يفتقـد عامِـلُ النظافـة ممسـحته.

"هل لديكَ كريم حفظ"[1] يسألني.

"أتمنى".

"ما هو؟".

"لا، أنا آسف، ليس لديَّ أيٌّ منه".

"سأحفظ الوجه".

"أرى. أحسنت".

"أنتَ أيسلندا؟".

"آه، حسنًا... جزئيًا. أنا نصف أيسلندي".

هـذا البلـد يمتصُّـني مثـل الـبركان في الاتجـاه المعاكـس. أحضر لي الشـتاء وسأسـتيقظ بوجـه كـرة الثلـج وأنـف مرصـوف بالحصى.

"أنت لا تعمل؟".

مـاذا بعـد؟ سيسـأل عـن جـواز سـفري؟ يسـأل عـن جـود ني وجودمونـدور، أجيـب بإيجـازٍ وعَينـين مثبتتـين عـلى قمَّـة جمجمتـه، والتي

(1) يتحدث الانجليزية بصعوبة، وهنا يقصد كريم حلاقة.

تظهر من خلال شَعره الأسود مثل رأس طفل يندفع من مهبلٍ كثيف الشَّعر.

"جود ني والأب فريندلي" يقول بضحكة قصيرة، وكأن هذا هو الشيء الذي يسعى وراءه حقًّا، ثم نعود إلى لونه المُفضَّل. "أنت تضاجع السُّود؟".

"إيه... نعم. فعلت".

"جيد؟" يقول بابتسامة مُقزِّزة تنفجر في ضحك شرير. "جيد!" ويضحك بطول المسافة إلى زنزانته. "الأسود جيِّد".

سأسأل تورتشور إذا كان علاجه يسمح بارتكاب جريمة قتل صغيرة أخيرة.

في ليلة السبت يظهر جود ني مع صندوقٍ من الورق المقوى مليء بزجاجات ڤودكا كاد أن يُكتب عليه "مُهرَّب" ويضعه على طاولة المطبخ، ليشبه إلى حدٍّ كبير مالِكَ أرضٍ جنوبيًّا من القرن التاسع عشر يُحسِن معاملة عبيده. لكنه لا يفتحه، فقط يتنهَّد من خلال أنفه الكبير بأسلوب الشخص المنشغل، ثم يرحل بسُترَتِه القصيرة.

أستعِدُّ لليلةٍ بلا نوم، لكن لا شيء يحدث إلَّا بعد اليوم التالي. صباح الأحد، يستيقظ البولنديون مبكِّرًا، وينكبُّون على صندوق الڤودكا مثل الجراد على قصب السكر. بحلول الظُّهر كانوا يغنون أغانيهم البولكا في المطبخ ويصيحون "توماسز".

أتظاهر أنني ميِّتٌ عندما طرقوا الباب. ميِّت كما أردتُ أن أكون.

يستغربون أن يعيش رجُلٌ أيسلندي في مكان مثل هذا. لطالما كان فندق الأشغال الشاقَّة مُخصَّصًا للعُمَّال الأجانب فقط. بالنسبة لهم، لا بُدَّ وأنني ضابط من قوات الأمن الخاصة الذي يقوم طواعية بتسجيل الدخول إلى معسكر أوشفيتز. أحاول التخفيف من حِدَّة

كل هـذا وأخبرهـم أننـي أيسـلندي بنسـبة 25٪، وأختلـق قصَّـةً طويلـة ومُمِلَّـة عـن أب مـن فريسـنو، السـيد تشـاك أولافسـون، الـذي كان نِصـفَ أيسـلندي، والتحـق بالجيـش، ومـات في حـرب صغـيرة في منطقـة البحـر الكاريبـي خـلال عهـد ريجـان "كانـت نيرانًـا صديقـة، قصَّـة حزينـة"، وأم ألمانيـة تزوَّجَـت لاحقًـا مـن هـذا القـسّ الكـرواتي وهـما يعيشـان الآن في ڤيينـا.

"هل تعرفون رابيد وين؟" أسألهم بسرعة.

"نـادي كـرة قـدم؟ صحيـح؟ لعـب ضمـن فريـق ليجيـا وارسـاو في العـام المـاضي. هـل هـو ناديـكَ؟".

"نعـم. كنـتُ في العـاشرة مـن عمـري عندمـا تُـوفيِّ والـدي، ثـم انتقلنـا إلى النمسـا، عِشـتُ هنـاك حتـى اليـوم".

أشرد لفـترة وجيـزة. لمـاذا اخـترت ڤيينًـا؟ ذهبـت هنـاك فقـط لقضـاء عطلـة نهايـة الأسـبوع. لكـن حصلـتُ عـلى أ.ل.ت (أفضـل لحظـة تدليـك) مـن فتـاة مَجَريَّـة أخبرتنـي أنهـا كانـت في العشريـن مـن عمرهـا، لكنهـا بَـدَت وكأنهـا في الخمسـين. جـرَّت ثدييهـا الكبيريـن أعـلى وأسـفل ظَهـري، كان ذلـك شـعورًا سَـماويًّا لا مثيـل لـه، كـما لـو كانـا كرتـين إلهيتـين أو شـيئًا مـن هـذا القبيـل.

أعود إلى صوابي وأكمل الفقرة:

"في الواقع، لم أعِش في أيسلندا من قبل".

"لكنَّـك تتحـدَّث الأيسـلندية؟" يسـأل أحـد البولنديـين الثلاثـة. بطريقـة مـا يبـدون جميعًـا كجنـود مـن الحـرب العالميـة الثانيـة، يمكـن أن يكونـوا بـدلاء في فيلـم حيـث يجلسـون في الجـزء الخلفـي مـن شـاحنة عسـكرية، عـلى وشـك أن يتـمَّ تفجيرهـا في المشـهد التـالي.

"قليلًا... أمي... لا بل جدَّتي كانت تتحدَّث معي باللغة الأيسلندية عندما كنتُ صبيًا".

ابتعدتُ قليلًا. يختفي أحدهم لبعض الوقت ويعود برسالة باللغة الأيسلندية مليئة بأحرف مجنونة: حرف "أ" حُبلَى بينما تمارس المد الحب مع حرف الـ "إ"، يطلب مني أن أترجمه له. آخذه إلى رُكني وأُجري مكالمة سريعة مع هانا. يستغرق الأمر مني أمدًا رغم ذلك لأقرأ لها الكلمات غير المفهومة. اتَّضح أنها دعوة بسيطة لافتتاح بعض المباني التي كان الرجل يعمل بها. يقول إنه لا يمكنه الذهاب، إنه مشغول جدًّا بالعمل في موقع بِناءٍ آخر. عُمَّال المتاجر هؤلاء هم آلات عمل حقيقية. لقد اعتادت أجسادهم على النوم في منتصف الليل والاستيقاظ في السادسة، لدرجة أنهم غير قادرين على النوم في صباح يوم الأحد؛ لذلك لا يمكنهم أن يسكروا ليلة السبت، ولكن عليهم أن يفعلوا ذلك في اليوم التالي. يبدؤون في السابعة صباحًا ويَفرُغون في الساعة 11 ليلًا.

25
نادي جراني

2006/06/17

لا بُدَّ وأن هذا هو التأثير الجيد لبالاتوف، ولكن بعد أسبوع في الأشغال الشاقة لا أستطيع التفكير في أي شيء آخر غير الجنس.

تزدحم ساعات قراءة كتابي المقدَّس بالذكريات والخيالات وأحلام اليقظة. أحيانًا يصطدمون جميعًا في هيئة واحدة، كبيرة، سينيكا، حبيبتي من سبليت. حبيبتي الكبيرة في سبليت. يُطلُّ رأسها مرارًا وتكرارًا من بِركة فقدان الوعي القذرة، حتى إنني أحلم بها لمدة ثلاث ليالٍ مُتتالية. إنه أمرٌ غريبٌ نوعًا ما؛ لأنها لم تخطر على ذهني حقًّا منذ سنوات، على الرغم من أنني أحاول البحث عن اسمها على جوجل من حين لآخر.

كانت سينيكا دائمًا مَرِحةً ومجنونة بعض الشيء، ويتَّجه ثدياها المُثلَّثان إلى الشرق والغرب، وشَعرها القصير الأسود يتَّجِه لأعلى ولأسفل.

كان لديها وحمة سوداء كبيرة على خدِّها الأيسر جعلتها تبدو صغيرة مثل بروك شيلدز[1]. كانت شفتاها ممتلئتين وناعمتين، لكنَّ خَدَّيها كانا متيبِّسَيْن ومائلَيْن. بطريقةٍ ما كنتَ تريد دائمًا الضغط عليهم بإصبعك. وعلى الرغم من الغمَّازات، فقد أضافا إليها لمحة صبيانية نوعًا ما.

كان لديها أخت أكبر بكثير، وكانت والدتها ذات الشارب كبيرة بما يكفي لتكون جدَّتها. زوج والدتها شاعِرٌ شديد الإخلاص وغير معروف على الإطلاق. حفظَت سينيكا كثيرًا من قصائده عن ظهر قلب، وأحيانًا كانت تقرأ بعضها لي. لا أعرف لماذا حقًّا، لكنني دائمًا أتذكَّر هذه الرسالة التي كتبها أحد أصدقاء زوج والدتها:

"كلُّ مَن سافر يعرف

أنَّ التفاح أحلى في شوارع وساحات المدن الأجنبية"[2].

الآن يروق البيتان لقضيبي فقط؛ ممَّا يجعله ينهض من عرينه، محاولًا الاستماع. (لدى السيد الساكن بين ساقي أُذُنٌ شِعريَّةٌ للغاية). أقضي أيامي بين فخذيها القويَّتيْن شبه الرُّجوليَّين، مُتذكِّرين أسلوبها الأخرق في الرقص أو أثناء ممارسة الحب في الصباح الباكر على ذلك الشاطئ في براك. المياه الراكدة الزرقاء، الحصى الأبيض الكبير، وابتسامتها الشريرة...

أنا لا أفهم ذلك حقًّا. لقد اتَّخَذتني سينيكا رهينةً. عن طريق الجنس العزيز الجيد والمتين قبل الحرب. الجنس اليوغوسلافي الوطني.

كان لسينيكا أكثر عانةٍ مُشعِرة في البحر الأدرياتيكي. (لقد كنت دائمًا شجيرة. بالنسبة لي، فإن فكرة فَرْجٍ أنثوي أصلع تشبه شريحةَ لحم

---

(1) Brook Shields: ممثِّلة أمريكية.

(2) بالكرواتية في الأصل.

بـدون صلصة. كانـت تعـاني مـن ذلـك، عـلى حَـدِّ قولهـا، لكننـي جاهَـدتُ لإقناعهـا بـأن الشَّـعر ليـس مخيفًـا، وأن الشَّـمع البرازيـلي بالنسـبة للجنـس يُشـبِه المطبـخ الفرنـسي الجديـد بالنسـبة للطبـخ. بـلا صلصـة لعينـة.

أسـتيقظ وهـي فوقـي، وقبـل أن أنـام ليـلًا أدفـس وجهـي في عانَتِهـا الكثيفـة، وأهمهـم أغـاني أرسـين ديديـك[1] القديمـة. ربمـا أحِـنُّ إلى بلـدي وحسـب.

يبـدو أن الرجـل الطيـب الـذي يحمـل اسـم جـود ني يشـعر بالإحبـاط، وينتهـي أسـبوعي مـن الجنـس الوطنـي بشـكلٍ مُلائِـمٍ عندمـا يُقـرِّر سـيد العبيـد الطيـب نقـلَ جميـع رعايـاه إلى جـراني، وهـو نـادٍ للتَّعـرِّي مدفـون في أعـماق منطقـة صناعيـة قريبـة.

نسـير أمـام أجسـام سـيارات صدئـة وحاويـة زرقـاء لا بُـدَّ وأنهـا مليئـة بالدُّبَبَـة المحشـوَّة بالهيرويـن. في النهايـة، هـذه مدينـة نموذجيـة في أفـلام الجريمـة. بمجـرَّد أن اجتزنـا الحـارس التقليـدي ذا الـوزن الثقيـل، ندخـل عالمًـا آخـر. كانـت نفـسي الجديـدة تفكـر في البقـاء في المنـزل، ولكـن بعـد أسـبوع تحـت مراقبـة بالاتـوف، رحَّبـتُ برحلـة التَّعـرِّي.

لقـد بـدأتُ أفكِّـر حقًّـا في أن رَجُـلَ البحـر الأسـود قـد لا يكـون الحـوت الـذي تقطَّعَـت بـه السُّـبُل كـما يبـدو عليـه. عـلى الأقـل تفـوح من أسـلوبه في الاسـتجواب رائحـة مكتـب التحقيقـات الفدرالي.

"السـوداء لي. اتفقنـا؟" شَـدَّد عـلى الليتوانيـين بينـما كُنَّـا نسـير عـلى السـجادة الحمـراء.

أخـذتُ نَفَسًـا عميقًـا إذ أدخـل الكهـف الصاخـب. مـرة أخـرى، يصعـده الشـيطان إلى جبـل عـالٍ جـدًّا ويُريـه أكـثر النسـاء جاذبيـة في العـالم

(1) Arsen Dedić مغنٍ كرواتي من أصول صربية، ولد عام 1938 وتوفي عام 2015.

ومجدهـن، ويقـول لـه: يمكنـك الحصـول عليهـنَّ جميعًـا الليلـة إذا وَعـدتَ ألَّا تقتلَهـنَّ بعـد الاسـتخدام.

هـذا هـو الشـيطان بالنسـبة لي، أو اللـه وفقًـا للظـرف الحـالي. يسـمح للخاطـئ الكبـير أن يخطـئ بطريقـة صغـيرة، حيـث يُسـمح لمدمـن المخـدرات بتدخـين السـجائر بعـد إقلاعـه عـن الهيرويـن.

عـلى الرغـم مـن أنـه لا يـزال مبكّـرًا جـدًّا (تذكَّـر أن البولنديـين يسـهرون حتـى منتصـف الليـل فقـط)، إلَّا أن النـادي مزدحـمٌ جـدًّا. يبـدو أن التصميـم قـد اسـتند إلى تصـوُّر مُسـلمٍ يبلـغ مـن العمـر عشريـن عامًـا عـن الجنـة، حيـث الكثـير مـن الخمـر، وفتيـات نصـف عُـراة (قـد لا يَكُـنَّ جميعهـن عـذارى رغـم ذلـك)، والموسـيقى الصاخبـة المدوِّيـة. تنطلـق أغنيـة "ثونـج" مـن مُكـبِّرات الصـوت، وتسـطع شـقراء في دائـرة الضـوء، تُلمِّـع العامـود بأنعـم أجـزاء جسـدها كلـه. جلـس حولهـا قليـلٌ مـن العُـمَّال الأجانـب، يضعـون أصابعهـم في أكـواب البـيرة نصـف الفارغـة عـلى حافَّـة المـسرح الدائـري. بعيـدًا، دُفِـنَ بعـض السُّـكَّان المحليِّـين ذوي الأنـوف الدقيقـة والمعـدة المملـوءة بالبـيرة في كـراسي ذات مسـاند عميقـة، مسـتمتعين ومشـدوهين لصحبـة راقصـات العامـود، يبـدون هادئـين عـلى نحـوٍ مُتوتِّـر كعـادة الرِّجـال حـين يضطـرُّون لإخفـاء حماسـتهم الداخليـة.

إنه نادي تَعَرٍّ متواضع. يمكن أن تجد مثله في ميامي أو ميونيخ.

يقـدِّم لنـا جـود ني صديقَـه الحميـم، المالِـك: رَجُـل ذو وجـه دائـري كالقمـر اسـمه أغسـطس، عـلى اسـم الشـهر، ولكنـه معـروف باسـم "جوسـتي جـراني". في الواقـع يبـدو كالجَـدَّة السـعيدة وهـو يُحـرِّك بطنـه الضَّخمـة في جميـع أنحـاء المـكان، مـع ذقنـه المزدوجـة الرائعـة التـي تهتـز مـن ضحكتـه السـعيدة مثـل چيـلي ليمـون عـلى طبـق طائـر. لديـه بعـض الشَّـعر الداكـن الجميـل، ولكـن لا توجـد علامـات عـلى أيِّ نُمـوٍّ في وجنتيـه الناعمتـين. أنفـه يشـبه حصـاة صغـيرة ورديـة.

تصلح الجَدَّة أن تكون راقصةً شرقيَّةً رائعة، بلا شك.

أثنـاء ذهابـه للحصـول عـلى القائمـة، يـشرح رَجُلُنـا النكتـة حـول اسـمه: الترجمـة الصوتيـة لــ "جوسـتي جـراني" سـتكون جوسـتي النحيـف، اندهَشـتُ حـين اكتشـفتُ مثـل هـذا النـادي عـلى هـذه الأرض، وتُوافِقُنـي الـرأيَ بعـضُ راقصـات العامـود.

قـال جـود ني لصديقـه، بمجـرَّد عودتـه بقائمـة النبيـذ، إننـا لم نكـن نعلـم بوجـود أماكـن مثل هـذه في أيسـلندا.

"لكنهـا ليسـت موجـودة!" ينفجـر جوسـتي بصـوتٍ عـالٍ ويهـزُّ مؤخّرته المثيرة بضحكـة سـعيدة. "إنها ليسـت موجـودة!".

توضِّـح القائمــة أطبــاقَ اللحــوم فقــط، عاريـة أو متوسِّــطة العــري، البلطيقيــة، التشـيكية، أو عــلى الطريقــة الروسـية. الأسـعار عاليــة مثـل راقصــة العامــود الصامتــة في منتصــف المــسرح، لكــن صديقنــا البديــن يقــدم خصــمًا بنسـبة خمسـين بالمائـة لجميـع رجـال جـود ني.

"لأنــك تســتحقُّها! لأنــك تبنــي أيســلندا الجديــدة!" صــاح بخدَّيْــن أحمريــن وعينــين لامعتــين.

"ألديكَ سوداء" يسأل بالاتوف.

"روســية ســوداء؟" يضحــك جوســتي، ثــم يتوقَّــف فجــأة، ويطرقــع أصابعــه في الهــواء.

تظهــر أمــيرة كاريبيــة نحيفــة، فتــاة مــن طــراز اليــوم الخامــس ذات عينــين لؤلؤيَّتَــيْن، مــن زاويــة داكنــة مثــل لــون بشرتهــا، ويطلــب رجُــلُ البحــر الأســود عــلى الفــور زجاجــة مــن الشــمبانيا. أوافــق عــلى احتســاء بـيرة كبـيرة، أقـف بجـوار المـشرب، بينـما أشـاهد أصدقـائي يتفرَّقـون في كل مــكان، كلٌّ منهـم يُمـرِّض وحدتـه الجنسـية.

يصدح المكان بأغنية جديدة "الجو حار هنا"[1]. إنها أغنية قديمة لكيلي، أو نيلي؟ أو بطن حتى!. أضع لساني حيث توجد السِّنُّ المفقودة وأراقب الراقصة وهي تُمزِّق لباسها الداخلي الرفيع، ولدينا... عانَةٌ من الصَّبَّار. لقد حوَّل چيل چيليت[2] الجِنسَ إلى عملية جراحية لعينة. أقول إنها "جمجمة" صامتة مُقارنةً بجميع مَلِكاتي المُشعِرات، وأتذكَّر غابة مونيتا المطيرة شديدة السَّواد. "عليَّ أن أفكِّر في طبقة الأوزون" هكذا كانت تمزح.

تظهر شبيهتها بجانبي، وتسألني بلغة إنجليزية سيئة عمَّا إذا كان بإمكانها "مشاركتي مشروبي". تطلق على نفسها اسم "أنچيل"، وهو اسم بعيد عن مظهرها الغَجريِّ في المحيط الأطلسي.

أنچيل هي أمٌّ، ذات شفتين كبيرتين وبشرة داكنة وثديين كبيرين، وهي امرأة صغيرة ترتدي حذاءً بكعبٍ عالٍ. إنها نسخة مثيرة للشفقة من مونيتا، من طراز اليوم السادس، قد تحصل عليها نسختي الأبويَّة من توكسيك. لكن على الأقل لا يزال رأسها مُتَّصِلًا بجسدها. أحاول كسب الوقت بالدردشة حول أسابيعها الثلاثة في مدينة الجريمة، بينما أُمتِّع عينيَّ بجمال من طراز اليوم الثالث من لاتڤيا في الجانب الآخر من المَشرَب، والتي تشبه جان بشكلٍ غير مريح.

قصة حياتي.

وحين تذكَّرتُ عرض جوستي السَّخيِّ، سألتُ أنچيل داكنة البشرة عمَّا إذا كان بإمكان المرء أن يطلب تكملة لوجباته في هذا النادي. "يُمكِنُكَ" تقول، وتغمز لجان اللاتڤية. إنها ترتدي فستانًا من الساتان الأزرق وابتسامة شهية تخفي مجموعة من دعامات الأسنان الثقيلة، وبعض الأعمال اليدوية البلطيقية الممتازة التي تحتاج خَصمًا أكبر،

---

(1) Hot in Herre: أصدرها مغني الراب الأمريكي نيلي عام 2002

(2) معجون حلاقة.

لكن لديَّ بالفعل خمسون في المائة. لقد وضعت على طاولة البار بطاقتي الائتمانية التي لم أستخدمها بعدُ، هدية تورتشر لي (مليئة بمساهمات عُمَّال المتاجر الكادحين لصندوق كنيسته) وشاهدتُ النَّادِلة، وهي متعرِّيةٌ تقاعَدَت مُؤخَّرًا مع فتحة صدر مُتغضِّنة، إذ تستخلص منها ما يعادل إقامة لمدة شهرين في فندق الأشغال الشاقة، مقابل زجاجة مليئة بعشرين دقيقة من الخيال المزدوج. قد تكون هذه أغلى زجاجة في تاريخ البشرية.

أتبع الكعوب الأربعة العالية في زقاق من الستائر. لا بُدَّ أن بالاتوف خلف إحداها يحاول جاهِدًا أن يحتفظ بكريمه الأبيض لآخر رشفة من الشمبانيا السوداء. كلَّما تَعمَّقنا في الكهف؛ أصبَحَ أكثر قتامة، لكن الموسيقى لا تتلاشى على الإطلاق. حان وقت بيونسيه الآن. هي وجاي زي. "عاشق بجنون"[1].

في نهاية الزقاق، تفتح أنچيل ستارةً وتقودنا إلى المساحة الخاصة المحجوبة بستار رفيع، والمفروشة بعلبة مناديل "كلينكس" كبيرة ومقعد قابل للبَسْط مُريح للغاية. الفتاة الشقراء، التي تُسمِّي نفسها إينا، تفتح الزجاجة وتملأ كؤوسنا: ثلاثة كؤوس شامبانيا كبيرة تساوي راتِبَ والدتي مُقابِلَ وقوفها عشر ساعات في اليوم، ستَّة أيام في الأسبوع، لمدة ثلاثة أشهر كاملة في متجر هارديرسكي في سبليت، تنسخ المفاتيح وتبحث عن تلك الخراطيش التي يصعب الحصول عليها عيار 0.765 التي تحتفظ بها في الخلف.

ربما ينبغي أن أُخبِرَها عن هذا الشيء المولود من جديد.

أرمي بنفسي على الكرسي. تبدأ أنچيل في التَّحرُّك، لكن إينا تركع بجانبي وتبدأ في فرك ركبتي اليسرى. لا بُدَّ وأنه طلبٌ من جود لي. تبدو المتعرِّية ضائعةً بدون عامودها، مثل رافع العامود بدون

(1) Crazy in love.غنتها المغنية الأمريكية بيونسيه عام 2003

أداتـه. لكـن مَـن سـينتقد الرقـص عندمـا يتعلّـق الأمـرُ بالتَّعـرّي؟ ليـس أنـا علـى الأقـل، علـى الرغـم مـن أن السـاكن بـين سـاقي لا يـزال غـير متأثّـر. ترحيبـه ليـس حـارًّا، يجـب أن أقلـق. لقـد اشـتريتُ لـه أغـلى موعـد في حياتـه، وأول شـطيرة لـه منـذ سـنوات وأفضلهـا. يلجـأ قلبـي إلى صرَّافي المتاجـر الكادحـين، الأعضـاء المتبرعـين في كنيسـة تورتشـور. لا يمكننـي تـرك مسـاهماتهم تذهـب سُـدًى.

الساكن لا تقنعه حججي.

لسـتُ أفهـم، في المـاضي تـمَّ رفـعُ عَلَـم رجولتـي بنجـاح مـن قِبَـل عـددٍ لا يُحـصَى مـن جنـود الجنـس، لكنـه الآن يتحـوَّل إلى لوطـيٍّ. لا بُـدَّ وأنهـا قـراءة الكتـاب المُقـدَّس. أسـتدعي فريقـي الخيـالي، نخبـة خلايـا عقـلي، وبمسـاعدة كأس شـامبانيا آخـر، تمكّنـتُ مـن تحويـل الفتاتـين بالكامـل إلى نسـخة مُقَرصَنـة مـن جـان ومونيتـا.

أخـيرًا، بينـما تُخـرج السَّـمراء ثدييهـا التوأمـين، وتخلع الشـقراء فسـتانها، وتكشـف عـن جسـمٍ نحيـف وشـبيه بجـان في ملابـس داخليـة لذيـذة، أشـعر بمقدِّمـات انتصـاب. أقـف عـلى قدمـي وأبـدأ في الرقـص البطـيء مـع سـيِّدَتَيْ حيـاتي. تجلـب صـورة القاتـل المولـود مـن جديـد وهـو يرقـص عـلى صـوت بيونسـيه الابتسـامةَ عـلى وجهيهـما، وتمـدُّ جـان يدهـا لتُعـزِّز القـوة بالأسـفل. تعمـل مسـاعدات التنميـة مـن لاتڤيـا مثـل السـحر، والآن تتركّـز كُلُّ مَخـاوفي عـلى تقويـم الأسـنان. إنـه يخيفنـي. يمكـن أن يصيبنـي.

سـواء كان بسـبب رغبتـي في التَّحقُّـق مـن حِدَّتـه، أو الشـعور الجيـد الـذي تبعثـه يـد الفتـاة، أو تَشـابُهها الوثيـق مـع ملكـة الثلـج الخاصـة بي، أو ببسـاطة النبيـذ الفـوَّار- فقـد انجرَفـتُ لفـترةٍ وجيـزة جـدًّا مُحـاوِلًا تقبيلهـا بشـكلٍ دَمـويٍّ، مثـل كاهـنٍ لعـين في بيـت دعـارة لعـين في قـرنٍ مـا.

سرعـان مـا أبعـدَت رأسـها عـن شـفتي لتزيـل يدهـا عـن منفـرج سـاقي المثـير للشـفقة. إنهـا مثـل صفعـة عـلى الوجـه. مـن عـاداتي القديمـة أن

أصِل تلقائيًّا إلى حَلِّ المشكلات شبه التلقائية، لكن لا شيء بالطبع، ولا خيار آخر لديَّ سوى الابتعاد.

وإذ أُسرع في الزقاق، وتنفتح الستائر قليلًا أثناء مروري بها، نظَرتُ خلفي ورأيت رجالًا يرقدون في مقاعد قابلة للبسط، وتعتني بهم نساءٌ نِصفُ عاريات. يَجثين بجانبهم مثل الأرامل يبكين أزواجهن المتوفين. أبتعد عن كل شيء وأتوجَّه إلى المَشرَب، أُلوِّح للنادلة وأسألها عمَّا إذا كان من الممكن الحصول على كيس بقايا طعام.

"ماذا؟".

"كيس بقايا طعام!".

اللعنة. أنا غاضب جدًّا.

"لماذا؟".

"لم أستَطِع إنهاء الوجبة التي دفَعتُ ثمنها للتَّوِّ!".

"ماذا؟ الوجبة؟".

"لقد دفَعتُ مقابل مداعبتين! أريد مداعبتين في كيس بقايا طعام!".

لا بُدَّ وأن صوتي غطَّى على بيونسيه وجاي زي في ممارستهم الصاخبة للحب؛ لأنني فجأة أصبحتُ مَركزَ اهتمام الجميع. حتى الراقصة على خشبة المسرح توقَّفَت عن الرقص. ظهر جود ني من كرسيٍّ قريب، تلاه جوستي النحيف. وإذ يقترب، يلوِّح بيده كقائد كرة قدم يحاول منع زميل في الفريق من تلقِّي البطاقة الحمراء. إنه على وشك أن يقول شيئًا ما، لكني لن أسمعه. سأرحل.

26
الجَزّار

2006/06/21

طلبت من جودموندور أن يُدبِّر لي وظيفة. أرجوك... الكتاب المقدَّس لا بأس به، لكن لا يمكنني قضاء عشر ساعات في اليوم مُنكَبًّا عليه. أنا لستُ راهبًا. بالإضافة إلى أنني مَدينٌ لتورتوشور بليلة في نادي جراني.

بعد بضع مكالمات هاتفية، دَبَّر لي مذيع التلفزيون وظيفةً في مطبخ سامفير، وهي خدمة تقديم الطعام المسيحية للمحتاجين، يديرها صديقه في ضاحية قريبة. يقوم الطاهي كل صباح بإعداد ثلاثمائة وجبة من ثلاثة أسماك. يجب أن أكون هناك في الساعة الواحدة لغسل الأطباق عندما يبدؤون في العودة. حتى إنني أستَقِلُّ الحافلة، وهو شيء لم أفعله منذ الطفولة. عادةً ما أكون الرّاكِبَ الوحيد على

متن الحافلة الصفراء الكبيرة 24 التي تأخذني مباشرةً تقريبًا من فندقنا إلى المنطقة الصناعية التي تشرف على معظم ريكيافيك.

السائق من كوسوفو، وأحيانًا نمزح بأننا يجب أن نملأ الحافلة بالقنابل ونتوجَّه إلى السفارة الصِّربيَّة.

أكَّد لي الشِّيف: "لا يجب أن تستقلَّ الحافلة يا تومي... قد يراك الناس".

"ماذا تقصد؟".

"الحافلة مُخصَّصة فقط للمجانين والسيدات العجائز والناس الجُدُد".

"النَّاس الجُدُد؟".

"البولنديُّون والكلاب الصفراء... إذا كُنتَ أيسلنديًّا، فلن تستقلَّ الحافلة".

يسمِّي الشِّيف نفسَه أولي، وينطق شيئًا مثل "أوليه"، وهو لقبٌ مُشتَقٌّ من ألفور، اسم والدي، الرئيس.

إنه مُدخِّنٌ شَرِهٌ، شاحب الوجه، بوحمة كبيرة على الجانب الأيسر من ذقنه، وقرط دائري صغير في أذنه اليسرى، وعداء مُذهِل تجاه الأجانب، ولغته الانجليزية جيدة بشكل مُدهِش.

الرَّجُل الثالث في المطبخ رجُلٌ ڤيتنامي صغير اسمه شيان، له شاربٌ خفيف ومائة سِنّة صغيرة، ويذكره أوليه عشر مرات في اليوم أن اسمه يعني "كلب" بالفرنسية. ومع ذلك، فإن توكسيك الكرواتي في مأمنٍ لأنه أيسلندي بنسبة عشرين في المائة ويحمل اسمًا محليًّا. أحاول ألَّا أبتسم وهو يصرخ في وجهي من بابه المفتوح وهو يدخِّن:

"يا تومي! قُلْ للكلب أن يُفرِغ القمامة أيضًا".

المالــك صديــقٌ لجودمونــدور واســمه ســامي، رجُــلٌ صغــير، بطنــه وجبهتــه منتفختــان، ويمضــغ العلكــة مثــل بقــرة عــلى القَــشّ، ويحتفــظ بالنظــارات الصغــيرة عــلى طــرف أنفــه وهــو يرقــص طــوال اليــوم. لديــه ابتســامة مَــن وُلــدوا مــن جديــد للمــرة الخامســة وليســت الأخــيرة عــلى وجهــه، ابتســامة تقــول إن حياتــه بــين يــدَيْ اللــه، وعــلى الرغــم مــن أن العجــوز قــد يســقطها أحيانًــا عــلى الأرض، لكنــه يســتلمها دائمًــا مــرة أخــرى.

دخــل ســامي وأوليــه الســجن معًــا، كــما أخــبرني الطاهــي في نهايــة يومي الثــاني. الأول لسرقــة بعــض اللوحــات المــزوَّرة، والأخــير للقتــل الخطــأ مــن الدرجــة الأولى. جريمــة عاطفيــة تــمَّ تنفيذهــا بســكين جــزَّار، حســبما يقــول وهــو يُصــوِّب ســلاحه نحــوي، إذ يقطــع اللحــم البقــري لإعــداد "يخنــي" في اليــوم التــالي. "لقــد كان يضاجــع فتــاتي، الوغــد. كان عــليَّ أن أفعــل ذلــك، وإلَّا كانــت ســتتركني عــلى الفــور".

يبدو أنهما ما زالا معًا، اسمها هاربا.

"لا شيء يضاهي حُبَّ امرأة ارتكبتَ القتل من أجلها".

يجب أن أفكر في ذلك.

كســب أوليــه احترامــي بعــد أن أفصــح لي عــن سِرِّه. لقــد قابَلــتُ أخــيرًا رجُــلًا حقيقيًــا في أرض العُــرْج هــذه. لــديَّ فضــول بشــأن ســنواته الســبع في الســجن. مــا إذا كان قــد تعــرَّض للاغتصــاب أثنــاء الاســتحمام. لا، كــما يقــول، يشــبه السِّــجن الأيســلندي حَرَمًــا جامعيًــا أمريكيًــا: ألعــاب كــرة قــدم لا نهايــة لهــا، وجميــع المخــدِّرات التــي يمكــن أن تحلــم بهــا.

"الســجن الأيســلندي يحظــى بشــعبية كبــيرة بــين الأجانــب. يــأتي رجــال المافيــا مــن ليتوانيــا في بعــض الأحيــان إلى هنــا لمــجرَّد أن يتــم الإمســاك بهــم. بالنســبة لهــم إنــه مثــل منتجــع صحــي أو شيء مــن هــذا القبيــل".

يمكنني أن أحب هذا البلد.

"ماذا عن ضحيتك؟ هل تفكر فيه عندما كنتَ محبوسًا؟".

"لا، ليس كثيرًا. لقد كانت جريمةَ قتلٍ سعيدة، بعدها بأيام كنتُ أسعَدَ رجُلٍ على قيد الحياة. أعني أنه استحقَّها تمامًا. في بعض الأحيان أتمنى لو كان على قيد الحياة حتى أتمكَّن من فِعل ذلك مرة أخرى".

"لكن، سبع سنوات... لا بُدَّ أنها كانت مُمِلَّة؟".

"نعم، قليلًا. لكنني درست الطبخ واللغة الفرنسية و... علاقتي مع هاربا كانت أفضل من أي وقت مضى. أعني، لم أكن مضطرًّا للاستماع إليها، أو الذهاب للتسوُّق معها، أو الذهاب لرؤية والدتها بعد الآن، كما تعلم، أنا فقط حصلتُ على الأشياء الجيدة. الجنس في السجن هو الأفضل يا رجل"، يقول بابتسامة باردة وهو يُلقي سيجارته في ساحة انتظار مُبلَّلة، تُطلُّ على بعض المباني الصناعية الباهتة وبقية ريكيافيك المورِقة.

"أنتَ لم تطلق النار على أحدٍ قَطُّ؟" سألته.

"بمسدَّس؟ لا، إن قتل شخصٍ ما بمسدس يشبه ممارسة الحب مع فأر" يقول هذا وهو يمسك بسكينه اللَّزِج. "كما تعلم، فأرة الكمبيوتر".

أعترف أني معجب بالمحسِنَيْن المقدَّسَيْن، الثنائي الكوميدي المعروف باسم جود وتورتشور، لديهم بعض الأصدقاء المثيرين للاهتمام. قبل أيام أخبرني بالاتوڤ أن جود ني أمضى بالفعل عقوبة في السجن النرويجي بتهمة تهريب المخدِّرات. تمَّ القبض عليه وهو يصطاد شيئًا مريبًا قُبالَة ساحل لوفوتين.

إذا رُسِم المجتمع على شكل دائرة، سنجد في قِمَّته الغالبية من أنصار الوعظ وإعادة التدوير (كل أولئك الذين لم يعبروا الشارع أبدًا

في الإشارة الحمراء، ولكنهم يبدؤون بلَعْق شاشة التلفزيون في كل مرة يظهر فيها توني سوبرانو اللعين).

وإلى اليمين لدينا كبار السِّنِّ الذين يحبون السلاح، والذين يُفضِّلون ضرب زوجاتهم على النوم معهنَّ. وعلى على اليسار سيكون لدينا الرجال المناهضون للعولمة، المجموعة البائسة التي تُعارِض كُلَّ الأشياء الجيدة في هذا العالم، مثل اللحوم والإباحية والاحتباس الحراري. سأجد نفسي في الأسفل، حيث يلتقي أقصى اليمين مع اليسار العنيف. حيث يجلس الرجال والنساء المقدَّسات بجانب القَتَلة ولصوص الفن.

هنا تُغلق الدائرة، في مطبخ المحتاجين، حيث أستطيع أن أرى كيف يلتقي العالمان على السن الحاد لسكين أوليه. إنها أول وظيفة "صادقة" لي منذ الفترة القصيرة التي أمضيتها كنادلٍ في أيام بيت شون، وأرى أنها أكثر من جيدة. عدم الاضطرار للتفكير هو مصدر ارتياح مُرحَّب به؛ غسل الصواني البلاستيكية البُنِّيَّة هو شكل من أشكال التأمُّل. أوَّلًا أقوم بتنظيفها من معظم الطعام (من الواضح أن المحتاج في أيسلندا ليس محتاجًا إلى هذا الحد)، ثم أشطفها بالماء قبل وضعها في غسَّالة الأطباق القديمة الكبيرة، والتي يسألني عنها سامي كلما مرَّ علينا، كما لو كان كانت والدته العجوز "كيف حالها اليوم؟".

يقودني أوليه أحيانًا "إلى المنزل"، متجاوزًا محطَّة الحافلات حيث ينتظر الكلب[1] جنبًا إلى جنب مع المجانين المحلِّيين، وحتى صديقته الشهيرة أوصلتني ذات مرة في سيارتها البولو البيضاء الصغيرة.

هاربا هي زُبدة أيسلندية شقراء بالكامل مع سُمرَة مُزيَّفة، ووشوم قَبَليَّة على معصمها، وأخبرتني أن اسمها يعني "القيثارة".

(1) chien بالفرنسية، ويقصد به الڤيتنامي "شيان".

في الواقـع تبـدو أقـرب إلى "عـود" برقبتهـا الطويلـة ومؤخّرتهـا الكبـيرة. ومـع ذلـك فهـي مثـيرة نوعًـا مـا. قـد أشرع في القتـل مـن أجلهـا في اليـوم العـاشر أو الحـادي عـشر.

إنـه شـعور رائـع أن أعـود مـن العمـل كلَّ يـوم دون قتـل أي شـخص. قـد لا يكـون نـوم المسـتودع مثاليًـا، لكـن عـلى الأقـل توقّفـتُ عـن إضافـة جُثَـثٍ جديـدة إلى المخـزون. عـادةً مـا أعـود إلى الثكنـات في الخامسـة أو السادسـة، بحـوزتي بقايـا طعـام غـداء سـامفير، الـذي أقـوم بتسـخينه في ميكروويـف مـن عصـور مـا قبـل التاريـخ، وأتناولـه في المطبـخ إذا لم يكـن بالاتـوڤ موجـودًا.

لا بُـدَّ أن أضبـط مصاريفـي، بالإضافـة إلى أن طعـام أوليـه جيِّـد، لكـن معرفـة أن الشـيف قاتـلٌ مُـدانٌ، وهـو رَجُـلٌ يسـتمتع بتقطيـع اللحـم؛ تضيـف نكهـة إضافيـة إلى الوجبـة. منـذ بـدأت العمـل مـن أجـل لقمـة العيـش، أدركـت أن أيسـلندا هـي أغـلى بلـد في العـالم. يكلِّـف مـلء ثلَّاجـة واحـدة بنصـف كيلـو مـن الجبن مـا يصـل إلى نصـف كيلـو مـن الحشـيش. لا يـأكل العديـد مـن الأجانـب سـوى الطعـام منتهـي الصلاحيـة الـذي تتركه المحـلات التجاريـة عنـد أبوابهـا الخلفـي كل ليلـة، وقـد أخبرتنـي جـان عـن سـائح ألمـاني أصيـب بنوبـة قلبيـة خفيفـة بعـد حصولـه عـلى شـيك لكوبَيْن مـن الكوكتيـل في فنـدقٍ عـصريٍّ بوسـط المدينـة.

أقـول دائمًـا إن "أفضـل بلـد في العـالم" يجـب أن يكـون مثـل أفضـل ملهـى ليـلي: يجـب أن يكـون أغـلى ملهـى.

وفقًـا لقواعـد العـلاج، لا يُسـمح لي بالخـروج ليلًا. لا يسـمح لي تورتشـور حتـى بـأيِّ كُتُـبٍ بخـلاف الكتـاب المقـدَّس، ولا يُسـمَح لي مُطلَقًـا بإلقـاء نظـرة عـلى أقـراص دي ڤـي دي أو تصفُّـح الإنترنـت. لذلـك، بـصرف النظـر

عـن القصائـد السـمراء القصـيرة التـي تلاهـا بالاتـوف (أعتقـد أن أوبـرا[1] في الحـمّام... إنهـا بارعـة) فالكتـاب المُقـدَّس هـو الترفيـه الوحيـد.

لم أحـب القـراءة أبـدًا، ومـع ذلـك قـرأتُ روايتـين أو ثـلاث روايـات عندمـا جعلنـي ديـكان أتجـوَّل في الولايـات المتحـدة، وأقـوم بعمليـة في كل مدينـة. لا يمكـن الاكتفـاء في تلـك الأيـام الطويلـة في الفنـدق بعامـلات الجنـس الهاتفـي فقـط.

لذلك أمضيت لياليَّ البيضاء الطويلة مع الكتاب الأسود الكبير.

بالطبـع يوجـد تلفزيـون صغـير في المطبـخ، ولكـن كل البرامـج أيسـلندية -بعـض الحُلْـوات الشـقراوات كالزُّبـدة يقـرأن أخبـار البلـدة الصغـيرة، يليهـا حمقـى أمريـكان يأكلـون الديـدان الحيَّـة- بالإضافـة إلى أن بالاتـوف يحتكـره، فبـدلًا مـن مشـاهدة التلفزيـون يحرسـه كـما لـو كان خزنـة. يشـتم كلَّ عنـوانٍ فرعـي يظهـر عـلى الشاشـة، وهـو يهـرش إبطيـه الأشـبه بمكـبِّرات صـوتٍ تنبعـث منهـما رائحـة. (إذا كان يعمـل بالفعـل مـع المباحـث الفيدراليـة، فهـذا أفضـل تمويـه في تاريـخ المكتـب. تمويـه بعيـد تمامًـا عـن تسريحـات مايـكل كيتـون).

يجـب أن أُلـزِم نفسـي حقًّـا بالعهـد القديـم اللعـين. تعرَّفـتُ عـلى بعـض القصـص الجميلـة وكل شيء، ولكـن معظمهـا مُجـرَّد حماقـات مؤيِّـدة لإسرائيـل حـول الخلافـات القَبَليَّـة والصراعـات الحدوديـة.

كيـف هـذا وذاك، كيـف دفـع السـيد بـوش هـذا وذاك فلسـطين أو الفلسـطينيِّين عـن أرضهـم. يشـبه إلى حـدٍّ كبـير مـا لدينـا في الأخبـار التلفزيونيـة اليـوم. هـؤلاء الرجـال مـا زالـوا عالقـين في العهـد القديـم، يجـب عليهـم عـلى الأقـل أن يَطَّلِعـوا عـلى الجديـد.

(1) Oprah Gail Winfrey - المذيعة الأمريكية الشهيرة أوبرا وينفري.

لا بأس بيسوع، على الرغم من أنني أجد صعوبةً كبيرة في مفهوم تسليمه خطاياك وتحميله مسؤوليتها، أرى أنه أمر دنيء نوعًا ما. بالإضافة إلى أنه حتمًا مشغول. يشبه الأمر نقل القمامة إلى الكنيسة وتركها هناك بالقرب من المذبح. أو ربما تلك هي الفكرة وراء كل ذلك. الكنيسة كحاوية لإعادة التدوير، نوعًا ما لا يختلف الأمر عن النظام الموجود في زغرب ساموفار. هناك هذا الرجل، توميسلاف، المسمّى بـ "المُطهِّر"(1) والذي يأتي كلّما احتجناه لتنظيف خطايانا.

أعتقد أنه خطأ فادح أن يُظهر الله وجهه أو يده أو أيًّا كان ما رآه موسى على قِمَّة الجبل. كان يكتب حينها صكّ متاعب للمنطقة اللعينة بأكملها.

عشرة آلاف سنة من المتاعب.

إنها تُذكّرني بتلك المسرحية التي رأيتُها ذات مرة في المسرح الوطني الكرواتي في سبليت.

كانت سينيكا من كبار المعجَبات بالمسرح وجعلتني أحضر شتّى الأشياء المجنونة. إحدى تلك المسرحيات من بولندا، حيث كان المؤلّف جالسًا على خشبة المسرح أثناء الأداء، وكان طوال الوقت يصرخ بتعليماته للمُمثّلين. أعتقد أنها كانت المرة الأولى التي أفكّر فيها في قتل شخص ما.

لا يمكنك تغيير مسرحية سخيفة بعد ارتفاع الستارة.

وينطبق هذا على الله أيضًا.

لم أعتقد أبدًا أن قراءة الكتاب المقدس قد تثير الغضب. ولكن ربما كان من المفترض أن تفعل. على الأقل عندما تفكر في تورتشور. أعتقد أن الألوهية مثل الكحول. كلّما تَعمَّقتُ في ذلك؛ كلّما تَساءَلتُ

---

(1) The Cleaner: بمعنى قاتل.

أكثر عمًّا إذا كانت فكرةً جيِّدةً من الأساس. كلما كان بلدك أكثر تَديُّنًا؛ زادت احتمالية اندلاع الحرب. على الأقل لم يُظهر اللهُ وجهه في أيسلندا. أخبرني أوليه أنه لم يخلقها من الأساس. لا عجب أنها أكثر دولة سِلميّة في العالم.

"اعتقدتُ أنكم وُلِدتم جميعًا من جديد؟" أسأله في اليوم التالي.

"حسنًا، الله صديق سامي. لقد أعانه كثيرًا. حتى إنه أخرجه بكفالة من السجن، وأقرضه بعض المال لبدء هذه الشركة وكل شيء"، كما يقول بابتسامةٍ، بينما يُخرِجُ ساقَ حَمَلٍ من الثلاجة. "ولكن بالنسبة لي، لا أعرف، بعد أن قتلتُ هذا الرجل، أصبح كل شيء بالنسبة لي مجرَّد..." توقَّف مُؤقَّتًا أثناء بحثه عن الكلمة الصحيحة، ثم هزَّ رأسه ووضع ساقه على منضدة العمل "... لحم".

"لحم؟".

"نعم. أنا أحبُّ الحياة وكل ذلك، لكن كل ذلك مجرَّد لحوم بالنسبة لي".

"نعم".

"الحياة بسيطة للغاية. إمَّا لحمٌ مَيِّتٌ أو لحمٌ مُتحرِّك".

يلتقط سكِّينه، سكين مطبخه المفضَّل، إنه يتحدث إليها الآن. أنا مجرَّد مُتفرِّج، كل شيء يجري بين الرَّجُل والسِّكِّين.

شيان بعيدًا عن الحوض يغسل المقالي. ينخفض صوت أوليه، ويهتزُّ القرط الذهبي الصغير على خدِّه البارد.

"عندما ذبَحتُ هذا الرجل، كان الأمر... كان أشبهَ برؤية الله، أو شيء من هذا القبيل. رأيتُ... رأيتُ كيف هي الحياة، وأنها فقط...".

ينظر إلى الأعلى الآن وينظر إليَّ.

"كما تعلم، لقد مارسنا الحب بينما كان لا يزال على الأرض. كان الأمر جنونيًا حقًّا، لكنه كان مثل الله".

أعتقد أنني اخترت السلاح الخاطئ.

27
حَمَم الحُبّ

2006/06/25

أحاول أن أحافظ على حياتي البسيطة. بعد تجاوُزي الأخرق في نادي التَّعرّي، عُدتُ إلى المسار الصحيح. يتَّصِل بي الكاهن النافذ كلَّ يَومٍ ويتفقَّدني، ويعطيني المزيد من نصائح القراءة، ويدعوني إلى وجبة غداء رائعة يوم الأحد، والتي تضمُّ كل اللحوم التي يمكنك تناولها مع جودموندور وسيكريدر، إنهم جميعًا فخورون بي، ولا يمكنهم أن يرفعوا عيونهم عني، وينظرون إليّ نظرةَ مُزارِعٍ إلى فحله الواعد. أنا خنزيرٌ من غينيا، لقد تحوَّل الفأر الأسود إلى الأبيض. تورتشور وأبناء هانا، فتاة صامتة وصبيَّان صغيران بعيون كبيرة، ينظرون إليّ مثل ديڤيد بيكهام الكهنوتي.

أحـاول أن أبتسـم مثـل الأبلـه المولـود مـن جديـد. حتـى إنني حَلَقـتُ عـن قُـربٍ وأصبَحَـت لي قَصَّـة شَـعْرٍ قصـيرة قامـت بهـا هانـا. إذا كنـت أرتـدي ربطـة عنـق وأحمـل كتابًـا مقدَّسًـا، فلـن يفتـح لي أحـدٌ بابـه.

تقـول سـيكريدر: "إنـه لأمـر رائـع أن تعـرف أنـك تعمـل وأن لديـك مكانًـا خاصًّـا بـك وكل شيء".

يجب أن أدعوها لإعطائي نصائح في الديكور.

"نعم. سيكون بخير، إنه رجُلٌ طيِّب" تقول هانا.

أرسـم ابتسـامة جديـدة. ينظـر إليهـا الآخـرون في مفاجـأة صامتـة، ربمـا تجـاوَزَت حدودهـا. تضيـف بسرعـة وتلتفـت إليَّ:

"أعنـي، أنـتَ فقـط لم تكـن محظوظًـا، لـو كنـتَ وُلِدتَ هنـا في أيسـلندا لَـمَا رأيـتَ الحـرب أبـدًا و... أنـتَ رَجُـلٌ جديـد الآن. نأمـل فقـط ألَّا يعـثر الأمريـكان عليـك".

كلهم يغمغمون موافقين على ما قيل، وأنا أؤكِّد لهم:

"أظنُّ ذلك، مع جواز سفري الأيسلندي، سأكون بخير".

مرة أخرى جولة من الإيماءات.

"نعـم، لم يَمُـت الأب فرينـدلي عبثًـا" أعلـن تورتشـور، واضعًـا يـده الثقيلـة عـلى كتفـي.

يصعـب فهـم العبـارة للغايـة عـلى جودمونـدور. تَعيَّن عـلى صديقـه أن يـشرح عبـارة "عبثًـا"، فظهـرت العبـارة الأبسـط:

"نعم، لقد مات من أجل خطايا تومي!".

هـا أنـتَ ذا. حصـل السـيد المسـيح عـلى إجـازة وحـل مكانـه السـيد فرينـدلي. عليـك أن تحـب هـذا الدِّيـن وحسـب. تقـوم أوَّلًا بإطـلاق النـار عـلى 125 شـخصًا، وبمجـرَّد أن يبـدأ ضمـيرك في التدهـور (عنـد حـوالي رقـم

124) كل ما عليك فِعلُهُ هو العثور على شخص مُقدَّس بدرجة كافية لتحمل خطاياك.

ثم تطلق النار عليه فقط، وبانج! ينطلق معهم إلى الجنة.

لن تضطرَّ أبدًا إلى رؤيتها أو التفكير فيها مرَّةً أخرى.

لقد اعتَدتُ ببُطءٍ على اسمي الجديد. لا تزال جان تستخدم تود بالرغم من ذلك، إنها تتصل كثيرًا. وأجيب فقط على نصف مكالماتها. الزفاف أمرٌ لا مفرَّ منه، على ما أعتقد، لكن في الوقت الحالي أحاول إبعادها. أنا لستُ مُستعدًا بعد، أحتاج إلى إخراج مونيتا من عقلي وجسدي، أو من ثلاجتي على الأقل (أحيانًا أرى رأسها هناك، بين رسوم الحليب الكرتونية المحلية ووحش السَّلامي البولندي). لستُ متأكدًا كذلك من والديها. إن إنقاذ حياتي شيء، لكن منحي ابنتهم شيء آخر تمامًا. الأهم من ذلك كله أنني بحاجة لإنهاء هذا العلاج اللعين.

تدعو فتاة الجليد نفسها بانتظام للزيارة، لكني أؤكِّد لها ألَّا امرأة وَطِئَت هذا المكان على الإطلاق، وأن مشهد الجمال المحلي سيؤدِّي بلا شك إلى أعمال شغب في الثكنات. سيقتحم آل ياروسلاف جميعًا غرفتي وينشغلون بجان، ويطلبوا مني حمل الكاميرا.

لكن محاولة كبح الحب تشبه محاولة كبح الحُمَم البركانية.

تشغيل الحُمَم. ذات يوم، عند عودتي من العمل، أجد فتاة مسلسل "داي بريك" جالسةً في المطبخ مع جَبَل المَرَح البلغاري. أتساءل عمَّا يتحدَّثان عنه. لا بُدَّ أنه يسألها ما إذا كان أيٌّ من عُشَّاقها الأربعين أسود. أنا مندهش لأنها لم تتعرَّض للاغتصاب بعد. لا بُدَّ وأنها شديدة البَياض بالنسبة له.

"قلت لكِ لا يجب أن تأتي إلى هنا. أنتِ مثل حَمَلٍ في عرين الأسد هنا" أهمس لها بينما نعود إلى زنزانتي.

"حسنًا، لم ترغب في القدوم لرؤيتي؛ لذلك كان عليَّ أن آتي لرؤيتك" تقول بابتسامة شديدة البرودة، لكنها تبدو جنسيّةً بشكلٍ عَرَضيٍّ، أو عارِضَة بشكلٍ جنسيٍّ، اعتمادًا على أيِّهما أفضل في اللغة الانجليزية.

"هذا الرجل خطيرٌ. إنه وحيدٌ للغاية إنه مثل الثقب الأسود، يمكنه أن يبتلعك في لحظة، عمَّ تحدَّثتما؟".

"لا شيء حقًّا. كان يخبرني فقط عن مزرعة عائلته، أن والدته تصنع المُربَّات بنفسها، وأنه اعتاد قطف التُّوت بنفسه أو أيًّا كان".

إذًا فهو جامِعُ توتٍ أيضًا. أعظم تمويهٍ لا يزال يتحسَّن. ندخل إلى مساحتي فيختفي الكلام لمدَّة أربعين دقيقة. لهذا الإجراء؛ يجب أن أقوم بإخراج الفوتون من قاعدته الصخرية. نحاول أيضًا الحفاظ على أصوات أجسادنا منخفضة؛ لأن جدران غرفتي -كما ذكرنا سابقًا- لا تبلغ السقف. (تُذكِّرني الزنزانة أحيانًا بمرحاض كبير) لا أريد المخاطرة بأن ينتهي بي المطاف في القسم الجنسي لدماغ بالاتوف، حيث يتمُّ تخزيني بعيدًا على الرَّفِّ، مثل مُربًّى في جَرَّة، بجواره هو وباتي لابيل[1] في نهاية سيارتها الليموزين.

ثم نستلقي معًا على المرتبة السميكة، أنا وجان فتاتي الدافئة، ونشاهد أضواء النيون ونستمع إلى السيارات وهي تتحرَّك في موقف السيارات بالأسفل. حان وقت الإغلاق، وقد صُرِفَت فتيات اليوم الثالث في المتجر ذي البلاط الفاخر، وجنة الأثاث الهندية في الساحة قبل انتهاء يوم العمل. ليفتَحْن أقفال السيارة بريموتات سياراتهنَّ

(1) Batty labelle: مغنِّية أمريكية.

الصغيرة الأشبه بالمسدَّسات، أو يُقِلّهن أصدقاؤهنَّ الذين نَفَدَ صبرهم إذ يقودون سيارات بي إم دبليو السوداء.

"كيف تقول أيسلندا باللغة الأيسلندية؟".

"إزلاند".

"رائع. تبدو مثل جزيرة الراحة".

"نعم. لقد فَهِمتُ الأمر بشكل صحيح".

"لكن هذا لا يبدو صحيحًا. لا يبدو أنكم مرتاحون أبدًا".

"يمكنك أن تقول ذلك" تقول جانهيلدور. "نحن أُناسٌ نَفَدَ صبرهم. على سبيل المثال، لا نعرف كيف ننتظر في الطابور. نحن ننتظر دائمًا في مُثلَّث".

"لماذا؟".

"أعتقد أنه بسبب قِلَّة عددنا، لا نعرف كيف ننتظر لأننا لم نضطرَّ لذلك أبدًا".

"لكنني لا أفهم لماذا أنتِ كثيرة التَّذمُّر؟ لم أذهب أبدًا إلى بلد أكثر استرخاءً وهدوءًا".

"هذا أيضًا لأننا قليلون جدًّا. يحاول الجميع التصرُّف كما لو كانوا ثلاثة أشخاص مختلفين. نحن نبذل قصارى جهدنا لتبدو ريكيافيك مثل نيويورك".

"حسنًا... عليكم أن تبذلوا جهدًا أكبر بعد ذلك".

"أنا أبذل قصارى جهدي. في الصباح أنا نادِلةٌ، وفي فترة ما بعد الظهر أكون في المكتب، وفي المساء أدرس التدليك".

"أنتِ؟ تدليك؟".

"نعم، لقد بدأتُ للتَّوِّ الأسبوع الماضي".

أنـا عـلى وشـك أن أقـترح. نتحـدث عـن التدليـك لفـترة، وشرَحَـت لي الفـرق بـين التقنيـات السـويدية وتقنيـات شياتسـو، فشرحـتُ لهـا الفـرق بـين التدليـك العـادي والتدليـك الكامـل للجسـم. ثـم سـكتنا قليـلًا قبـل أن أقـول:

"نعم، لا أعتقد أنني أوَدُّ أن أصبح قاتِلًا مُحتَرِفًا في أيسلندا".

"لِمَ لا؟".

"لأنكم قليلون جدًّا. لا أعتقد أنني سأقوى على إطلاق النار".

إنهـا تضحـك ضحكتهـا المفعمـة بتبـغ الهاسـكي، وتتطـوَّر إلى سلسـلة مـن السُّـعال الصغـير الـذي يتـوق إلى سـيجارة.

"ولكـن لمـاذا أنتـم قليلـون جـدًّا؟ أعنـي ألَـمْ تخوضـوا أيَّ حـروب مـن قبـل؟".

"لا، لكـن البعـض يقـول إن الطقـس هـو حربنـا. يمكـن للجليـد أن يكـون مميتًـا مثـل النـار".

إن صِغَـر حجـم الأمـة الأيسـلندية يُفـسِّره المـاضي، كـما تقـول، وقـد مـلأت غرفتـي بدخـان الانفجـارات البركانيـة والأوبئـة والشـتاء البـارد المتجمِّـد لدرجـةٍ يمكنهـا أن تمحـي الأرض مـن شـعبها.

لم يبـدأ (الإيزلنديـون) حقًّـا في الازدهـار حتـى حصلـوا عـلى الكهربـاء والتدفئـة المركزيـة. زاد عددهـم في الخمسـين عامًـا الماضيـة بمقـدار 150.000. يقـارب هـذا عـدد الذيـن قُتِلـوا في حربنـا. كان بإمكاننـا حـلُّ المشـكلة بإرسـالهم جميعًـا إلى أيسـلندا، أرض يمكـن أن تسـع بسـهولة عـشرة أو عشريـن مليـون نَسَـمَة. لكـن مـا كان سيُسـمح لهـم جميعًـا بدخـول البـلاد أبـدًا بحسـب جانهيلـدور.

ينحنـي القاتـل أمـام زملائـه الرجـال الذيـن يُفضِّلـون رؤيـة النـاس يموتـون عـن السـماح لهـم بالتخييـم في مروجهـم.

نتحـدَّث عـن الحـرب وتُواصِـل جـان تدخـينَ سـيجارتها، ثـم تسـألني عـن أخـي داريـو.

"كم كان عمره عندما توفِّيَ؟".

"كان أكبرَ مني بثلاث سنوات. ثلاثة وعشرين".

"رائع. ما الذي كان يعجبه؟ هل كان مثلكَ؟".

"لا. لقـد كان بطلَنـا، الابـن المفضَّـل. لـقـد كان أكـثرَ لياقـةً، وكأنـه إلـهٌ يونـاني، وكان يمـارس الرياضـة و... كان في المنتخـب الوطنـي في القفـز بالزانـة".

"ما هذا؟".

"إنها قفزٌ على عصا. هل تعرفين سيرچي بوبكا؟".

"لا".

"لا؟ أعظـم ريـاضي في كل العصـور. الرجـل الأوكـراني. فـاز بالميداليـة الذهبيـة في سـيول. تـدَرَّب داريـو معـه لفـترة، كان بطلَـه الكبـير، وهـو أمـرٌ غريـب نوعًـا مـا. في نفـس الليلـة التـي قُتِـلَ فيهـا داريـو سـجَّل بوبـكا رقـمًا قياسـيًّا عالَميًّـا. حطَّـم الرقـم القيـاسي العالمـي الثـاني عـشر أو شيء مـن هذا القبيـل، سِـتَّة أو ثمانيـة أمتـار في إحـدى المـدن الروسـية. كان الأمـر كـما لـو أن روح أخـي سـاعدته، ورفعتـه بضـع بوصـات أخـرى. قفـز الـروح".

اللعنة. أشعر بعاطفة زائدة تجاه هذه الفتاة الجليدية.

"رائع... هذا مُذهِل. هل ذهب أخوك إلى دورة الألعاب الأوليمبية؟".

"لا. لكنه كان سيذهب إلى أتلانتا في ستة وتسعين، إذا...".

أفتح عينيَّ قدر استطاعتي، وأثبِّتهما حتى يَجِفَّا على أملِ ألَّا تلاحظ. لا. إنها فقط تُراقِبُ الدُّخان يتصاعد من فمها الخارق.

"رائع. إذًا كان بمثابة نجم؟".

"حسنًا، ربما لا. القفز بالزانة ليس بهذه الأهمية في كرواتيا. كان مثل شهابٍ أو شيء من هذا القبيل".

أبدو دائمًا كسيدة عجوز عرجاء عندما أتحدَّث عن أخي الميت؛ لذلك أنا لا أتحدَّث أبدًا.

"إذن لا بُدَّ أنه كان من الصعب عليك...".

"في الواقع، كان الأمر غريبًا نوعًا ما. موت أخي خَدَّر حقيقةَ أنني قَتَلتُ والدي، والدنا".

"لماذا؟ كيف؟".

"يبدو الأمر كما لو أنَّك أشعلت النار في منزلك عن طريق الخطأ؛ فهذا يُهدِّئ بعض الشيء، أو يجعل الأمر أقلَّ سوءًا، أن ترى منزل جارك يحترق أيضًا".

"لكنَّ أخاك أهم بالنسبة لك من منزل جارك القبيح؟".

"بالطبع بكل تأكيد. أو بوسعِكِ أن تقولي إن ما حدث مع أبي منعني من الضربة التي كان من الممكن أن تتسبَّب بها وفاة أخي. لا يمكنك الحصول على اثنين من أ.ل.ع في حياتك".

"أ.ل.ع؟".

"أسوأ لحظة على الإطلاق".

"آها. إذًا لم يكن مقتل حبيبتِكَ وحادث الطريق الخاص بك مُروِّعًا؟".

"لا، لكن حين رفضتِني لأنَّكِ ظننتِ أنني كاهن... كان ذلك فظيعًا جدًّا".

تبتسم قبل أن تقول:

"ولكن بعد ذلك اكتشفتُ أنَّكَ قاتِلٌ مُتَسلسِلٌ ووَقَعتُ في حُبِّكَ".

تضحك. أحتفظ بكلمة "حب" بين أذني، وأدع عقلي يداعبها مثل جروٍ حديث الولادة.

أقول "أنتِ مريضة".

"نعم. الحب مَرضٌ" تقول بينما تطفئ سيجارتها في نصف زجاجة جاتوريد الفارغة على الأرض بجانب الأريكة وتمسك بوجهي. أبتَسِمُ ابتسامتي المكسورة، تضع سبّابتها على فمي وتستبدل السِّنَّ المفقودة بطرفه. العين بالعين والإصبع بالسِّنّ. تُبقي إصبعها هناك لفترة وتبتسم، قبل أن تُزيلَها لتُقبِّلَني.

قبَّلَتني كفتاةِ جزيرةٍ وجَدَت حُطام سفينة بَشِعًا على الشاطئ. إنه مُصابٌ بكدمات ومضروب، ووجهه مثل سمك السَّلمون الأحمر من حروق الشمس المالِحَة، وصلب مثل قطعة ضخمة من اللحم، وبالكاد يستطيع تحريك لسانه. لكنها تساعده.

يصيح لينون[1] في أذنَيْ جان بصوت عالٍ إذ يغني أغنية قديمة للبيتلز. تلك الأغنية عن مُسدَّس دافئ[2].



(1) John Lennon مغني إنجليزي شهير.

(2) يقصد أغنية Happiness is a warm gun

28

سَريرٌ من الورود
سَريرٌ من الطَّحالِب

2006/08/5 - 2006/06/25

وفقًا للتقليد المحلي، يستمرُّ الصيف الأيسلندي ستَّةَ أسابيع فقط. من نهاية الأسبوع الأخيرة في يونيو حتى الأول في أغسطس. يُقال أيضًا إنَّ هذا هو الوقت الذي يستغرقه الوقوع في الحب. المشكلة الوحيدة هي أنه خلال هذه الفترة أضاء البلد الجليدي مثل حديقة ماديسون سكوير في مباراة نيكس، طوال أيام الأسبوع، لا ظلال ولا زوايا مُظلِمة. يستحيل إخفاء أي شيء مثل سيارة أو قُبلة.

فضَّلنا ألَّا تأتي جان إلى الفندق مرة أخرى. لم نشأ إقحام والديها في الأمر حتى نُحدِّد موعدًا. عُمَّال المتاجر ليسوا هم المشكلة، لكن قد يكون بالاتوف كذلك، وبالتأكيد جود ني. لكن فتاتي العبقرية تجد طريقة. علمت أن إحدى صديقاتها تعمل بالفعل في ماهابهاراتا،

متجر الأثاث الهندي أمام ساحة انتظار السيارات. كلُّ ما عليَّ فِعلُه هو أن أتسلَّل في منتصف الليل وأتجوَّل في منطقتنا المهجورة، وألقي التحية على فريق طيور النورس المسؤولة عن الحفاظ على نظافتها، قبل أن ينتهي بي المطاف عند الباب الخلفي للمتجر الهندي، حيث تنتظرني جان في سيارتها الفابيا الحمراء الصغيرة، وقد أنهت لتوِّها دروس التدليك أو ليلة في نادي مُعجَبي تارانتينو. لديها المفتاح وكذلك رمز الأمان الذي تكتبه في الشيء الموجود على الحائط بجوار المدخل.

نشقُّ طريقنا عبر المكتب ونخرج إلى المتجر. عُرِضَت في الخلف ثلاثة أسِرَّة ذات حجم كبير، كلها مصنوعة في الهند بواسطة نجَّار يبلغ من العمر اثني عشر عامًا. لقد جرَّبناها جميعًا، لكن الفِراش الموجود خلف فاصل غرفة كاما سوترا[1] هو الأكثر أمانًا. لا يمكن رؤيته من النافذة المُشرِقة بشدَّة بسبب الإضاءة القادمة من الخارج. في النهاية تمكَّنَّا من العثور على زاوية شبه مُظلِمة في الأرض المشرقة الساطعة. وإذ يَصِرُّ العمل اليدوي الهندوسي، يمكنني تكريم ذكرى حُبِّي الضائع. لقد تحمَّل الفِراشُ كُلَّ الجمباز المُذهِل الذي قمنا به. هؤلاء الأطفال الهنود يُتقِنون حرفتهم حقًّا.

لا بُدَّ أن تعتبر ليالينا في ماهابهاراتا واحدة من أفضل منتجات العولمة. يحتفل الكرواتي بصيفه الهندي في أيسلندا مع الشمبانيا الفرنسية والسوشي الياباني وموسيقى تايلاندية باسِطَة للعَضَلات.

(أحضرت جان كل هذا، وجلَبَت الموسيقى من فصلها). الواقي الذكري من مانشستر بانجلترا، والسجائر من ريتشموند بڤيرچينيا، مسقط رأس أبينا فريندلي. لا، إنها لا تُدخِّن داخل المحل، وعلينا أن نحرص على عدم ترك أيِّ بُقَعٍ أو حمَّالات الصدر.

(1) Kamasutra: تعني في اللغة السنسكريتية 'أصول الحب' وهو نص هندوسي قديم عن الجنس والحب.

شيئًا فشيئًا تمكّنت جان من نقل بقية أغراض مونيتا (بما في ذلك الرأس) من عقلي وإعادة ترتيبها بنفسها.

سجاجيد ومصابيح هندية. وشيئًا فشيئًا يتحوّل صيف الجنس إلى صيف آخر. تضيف السريةُ بُعدًا أعمق للأمر، وأنا أحاول كلّ ما بوسعي لأذيب جيدسا، بينما تُحوّل ألاعيبها الجسدية، التي تعلّمَتها حديثًا، دمي بسهولة إلى حُمَمٍ بركانية. يمكن أن أموت سعيدًا وأُدفَن في التربة الأيسلندية مع علامةٍ مُميِّزة: تومي أولافس، منظِّف صحون (1971 -2007).

في نهاية كل جلسة، ترشُّ جان السرير بنكهة هنديّةٍ ما عثَرَت عليها في المكتب. بحلول نهاية الشهر، تنبعث منه رائحة أفضل بيت دَعارة صغير في بومباي.

تقول: "لا بأس حقًّا... لا أحد يشتري أسِرّة خلال الصيف".

"لما لا؟".

"إنهم مشغولون جدًّا باستخدام القديمة".

من الواضح أن الأيسلنديين هم شعب مختلف خلال الموسم المشرِق. يتوقّفون عن فِعل الأشياء التي اعتادوا القيام بها في فصل الشتاء، مثل مشاهدة التلفزيون وارتداء الملابس والاستحمام. حتى وقت قريب تمَّ إغلاق التلفزيون في يوليو. الصيف قصيرٌ جدًّا لدرجة أن الناس بحاجَةٍ حقًّا إلى التركيز عليه. إذا وصَلَت درجة الحرارة إلى خمس عشرة درجة مئوية (يحدث ثلاث مرّات في السنة)، تُغلِق جميع المتاجر والبنوك بعد دقيقتين؛ حتى يتمكّن الموظّفون من الخروج والاستمتاع بموجة الحَرّ.

تشرح جان أن هذا يُسمّى "عطلة الشمس". عليك أن تشفق على هؤلاء الناس. تلك الأسابيع السِّتّة لا تُعتَبر صيفًا في أي مكان آخر. "أرض

الدَّرجات العشر" ليست مَزحةً، متوسِّط درجة الحرارة في يوليو هو بالضبط ذلك. الصيف الأيسلندي يشبه الثلَّاجة التي تتركها مفتوحة لمدة ستة أسابيع، النور مُضاء وكل الجليد يذوب بعيدًا، لكن لا يمكن أبدًا أن يصبح دافئًا حقًّا؛ ففي النهاية هي مُجرَّد ثلَّاجة.

ولكن في إحدى ليالي السبت في أوائل أغسطس، اختفت كلُّ الأسِرَّة من المتجر. هاتَفَت جان صديقتها، فأوضحت أنهم يستعدُّون للخريف، خطُّ إنتاج الكارما اللذيذة من المصنع الابتدائي في بومباي، لا بُدَّ أن يصل في أيِّ يومٍ الآن. نخرق قواعد تورتشور، وتأخذني في جولة خارج المدينة.

إنها ليلة جميلة، تشارك غروبَ الشمس الذهبي عبر الخليج سُحُبٌ مُذهِلة في الغرب، وقد ذهَبَت كلُّ الرياح في الخارج لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. نتَّجِه شَرقًا فأشعر وكأني خارج من السجن. أخيرًا رأيتُ شيئًا آخر غير بالاتوف وخطِّ الحافلات 24 وأوليه المُخبِر والأثاث الهندي. يأخذنا الطريق عبر المنزل السابق لكاتب ميِّتٍ شهير. يبدو أن هذا هو المنزل الوحيد في أيسلندا الذي يحتوي على حوض سباحة. تشرح جان أن ذلك كان جزءًا من جائزة نوبل التي حصل عليها، على الرغم من أنه كان عليه توفير المياه بنفسه. إنه مُتحَفٌ الآن، يمكنك أن ترى الماء الذي سبح فيه، على أمل أن يراقب فيه عبقريته، على ما أعتقد.

إنها تأخُذُني إلى أشهر مكان في الأرض، وادي ثينج، موقع أول برلمان في الهواء الطَّلق في العالم. في الواقع، لا أعتقد أنه هناك أي مكان يشبهه.

لكن في منتصف الطريق، أدركنا أن سيارتنا التشيكية ينقصها الوقود؛ فقرَّرنا بدلًا من ذلك التوقُّف والذهاب في نزهة صغيرة إلى حديقة القمر. جلسنا هناك على سريرٍ من الطحالب الرمادية الصُّلبة.

لسوء الحظ، لا توجد أشجارٌ ولا فواصل الغُرَف الهندية لإيواء لعبة الحبّ الساخنة بعيدًا عن حركة المرور الصغيرة المتواصلة. بالإضافة إلى أن درجة الحرارة مناسبة أكثر لمباراة هوكي جليد. نكتفي بقُبلَةٍ ورشفة من بيرة كالدي، مستمتعين بسيارتنا الحمراء الصغيرة المتوقِّفة على جانب الطريق، محاطة بجبل أزرق غامق تحت سحابة وردية وحيدة. وفوقها السماء بيضاء تقريبًا. نوعٌ من الطيور ذو منقار طويل يمشي ويُحلِّق ثم يمشي من حولنا، على مسافةٍ يعتبِرُها آمِنَةً (على الأقل من منظور جان)، بينما يصرخ بصوتٍ عالٍ. يبدو أننا في فِناء منزله الخلفي.

تصبح المحادثة جادَّةً بعض الشيء، كما ينبغي حسبما أعتقد، عندما تنتهي أغلبُ المُضاجَعة.

"إذن، هل تعتقد أنه يمكنك العيش في أيسلندا؟" سألتني.

"حسنًا، أعتقد أنني مُضطَرٌّ إلى ذلك".

صمت يتخلَّله صراخ الطير.

"إذن، هذا هو السبب الوحيد؟".

"لا. لست أدري".

تنظر إليَّ. تشبه عيناها من أثر شراب جاتوريد الينابيع الساخنة ذات اللون الأزرق والأخضر في الحقل الصخري الذي يحيط بنا، تمامًا كالذي رأيته في صور المجلة على متن الطائرة وأنا في طريقي إلى هنا.

ما زالت تنظر إليَّ. هل تريد حقًّا أن تُضيِّع حياتها على نفايات توكسيك؟

"هل ترغبين أن أفعل هذا؟" أخيرًا أكمل.

"لا أعرف، أنا فقط أسألك".

تُخرِج سيجارة لكنها تسقط من يديها المرتَعِشَتَيْن. تلتقطها وتضعها بين شفتَيْها المؤخَّرة، وتُشعِلها.

"أعني، أعتقد أنه عليَّ ذلك. في الوقت الحاضر" أقول.

"في الوقت الحاضر؟".

تخرج كلماتها مع الكثير من الدخان. في الواقع، الرائحة لطيفة نوعًا ما، هنا في الهواء البارد الهَشّ.

"نعم، أعني...".

"هل أحببتَها؟".

"أيسلندا؟ بالطبع. أقصد كيف لا يعجب المرء بها؟" أسأل بالتلميح المناسب لأي قصّةِ حُبٍّ قمرية.

"لكنك لا تريد أن تعيش هنا؟".

"تعنين للأبد؟".

أومَأت برأسها. تظهر شَقَّتي في شارع ووستر وسبرنج في ومضة، وشاشتي المُسطَّحة مليئة بمباريات نادي هاجدوك، ومطعم الشواء في الشارع، ومُسدَّس هيكلر وكوخ الأسود الجميل الذي أحتفظ به تحت البلاط في زاوية حمَّامي. أعصر يدي اليمنى باليد اليسرى بينما أغمغم:

"لا أعرف، لم أفكر في ذلك حقًّا".

وقَفَت على قدميها، تارِكةً نصف زجاجة بيرة فارغة ملقاة في الطُّحلب، لتتجه نحو السيارة.

"إيه!" أقول.

أمسَـكتُ بهـا إذ تتسـلّق جانـب الطريـق وفي يـدي زجاجتـي بـيرة. يسـتخدم الطائـر جناحيـه ليهـرع نحـو بِركّـةٍ صغـيرة عـلى الجانـب الآخـر مـن الطريـق. يبـدو أنـه اسـتأجر المنطقـة اللعينـة بأكملهـا.

"جان.. ماذا جرى؟".

كانـت عيناهـا مبلّلتـيْن عندمـا اسـتدارت، إذ نقـف عـلى جانـب الطريق بجانب السـيارة.

"ألم تفكر في ذلك؟" تسأل.

"لا، أعني عليك التفكير في وضعي. أنا أعيش كل يوم على حِدة".

"مـاذا عـن حالتـي؟" تقـول بـشيءٍ مـن الحـدة، ثـم تسـحب نَفَسًـا سريعًـا مـن سـيجارتها التـي احـترق نصفهـا بشـفاه مرتجفـة.

ليـس لـديَّ مـا أقولـه. لم أكـن أعـرف أن هـذه الفتـاة يمكـن أن تبـكي. عـاد الطائـر يـصرخ فينـا، في وجهـي.

"أنا آسف... جانهيلدر... جان".

"برأيِك، كيف ترى ما يجري بيننا؟".

"أنتِ وأنا؟ لقد كان الصيف الأكثر سخونة في حياتي".

ترتجف كتفاي من البرد.

"حقًّا؟".

"نعم. أفضل صيف مَرَرتُ به...".

"ما الأمر إذن؟ أما زِلتَ غيرَ مُتأكِّد؟".

"أعني، جان... أنتِ فتاة لطيفة، وأنا...".

"أنت رَجُلٌ رائع".

أنا؟

"أنتَ رَجُلٌ رائع لعين. والآن أنت تخبرني أن...".

تعجز عن إنهاء الجملة، فقط سيجارتها هي ما انتهت، وقد رمتها بعيدًا قبل أن تمشي نحو مقعد السائق في السيارة.

"إذن هل تريدين...؟" أحاول أن أقول.

"نعم!" تصرخ وتفتح السيارة وتدخل وتغلق الباب.

لقد تُرِكتُ واقفًا وحدي بين السيارة وأيسلندا، مُمسِكًا بزجاجتَيْ بيرة نصف فارغتين. يبدو أنها جادَّة بشأننا،

هل أنا كذلك؟

تقترب سيارة جيب حديثة الطراز من الشرق. تبطئ أثناء مرورها، أواجه اثنين من الطِّليان في الخمسينيات من العمر. يبدوان كعاشيق بشعرين رماديَّين، وسُمرَة شديدة، يرتديان سُترتين واقيتين زرقاوين داكنتين فوق قَميصَيْ بولو أصفرين. الوغدان السعيدان حتى الموت، إنهما يبتسمان بشدَّة، لدرجة أنك تضطرُّ إلى الشَّك في أن أول برلمان في الهواء الطلق لا بُدَّ وأنه يستضيف مهرجانًا للجنس الجماعي لكبار السِّنِّ في نهاية هذا الأسبوع. تلفُّ المرأة الجالسة في مقعد الراكب ذراعها حول شريكها الذي يشبه -بعد تفكيرٍ في الأمر- قاتِلًا مُحترفًا مُتقاعِدًا.

29
مَعارِفُ من كاوناس

2006/08/6

نعـود في صمـتٍ. حتـى الراديـو هـادئ. نظـرت مـن النافـذة وأنـا أفكِّـر في حقيبتَـيْ نيويـورك اللتـين كانتـا تـدوران الآن في دائـرة الأمتعـة في زغـرب لمـدة ثمانـين يومًـا عـلى التـوالي.

انتهـى غـروب الشـمس في منتصـف الليـل تقريبًـا، لكـن ظلَّـت بعـض السُّـحُب تتوهَّـج باللـون الأحمـر في الأفـق، وتحـوم مثـل قطيـع مـن المناطيـد فـوق النهـر الجليـدي الـذي يعـبر شـبه جزيـرة تُسـمَّى "عـشُّ الثلـوج المتسـاقطة" أو شيء كهـذا. تنبسـط أمامنـا مدينـة ريكيافيـك مثـل سـيدة يائسـة تتوسَّـل إليَّ أن أُحِبَّهـا. تُذَكِّـركَ نوعًـا مـا بلـوس أنجلـوس في الليـل: منبسـطة وواسـعة ومليئـة بالأضـواء. بـرج الكنيسـة، التـي تحمـل اسـمًا شـديد الصعوبـة، عـلى التَّـلِّ في وسـط المدينـة هـو الـشيء الوحيـد

الـذي يرتفـع فـوق الأفـق، وهـو قضيـبٌ اصطناعـي مُظلِـمٌ في وجـه السَّـماء الورديـة.

اقتحَمَـت جـان الحـيَّ الـذي أسـكن فيـه والـذي تمـلأه متاجـر أثـاث ومُخيَّـمات لاجئـين، وأوقَفَـت السـيارة عنـد حـارة مروريـة فارغـة بالقُـرب مـن زنزانتـي. أقـول لهـا إننـي سـأتَّصِل بهـا. تجيـب بإخفـاء شـفتيها داخـل فمهـا. فتبـدو أشـبه بوالدتهـا.

إنها حوالي الثالثة صباحًا عندما أسجِّل وصولي إلى الفندق.

ينـام عُـمَّال المتاجـر بسرعـة، كأحذيتهـم ذات المقدِّمـة الفولاذيـة المُتَّسـخة في الجـزء العلـوي مـن الـدَّرَج. سـمِعتُ في نهايـة الرَّدهـة دَويَّ التليفزيـون الخافـت. بالاتـوف في المطبـخ يجلـس عـلى الطاولـة، مرتديًـا سروالـه الداخـلي الضخـم وقميصـه الداخـلي الأبيـض، بالإضافـة إلى زوج مـن الجـوارب السـوداء. إنـه مُشـعِرٌ مثـل الغوريـلا.

مـن الصعـب حتـى أن نُميِّـز النقطـة التـي تنتهـي فيهـا جواربـه ويبـدأ شَـعرُ السـاق. سـيحتاج إلى حمولـة شـاحنة "كريـم التوفـير" لحلاقة الجسـم بالكامـل. عـلى الشاشـة مُمثِّـلٌ غبـيٌّ يتظاهـر بأنـه مُسـلَّح، يحمـل سـلاحه مثـل أحـد الهـواة، ويشـبه إلى حَـدٍّ كبـيرٍ البابـا إذ يحمـل مكبسًـا.

"اللعنـة... ليلـة بيضـاء. أريـد الأسـود"، يتمتـم الصَّـوت بـين كتفـين مُشـعِرتين.

للمـرة الأولى منـذ لقائـه أكاد لا أكرهـه. أشرب بـيرة مـن الثلاجـة وأنضـمُّ إليـه عـلى طاولـة المطبـخ. أحتـاج صديقًا.

"ماذا عن الفتيات الأيسلنديات؟ ألَا تحبُّهم؟" سألته.

"لا توجد فتاة أيسلندية في نادي جراني".

لدى الصديق الجديد حدود.

نشاهد التلفاز لبعض الوقت، واحد من أفلام "قف مكانك!" أعتقد أن كل فيلم تَمَّ إنتاجه على هذا الكوكب لديه شخصٌ مثلي كشخصيَّة رئيسية، أو أن الشخصية الرئيسية تقضي الفيلم اللعين بأكمله في ملاحقة رَجُلٍ مثلي، وتنجح دائمًا قبل ارتفاعِ تتر النهاية كالأرواح من قبر الرَّجُل الشرير.

القاتل عضو المافيا هو أحد أشهر أبطال عصرنا. إذن لماذا لا أستطيع أن أعيش مثل الممثِّل الذي يلعب دوري، في قصر بهوليوود مع حوض سباحة حائز على جائزة نوبل تحاوطه أشجار نخيل؟ وحفنة من الخَدَم يتجادلون باللغة الإسبانية في المطبخ، ومجموعة من المشهورات الصَّغيرات بأثداء كبيرة الحجم يتأوَّهن خارج بابِ منزلي، مُتعطِّشاتٍ لممارسة الجنس". اللعنة، يجب أن أحصل على كل ذلك بدلًا من التباطؤ هنا في القطب الشمالي في أي مكان آخر، مُنظِّف صحونٍ وُلِدَ من جديد باسمٍ قبيح وحبيبة جامحة، يحتسي البيرة البولندية المسروقة ويناقش الفلسفة مع حفيد كينج كونج.

"ما رأيك في أفلام المافيا التي كتبها بعض الجُبَناء الذين ينتشون على لاتيه الصويا؟ أطفال الحَرَم الجامعي الذين لم يسبق لهم حَلْقُ لِحاهم ولم يَرَوا سلاحًا في حياتهم؟".

"ما هو؟".

"عذرًا".

نعود إلى الفيلم ويقوم بالاتوف بجولة من السِّباب البلغاري.

الجزء الخاص بنا من العالم هو الموطِن الحقيقي لِلُّغة النَّابية. تُحطِّم كرواتيا الرقم القياسي العالمي في الشتائم. أنا على وشك أن أرُدَّ عليه فقط بـ "يبدو أنك قد ضاجَعتَ قنفذًا لتَوِّك!" أو: "لقد ضاجَعتَ جُثَّة والِدَتِكَ المتعفِّنة في الحفرة حيث اعتاد أن يكون فيها ثديها الأيسر!".

ثم قال الوغد فجأة: "فتاتك جيِّدة".

"فتاتي؟".

"أراكَ أنتَ وفتاة في المتجر" يقول بأقذر ابتسامةٍ وإبهام مُشعِر للغاية "جيد".

"تقصد...".

"أراك تُمارِس الجنس في المتجر. هي ابنة القسّ صحيح؟".

ها أنتَ ذا. لقد كان يتجسّس عليَّ إذن؛ فهو يعمل لصالح مكتب العَجَزة اللعين.

"فلماذا لا تتصل بهم؟ لماذا لا تعتقلني بعد ذلك؟ ".

"ما هو؟".

لا. بعد استجوابٍ سريع، يجب أن أستنتج أنه ليس عميلًا سرِّيًا، إنه حقًّا غبيٌّ للغاية. ولكن في النهاية ماذا يفعل هنا؟ لماذا بحقِّ الجحيم يقيم في هذا البلد الرهيب من الليالي المشمسة واللغات الأجنبية طالما يكرهها على هذا النحو؟

"أعمل في بناء المساكن... أنا لا أجْر. أنتظر المال".

بالطبع من الممكن أن يكون هذا الرجل عبقريًّا يتصرّف بغباء، وأنه بالفعل مُتخفٍّ. ولكن حينها سيكون التَّخفِّي سميكًا لدرجة أنه لن يتمكّن أبدًا من الحصول على أيِّ معلومات.

في اليوم التالي، استيقظنا من صلاة الأحد البولندية المعتادة. بعض نبيذ المذبح وخطبة عن العُبوديَّة الحديثة في المجتمع الغربي. لكن سرعان ما طغت الضَّجَّة التي اندلَعَت في المعسكر الليتواني على المشاجرة الدَّسِمة. يستمرُّ الجدال الضخم حتى نهاية الطابق لمدة ساعة كاملة، حتى اندفع أحدهم للخارج، وأغلق الأبواب خلفه.

يتمتَّع جميع الليتوانيين على نحوٍ ما بنفس المظهر: شَعر داكن مستوٍ، ووجه شاحِبٌ مليء بالوحمات.

خارج زنزانتي، أخبرني بالاتوف أن لدينا رَجُلًا ميِّتًا في طابقنا. توفي الرجل الصغير الذي انضمَّ إلى مجتمعنا الصغير الأسبوع الماضي. بعد أن طار إلى هنا مع كيلوجرام من الكوكايين في معدته، أصيب بالإمساك. يقول بلاك بيرد إنه أمضى خمسة أيام مستلقيًا في الزنزانة أسفل الرَّدهة.

لم يستطع التَّغوُّط، حتى حين اعتمَدَت حياته على ذلك.

"رأيته. كان البطن كالبالون".

عرض بالاتوف مساعدته، كما يقول، لكنهم لم يقبلوها. لسببٍ ما، يبدو وكأنه يفكِّر بشدَّة في نفسه كلَّما تعلَّق الأمر بالأعمال الداخلية لجسم الإنسان.

سمع البولنديون الأخبار المُحزِنة بطريقة ما، وخرجوا وهم يطيرون من المطبخ مثل الغِربان في حالة سُكر. يريدون استدعاء سيدهم الحبيب جود ني في الحال. حتى إن البعض يريد ذوي القُبَّعات البيضاء[1]. لكنَّ الليتوانيِّين لا يريدون أيًّا منهما. إنه مشهد مُضحِكٌ للغاية في الواقع، مباراة صراخ بالانجليزية بين بولندا وليتوانيا.

"لا تتَّصِلْ بالشُّرطة!".

"لا! اتَّصِلْ من فضلك!" ينتهي الجدال بسرعة عندما يُخرج أحد الليتوانيين مُسدَّسًا. إنه موديل ألماني صغير، يشبه الموديل الذي تستخدمه شرطة هانوفر. بدا البولنديُّون مذهولين، ثم أغلقوا أفواههم

(1) الشرُطة الأيسلندية.

على الفور وعادوا إلى زجاجات وايبوروا[1]. يلعب بالاتوف دَورَ الرَّجُل العجوز الحكيم، ويطلب من المُسلَّح أن يُبرِّدها.

تُشعِرني رؤية المسدس بالدفء من الداخل. إنها تشبه رؤية صديق قديم. أظلُّ واقفًا لبعض الوقت، وأنا أشعر بتعبٍ من أثر دُوارِ السِّلاح، أشاهده يسير في القاعة، قبل أن أعود إلى زنزانتي.

إنه يومُ أحد طويل. استلقيت على سريري، وكان الكتاب المُقدَّس مفتوحًا على "تربية لعازر"، بينما يعزف قلبي المقطوعة الموسيقية من فيلم توايلايت زون[2].

أحاول الاتصال بجان ثلاث مرَّات. لكنها لا تجيب.

يمكنني محاولة التَّسلُّل من الثكنات والزحف مرة أخرى إلى قبو تورتشور في الطابق السفلي، ولكن أعتقد أنه من الأفضل أن أظلَّ هادئًا. ربما يجب أن أخشى زملائي الليتوانيِّين أكثر من من ذوي القُبَّعات البيضاء.

بحثتُ عن معطف تومي وجواز سفره الأيسلندي، ووضعته في جيب سروالي تحسُّبًا.

أسمع كل نصف ساعة أصدقاءَ الرجل الميت يندفعون صعودًا وهبوطًا في الرَّدهة، صعودًا ونزولا على الدَّرَج، يتحدَّثون بصوتٍ عالٍ على الهاتف بلُغَتِهم الأكثر غرابة من اللغة الأيسلندية. في الواقع، لم أكن أعرف أن هواتف نوكيا تُدعِّم اللغة الليتوانية. ذهبتُ إلى الحمَّام ورأيت أحد الشاحبين يختفي داخل غرفة الرَّجُل الميِّت.

---

(1) wyborowa: نوع من الڤودكا البولندية.

(2) The Twilight Zone: مسلسل رُعب تلفزيوني أمريكي أنتجه وقدَّمه رود سيرلينج من عام 1959 إلى عام 1964.

في المطبخ، انتهى حفل الفودكا بمباراة في الدوري الأيسلندي الممتاز. قد تظنُّ من مسافةٍ أن فريقهم من النساء. كرة القدم الأيسلندية قريبة جدًا من كرة القدم العادية، باستثناء أن جميع اللاعبين يتناولون المهدِّئات الثقيلة. في اللحظة التي يركضون فيها في ملعب لكرة القدم، تتباطأ حركة أولئك الأيسلنديِّين الذين يتقدَّمون بسرعة إلى الأمام. سيستغرق الأمر كيلوجرامات من الكوكايين لإصلاح هذه الألعاب.

عندما تنتهي المباراة بتعادل لا شيء، سنكون جميعًا جاهزين لتناول البيتزا. يُطلب من تومي أن يتباهى بأيسلنديَّته عن طريق طلب خمسة أنواع من الفلفل وستة لترات من الكولا. تمكَّنتُ من قول (يوم سعيد) قبل مغادرة المطبخ، وأتولَّى الباقي بلُغةٍ انجليزية خفيفة في القاعة بالأسفل. بعد أربعين دقيقة وصل فتى التوصيل. تَبيَّن أنه صربيٌّ كرواتيٌّ ويقوم بجولة "مساء الخير"[1] للبولنديين الضاحكين.

ثم، لبُرهَةٍ وجَّه عينه الصربية نحوي وابتسم ابتسامة غريبة، كما لو أنه اكتشف الشِّعارَ الوَطنيَّ موشومًا على روحي.

تجمعنا حفلة البيتزا معًا، وربما تكون هذه أفضل ساعة في حياتي العتيقة. حتى بالاتوف يبتسم ويتباهى بأسنانه الصفراء. ولكن في منتصف وجبتنا السعيدة، يأتي أحد ذوي البشرة الفاتحة طالبًا التحدُّث مع البلغاري. نشاهده بصمتٍ وهو يمسح فمه بظهر يده المُشعِرَة، وينهض ويتبع الليتوانيين في الممرِّ. بعد بضع دقائق عاد إلى المطبخ ورفع يده كجرّاحٍ روتينيٍّ يتحدَّث إلى ممرِّضاته:

"سكين".

(1) بالكرواتية في الأصل.

أقرَضتُه سِكِّيني، وسرعان ما تمَّ استبدال رائحة البيتزا بأكثر الروائح نقاءً للأمعاء ضربت أنفي على الإطلاق. وهذا قادم من رجل اضطرَّ ذات مرة إلى فتح قبر جماعي عمره ثلاثة أسابيع في يوغوسلافيا لأن جافور فَقَدَ نظَّارته وأمرني أن أجِدَ له نظارة جديدة.

يبدو الأمر جنونيًّا، لكنَّ البلغاري المُحِبَّ للسُّود يخبرنا أن لديه "شهادة سمراء"[1] في الطب من إحدى جامعات صوفيا. أعتقد أن شهادة سمراء في الطِّبِّ تسمح لك بإجراء الجراحة على الموتى فقط. نشاهده يسير في القاعة، وبيده سِكِّينٌ، ورِجلاه تشبهان قوسين، يبدو وكأنه قاتِلٌ أكثر من طبيب، لكن من الواضح أنه يعرف مِهنَتَه. يجري تشريح الجُثَّة بمهارة كبيرة: نجحت عملية تعدين الذهب. يتوقَّف الأخوان عن الحِداد على صديقهما في اللحظة التي يُسلِّمهما فيها الدكتور بالاتوف الواقي الذَّكري اللَّزِج المليء بالذهب الأبيض. حصَّته مائة جرام، ولأنه ليس من مُحبِّي المُخدِّر الأبيض، فإنه يعرض على الفور أن يبيعني البعض، لكن عليَّ أن أرفض.

أعتقد أن هذا كله جزء من علاجي. لا يزال تورتشور يختبرني، وإلَّا كان وضَعَني في قبو والدته المليء بالهواتف المحمولة وساعات الوقواق بدلًا من هذه المساحة العلوية المليئة برحلات التَّعرِّي والمخدِّرات.

بعد العشاء يعود البولنديُّون للشرب. بمجرد أن يبدأ مفعول الفودكا، يبدؤون في غناء الأغاني الجنائزية البطيئة من جبال كارباتي أو أي شيء آخر. أحبس أنفاسي وأشقُّ طريقي إلى الزاوية الليتوانية لاسترداد سِكِّين الجيش السويسري.

الرائحة قوية لكنني تمَكَّنتُ من طرق باب الرَّجُل الميت. فُتِح بسرعة ولكن بالكاد. الفجوة واسعة بما يكفي لكلمة "سكين" فقط. ومع ذلك، استطعتُ أن أرى أن الغرفة مليئة ببعض الأدوات المثيرة

(1) B-gree: من Black Degree.

أثناء انتظار أداتي. لكن ثمّة خطر، يخرج اثنان من الليتوانيين من الزنزانة ليؤكّدا لي أن نُسخَة كاوناس من منظّمةٍ ما ستقتلني إذا أخبرتُ أيَّ شخص في أي وقت عن الفوضى الدموية.

أعدُّ الوَحمات في وجوههم (مثل العواصم على خريطة أوروبا) بينما أمتنع عن السؤال عن قاتِلِهم، وكم قتل، وكيف سيقتلني، والتفاصيل المهمة.

في منتصف الليل كانت الرائحة ما زالت تملأ الأرض مثل ضبابٍ لا يُرى.

سَمِعتُ زفيرًا ثقيلًا في الرَّدهة، مصحوبًا بصوت حقيبة ثقيلة تُجرُّ عبر أرضية رملية وتصطدم بالدَّرج. نظرت من النافذة العملاقة لأرى زملائي من البلطيق يضعونها في مؤخَّرة شاحنة بيضاء متهالكة ويقودون السيارة بعيدًا.

هذا هي إشارتي.

أنتظر بصبرٍ حتى يدخل طبيب المنزل إلى الحمَّام ويأوي جميع السبعة عشر إلى أسِرّتهم. يدقُّ قلبي كموسيقى التِّكنو، أغوص في الرَّدهة مصحوبًا بأطول جذع من حوامل سريري. أضعه رأسًا على عقب بجانب باب القتيل، وأخطو فوقه لأتسلَّق الجدار. يتمُّ الأمر بسَلاسَة، على الرغم من تَعثُّري بلافتة كرة سلة ذات ألوان زاهية في الطريق.

الحُجرَة مليئة بالأكياس البلاستيكية وصناديق الكرتون المليئة بالتُّفّاح. تمَّ تخزين خمس شاشات مُسطَّحة لم تُستَخدَم بعيدًا في الزاوية. أبحث في جميع الأماكن الصحيحة، وبحثتُ داخل كيس بلاستيكي أصفر من متجر المواد الغذائية بونس، وجدتُ مسدَّسًا صغيرًا للجيش الألماني من طراز والتر بي 99، مُشابه للمُسدَّس الذي رأيته في وقتٍ سابقٍ اليوم. حسنًا، أخيرًا أشعر وكأنَّني رَجُلٌ حُرٌّ،

أحمـل مُسدَّسًـا في يـدي. أنـا توكسـيك مـرَّة أخـرى بحـق اللعنـة، حتـى إن المســدَّس مَحشــوٌّ، الخزينــة بهــا اثنتــا عــشرة رصاصــة.

أنا جاهِزٌ لحصد لقبَيْن من سُداسيِّ عضلات البطن.

لا بُــدَّ وأننــي مُبتَهِـج بنفـسي للغايـة، لدرجـة أننــي لم ألحــظ حتــى وجــود ســيارة شرطــة في ســاحة انتظــار الســيارات. القُبَّعــات البيضــاء موجـودة بالفِعـل داخـل المبنـى. يمكننـي سـماعهم ينزلـون مـن الرَّدهـة في طريقهــم إليَّ.

30
شماويش

2006/08/07 - 2006/08/08

أنـا الرَّجُـل القـطُّ. أجلـس فـوق الجـدار بـين زنزانـة الرجـل الميـت والزنزانـة التاليـة، متمسِّـكًا بالسـقف العلـوي السـميك الـذي يلمـس مؤخِّـرةَ رأسي. أسـتطيع أن أرى الطابـق كلـه بعـين الذبابـة، حـوالي سِـتّ حجـرات عـلى هـذا الجانـب وسِـتٌّ عـلى الجانـب الآخـر، وبينهـما ممـرٌ ضيِّـق، والمطبـخ في النهايـة البعيـدة.

أسـتطيع سَـماع الضُّبَّـاط يتحدَّثـون في الممـر. إنهـم يتحدَّثـون باللغـة الأيسـلندية فيـما بينهـم وباللغـة الانجليزيـة إلى أحـد البولنديِّـين، الـذي يبـدو في حالـة سُـكْر وكأنـه اسـتيقظ للتَّـوِّ.

"هل أنت بولنديٌّ؟".

"لا، أيها الشرطي!".

هنـاك حجرتـان بـين الجـدار الـذي أقعـد فوقـه وبـين مسـاحتي. أقـرب واحـدة فارغـة، وأتسـاءل عـن الأخـرى.

ينتقـل قلبـي مـن موسـيقى تـراش ميتـال إلى موسـيقى سـبيد ميتـال عندمـا أسـمع رجـال الشرطـة يحاولـون فتـح بـاب أقـرب حجـرة. لكـن بعد اهتـزاز المقبـض للحظـة، سـمِعتُ الرجـل البولنـدي يغمغـم لا، لا، وسرعـان مـا أصبحـوا عـلى بـاب الرجـل الميِّـت. آمـل فقـط أن يظـلَّ منشـاري هادئًـا.

أنتظـر حتـى يبـدؤوا في الطَّـرق بصـوتٍ عـالٍ عـلى البـاب ويحاولـون فتحـه بعتلـة. ثـم أنزلـق برفـق عـلى الحائـط، بأسـلوب الرجـل القِـطِّ، وعـلى حافَّـة النافـذة في الحجـرة المجـاورة لتلـك التـي سرقتهـا للتـوِّ. سـيارة الشرطـة البيضـاء بالخـارج فارغـة، لا يمكـن رؤيـة قُبَّعـة شرطـي، عـلى الرغـم مـن أن الليـل لا يـزال سـاطعًا بدرجـة كافيـة للقـراءة. يواصـل رجـال الشرطـة أعمالهـم في النجـارة وتسـلُّق الجـدار المجـاور، وألقـي نظـرةً خاطفـة عـلى الحجـرة الواقعـة خلفـه. إنـه ملـك أحـد البولنديـين، وربمـا يكـون هـو الـواشي؛ لأن السريـر فـارغٌ والبـاب مفتـوح.

أخفـض صـوت الموسـيقى في قلبـي قبـل أن أنزلـق مـن الحائـط إلى حافَّـة النافـذة ثـم أتحـرَّك عبرهـا بـلا صـوت. وعينـي عـلى البـاب المفتـوح. لا أحـد يـراني، وبعدهـا أنـا في غرفتـي. تُفسِـح موسـيقى سـبيد ميتـال المجـالَ لقصيـدة غنائيـة، تـكاد تجعلنـي أغنِّـي "بذراعـين مفتوحتـين"[1]. أغنيتـي المفضَّلـة لفرقـة كريـد.

أمضيـت الخمـس عـشرة دقيقـة التاليـة أفكِّـر أيـن أخفـي المسـدس، المسـدس! لكننـي لم أكـن قـد حسَـمتُ أمـري بعـد عندمـا طَـرَق ذوو القبَّعـات البيضـاء بـابي. يقـف اثنـان منهـم في الرَّدهـة، كرتـا ثلج مسـتديرتان بـأنفٍ مـن الحـصى في الـزِّيِّ الرسـمي. فجـأة أصبحـتُ مُقتَنِعًـا بأنهـما نفس الرجلـين اللَّذَيـن أجريـا مُحادَثـةً صغـيرة مـع تاديـوس، الرسـام البولنـدي في

(1) With Arms Wide Open إحدى أغاني فرقة كريد الأمريكية.

تلك الليلة المشؤومة. يقف بعض التاديوشيين[1] المنهكين من الفودكا خلف الشُّرطيَّيْن، ويشرح أحدهما لهما أنني مواطِنٌ مَحلّيٌّ.

"هل أنت أيسلندي؟" تسألني الشرطة باللغة الأيسلندية.

"شماويش" أجبت بإيماءات كثيرة وابتسامة.

تعني هذه "بعض الشيء" وهي كلمة سحرية علَّمَتني إيَّاها جان هذا الصيف، وقد تَبيَّن أنها مُنقِذٌ حقيقيٌّ هنا. ثم أحضَرتُ جواز سفري ذا اللون الأزرق الجبلي، وعزف قلبي على نغمة "ن" من نسخة النشيد الوطني الأيسلندي بينما يتفحَّصون الصنعة التي لا تشوبها شائبة.

قرؤوا اسمي بصوت عالٍ، وتفحَّصوا وجهي السِّلافي بنظرةٍ صارِمة.

"توماس ليفور ألافسون؟" يقولون.

"تومي سابقًا[2]!" أردُّ بابتسامة غبية وأُوجِّه أمرًا ليدي اليُمنى بالبقاء بحق الجحيم في جيبي الأيمن.

"أين تعمل؟" يسألونني بلغتهم الباردة.

أنتقل إلى اللغة الانجليزية (مُوضِّحًا أن والدي كان نصفَ أمريكيٍّ وكل هذا الخراء)، وأخبرهم عن سامفير، فتضيء وجوههم على الفور.

"هل تعرف سامي؟".

يعمل اسمُ السامريِّ الصالح مثل مُجفِّف الشَّعر في الوضع الفاتر، فنتحدث لفترة من الوقت عن الرجل الصغير الذي يرتدي نظارات راقصة. يعرفه الشُّرطيَّان من العمل. أكَّدا لي أنه أحد أكثر الرجال

---

(1) إشارة إلى تاديوش كوسيوسكو القائد العسكري للانتفاضة الشعبية في بولندا عام 1794.

(2) باللاتفية.

مُتعـةً للاعتقـال. ثـم عـادا لجدِّيَّتهـما مـرَّةً أخـرى وسـألاني عـمَّا إذا كانـت لـديَّ أيُّ اتصـالاتٍ مـع رجـال كاونـاس. أقـول لهـم لا.

"هل لاحظتَ شيئًا واسعًا في المنزل اليوم أو الليلة؟".

"تقصد مريبًا؟".

لديَّ اليَدُ العليا الآن. يمكنني الاسترخاء.

يقولون "نعم".

بـدون تفكـيرٍ أو رمـش، قـرَّرتُ أن أتحـلَّى بـروحٍ رياضيـة، وأنـسى كل شيء عـن التهديـدات الليتوانيـة. لا بُـدَّ وأنـه تأثـيرُ المسـدَّس، أو امتنـانٌ مُتأخِّـر تجـاه القُبّعـات البيضـاء لمنحـي أفضـلَ صيـفٍ في حيـاتي.

"نعـم. رأيتهـم يأخـذون جُثّـة القتيـل إلى الخـارج، منـذ حـوالي عشريـن دقيقـة فقـط. رأيتهـم مـن نافـذتي" قلـتُ لهـم، ودَعَوتُهـم إلى حجـرتي. "كان بحوزتهـم حقيبـة كبـيرة، بَـدَت ثقيلـة جـدًّا، وضعوهـا في مؤخِّـرة شـاحنة بيضـاء وانطلقـوا بعيـدًا".

"هل رأيت رقمه؟".

"رقم اللوحة؟ نعم. لقد كانت سيارة عالية سبعة- أربعة- واحد".

أنـا لا أمـزح. أتذكَّـر رقـم الترخيـص اللعـين. نظـر الضابطـان إليَّ كـما لـو أنهـما يريـدان دعـوتي إلى البحـر الكاريبـي في

رحلـة بحريـة في الدرجـة الأولى، الصيـف القـادم، فقـط نحـن الثلاثـة. ثـم يعـودان إلى رُشـدِهما.

"وأين كانت السيارة؟".

"فقط.. هنا بالأسفل، خارج المدخل".

نقـف بجـوار النافـذة، ويميـل أحدهـم بجـواري لإلقـاء نظـرة أفضـل في الخـارج. أثنـاء القيـام بذلـك، قـام عـن طريـق الخطـأ بلمـس الـشيء

الصغير السميك في جيبي بفخذه الأيسر. يلتفت الشرطي نحوي تلقائيًا ويقول بأسلوب مُهذَّب:

"أفساكي".

هذه أيسلندية تعني: "آسف، لم أقصد أن ألمس مُسدَّسَكَ".

في اليوم التالي، عندما عدتُ إلى المنزل من العمل، رأيت ثلاث سيَّارات دفع رباعي بيضاء تابعة للشرطة تقف خارج فندقنا الحبيب. بعض شرائط الشرطة الصفراء تهتزُّ في نسيم الصيف المتجمِّد، وقُبَّعة بيضاء تحرس المدخل. ما زِلتُ أسير بجوار المبنى لكن على مسافة، وأقوم مرَّةً أخرى بدور المشَّاء الوحيد على الأرصفة الفارغة في أيسلندا.

بعد ساعة قَرَعتُ جرس جانهيلدور. تفتح الباب وسرعان ما نصل إلى مطبخها غير المرتَّب، نتبادل القُبَل مثل عاشِقَيْن بائسَيْن. أنسى نفسي تمامًا وأعانقها بشدَّة: إنها تشعر بالشيء السميك في سروالي.

"ما هذا؟".

"حديد ألماني".

31
روك الثلج

2006/08/09 - 2006/08/08

تورتشور يتحدَّث، تومو يمشي.

أعـادني الرجـل العظيـم إلى فنـدق الأشـغال الشَّـاقَّة لالتقـاط أغـراضي بينـما يتحـدَّث مـع الشرطـة، مسـتخدمًا قدراتـه في الإقنـاع وشُـهرته التلفزيونيـة التـي لا تُقـدَّر بثمـن لـشرح حالتـي. تومـي أولافـس هـو ربيبـه، رجُـلٌ حسَّـاس حقيقـي أراد فقـط التَّعـرُّف عـلى بلـده الأصـلي ولا يمكنـه تحمُّـل العيـش مـع مجرمـين قُسـاة ومتهوريـن. أودُّ أن أقـول وداعًـا لأصدقـائي البولنديـين، ولدهشـتي أميـل إلى خـدٍّ بالاتـوف في عنـاق سريـع، مـا المنفـى إلا بحـرٌ مُشـعِر.

قضيـت الليلـة في غرفـة العهـد القديـم في منـزل تورتشـور وهانـا. في اليـوم التـالي أجريـتُ حديثًـا حاسـمًا في العمـل مـع أوليـه، وفي المسـاء

استقبلني مع تورتشور على عتبة بابه في الطابق الثالث من مبنى خرساني قديم بالقرب من منزل جان.

إن هاربا في نوبة ليليَّةٍ من حمَّام الشمس الخاص بها، وأنا وأوليه نُمثِّل مشهدًا مكتوبًا صغيرًا لحبيبنا تورتشور: التظاهُر بأنني أستأجر غرفة في منزله. من الواضح أن رَجُل الكتاب المقدَّس يعرف الجزار من خلال سامي، يتحدثون عن إغفال دور العنف في تعليم الإنجيل، بينما أفحص مجموعة أوليه الرائعة من سكاكين المطبخ التي علَّقها فوق موقد الغاز الفخم الخاص به. على الرغم من إدراك ماضي الطَّبَّاخ العنيف، إلا أن تورتشور يوليه كلَّ الثقة كمالِك العقار الذي استأجره.

قال في السيارة وهو يضحك بشدَّة: "طالما أنك تدفع الإيجار، فلن يقتُلَك".

بعد بضع دقائق من مغادرة الواعظ في سيارته الجيب المقدَّسة، وصلت إلى منزل جان، وسألتها أين أضع أشيائي. بَدَت متوتِّرة، وهي تأخذ السيجارة إلى غرفة نومها (شيء لا تفعله عادة) وتشير إلى رفَّيْن فارغين في خزانة ملابسها الكبيرة بإصبع مهتَزٍّ.

"هل هناك خطبٌ ما؟" أسأل.

"لا. لماذا؟".

"ربما تعتقدين أننا لسنا مُستعدَّيْن لبدء العيش معًا؟".

"لا لا. إنه فقط...".

"اعتقدتُ أنَّكِ أردتِ هذا. هل يتعلَّق الأمر بتراستر؟".

تنهيدة ثقيلة ثم: "نعم".

"هل تخشين أن يخبر والِدَيْكِ عنَّا؟".

"لا، ليس الأمر كذلك، لا أمانع".

الأمر ليس كذلك، هناك شيء آخر. لكنها لن تقول ما هو.

أعرض النوم في الطابق العلوي في العِلِّيَّة، لكنها تقول لا، وسرعان ما نكون في فِراشها، ونحاول إبهاج أنفسنا ببعض الجِنس غير المبهج. بعد ذلك، تلتقط هاتفها وتُجري حديثًا طويلا وصعبًا مع شقيقها الذي لا يبدو أنه مُعجَبٌ بفكرة العيش مع قاتِلٍ محترف.

قبل منتصف الليل بقليل، بدا شاحبًا وكئيبًا، حتى إنه لم يَقُل "مرحبًا". ينزوي في غرفته الصغيرة عند المدخل، ويُشغِّل روك أيسلنديًّا بصوتٍ عالٍ حتى الساعة الثانية صباحًا. تُصاب جانهيلدور بالقلق وتُدخِّن عُلبةً كاملة قبل تنظيف أسنانها بالفرشاة لمدَّة عشرين دقيقة.

نرقد في سريرها الرخامي، محبوسَيْن في حِضنٍ صامت، مثل عُشَّاق قدامى في مُتحَف. هذا ليس وضعي المُفضَّل حقًّا، أن نستلقي معًا هكذا، لكنني أوقف تفضيلاتي الخاصة للمناسبة الخاصة: ليلتي الأولى التي أعيش فيها مع شخصٍ مارستُ معه الجنس، بالإضافة إلى أننا لم نَحظَ بأيِّ نَومٍ على أي حال بسبب موسيقى الروك الأيسلندية التي تتسرَّب عبر الحائط. أفتقد بالاتوق بالفعل. ثلاثون دقيقة أخرى من التعذيب الموسيقيّ وسيصبح مُلحِّنًا كلاسيكيًّا مشهورًا. أعاد الرجل المسكين لعب نفس الأغنية لمدة نصف ساعة. يصرخ المُغنِّي كما لو كان عالقًا في قاع وادٍ جليديٍّ بفخذ مكسورة.

"ماذا يغني؟".

أجابت بصوت ضعيفٍ: "سودوما".

"ماذا يعني ذلك؟".

"فقط... أنتَ تعرف... سَدوم...".

"مثل سَدوم وعمورة؟".

"نعم، أظنُّ".

قـراءة الكتـاب المقـدَّس تـؤتي ثمارهـا، ونجـل الكاهـن عـبر الحائـط يعـرف كيـف ينقـل رسـالته. تتشـبَّث بي جانهيلـدور مثـل فـأرٍ يحتـضر. أخـيرًا اسـتنفَدَ تراسـتر غيرتـه عـلى أختـه، ونـام كلا السَّـدوميَّيْن.

لحسـن الحـظِّ، يقـضي طائـر الكـركي وقتًـا أقـلَّ في المنـزل الآن مـمَّا كان يفعـل في أيـام الربيـع، حـين كان طائـرك هاربًـا جديـدًا وكان كل شيء أكـثر إثـارة. أنـا أتأقلـم ببُـطءٍ مـع الأيسـلندية كل يـوم. أقـضي أوقـات الصبـاح عـلى الإنترنـت، وأبحـث في "جوجـل" دون جـدوى عـن أسـماء مختلفـة إلى جانـب "مكتـب التحقيقـات الفيدراليـة" و"ديڤيـد فرينـدلي" و"المافيـا الليتوانيـة". أو أكتـب رسـائل بريـد إلكترونيـة إلى الأشـخاص الذيـن قـد يعرفـون أيـن يمكـن العثـور عـلى سـينيكا العزيـزة الغاليـة، أو أكتـب رسـائل إلى والـدتي، والتـي تأخذهـا صديقـة لجانهيلـدور إلى لنـدن وتُرسِـلها عـبر مكتـب بريـد مَلَـكيٍّ.

حثَّتنـي الظهـيرة عـلى الوقـوف في السـاحة الرئيسـية مـرة أخـرى، في انتظـار الحافلـة رقـم 6 جنبًـا إلى جنـب مـع المجانـين المحليـين. ينتهـي شـهر أغسـطس بتوقيـتٍ تقليـديٍّ مناسـب لغـروب الشـمس، فأُرحِّـب بالظَّـلام.

يتـلاشى عـلاج تورتشـور في شـكل بضـع مكالمـات تَفقُّديَّـة مـن المُعلِّـم، بالإضافـة إلى زيـارات منتظمـة للجماهـير المجنونـة في كنيسـته التـي تفـوح منهـا رائحـة العَـرَق. في زيـارتي الأولى، رحَّـب بي بشـجاعة وقـدَّم تومـي إلى جمهـوره اليائـس الـكادح عـلى أننـي "أيسـلندي صالـح وصديـق عزيـز! رجُـلٌ قـضى معظـم حياتـه في فنـدق الجحيـم، ولكنـه الآن خـرج واسـتأجر غرفـة في الجنـة. بـارك اللـه روحـه! هلِّلويـا!".

كان المحفـل عـلى قـدم وسـاق، (في الواقـع نـادرًا مـا يجلسـون)، حيـث ترفـع السـيدات المُشـعِرات أيديهـن في الهـواء، مُكَرِّريـن هلِّلويـا وراء تورتشـور. إنـه مثـل هـارلم بـدون رقـص. أجـدني أعانـق رجُـلًا نحيفًـا مُعاقًـا

وخده شديد البرودة. قال بصوت ضعيف: "أهلًا بك!"(1). ثم عاد الواعظ إلى اللغة الأيسلندية، ولِدَهشتي فهمتُ معظمها.

"يجب أن تعرف أعداءك! يجب أن تعلم أن الخطيئة هي ألَدُّ أعدائك! ويجب ألَّا تدعو الخطيئة إلى منزلك أبدًا! لا تدعو الخطيئة أبدًا لتناول العشاء! لا يجب عليك حتى أن تشتري قهوةً لخطاياك!" يصرخ جهير رجوليٌّ، يبدو وكأنه مَلاك الجحيم أكثر من كونه لسان الله.

"لأن الخطيئة ستطلب الكِريمة في قهوتها. وستطلب السُّكَّر. وستطلب الخطيئة ويسكي في القهوة؛ لذلك ستفاجأ بأن الخطيئة تشرب القهوة الأيرلندية! وسرعان ما ستشرب معها. ستشرب مع الخطيئة، وتغنِّي مع الخطيئة، وترقص مع الخطيئة، على جميع أغانيها المفضَّلة! لذلك اسمحوا لي أن أخبركم مرة أخرى: لا تشترِ أبدًا للخطيئة فنجانَ قهوة! مَجِّدوا الله! هلِّلويا!".

أسمع نفسي أُردِّد الكلمة الأخيرة، جنبًا إلى جنب مع الحشد، بينما أشعر بهيكل مسدَّسي القديم الجديد بنَعلِ قدمي اليمنى. القطعة الصغيرة تُناسب مقاس حذائي البالغ 46. اشتريت لنفسي زوجًا من الأحذية الرياضية، من طراز النَّعل الأكثر سُمكًا في المتجر، وأجريتُ عمليَّةً جراحية صغيرة على الجانب الأيمن، حيث أزلت ما يكفي من الطبقات الموجودة في نعلها لتُناسب المسدس تمامًا؛ لذلك أنا الآن "أسير في طريق الرب" كما يقول جودموندور، ومُسدَّسٌ في حذائي. إنه أمرٌ غير مريح للغاية، لكنني سأكون مستعدًّا في الوقت المناسب.

لا أعتقد أن باب الجنة مُزوَّد بجهاز كشف عن المعادن على أي حال.

لا تعرف جان الدافئة عن زميلها البارد. هذه ليست مشكلتها. لدينا ما يكفي بالفعل، لا تسيئوا فهمي.

(1) بالأيسلندية في الأصل.

جانهيلدور شيء عظيم، المشكلة الحقيقية هي أنا. لم أشارك شقَّةً مع أي شخص منذ نيكو العزيز منذ أيام هانوفر. منحني العيش معه درجة البكالوريوس في التَّسامُح، لكن تدخين جانهيلدور اللا مُتناهي، وعادتها في إلقاء الجينز والسُّترات والسراويل الداخلية والزجاجات الفارغة ومَنافض السجائر وصناديق البيتزا حول المنزل تثير أعصابي. في النهاية قد أكون معتلًّا اجتماعيًّا، لكنني أحبُّ ترتيب مساحتي.

"أنا فقط لا أفهم كيف يمكنك أن تكوني ابنةَ والِدَيْكِ. أعني، منزلهم مثل البيت الأبيض بينما منزلك هو البيت القذر".

"حسنًا، دعنا نحصل على بعض المساعدة المنزلية".

"تحدَّثنا بالفعل عن ذلك. لا يمكننا تَحمُّله".

"لسنا مُضطرَّيْن لذلك. اقتل الأولى فور انتهائها من التنظيف لأول مرة. ثم نقوم بتوظيف واحدة أخرى وتقتلها أيضًا. أعني، أنت محترف لعين، أليس كذلك؟".

هكذا تنتهي كل نقاشاتنا. وظيفتي السابقة حاضِرةٌ على الدوام، كأنها حبيبةٌ سابقة معتوهة. عندما تقتل أكثر من مائة شخص لا يَحِقُّ لك أن تشكو من أرضيَّةٍ قذرة أو غرفة غير مُرتَّبة. هكذا الحال، حتى كادت أن تتحوَّل إلى فنانة. في كل مرة تعجز عن الإفلات من موقفٍ ما تنفجر قائلة: "ربما اعتدتَ التعامُل أكثر مع الموتى أليس كذلك؟" أو "لا يمكنك تحمُّل الأشخاص الذين يقومون بأشياء مُمِلَّة مثل التَّنفُّس والتَّحدُّث، أليس كذلك؟" أو ببساطة "لماذا لا تقتلني وحسب؟".

بخلاف هذا فالأمور على ما يرام.

نذهب إلى وظائفنا ثم نمضي معًا لتناول العشاء قبل أن أسحبها معي لمشاهدة أحدث أفلام الرجل العنكبوت، أو أتركها تسحبني إلى

إحـدى الحفـلات الموسـيقية التـي لا تُعـدُّ ولا تُحـصى في هـذه المدينـة الصغـيرة. لا بُـدّ وأننـي مُعجَـبٌ بهـا بشـدّة لأننـي لا أمانـع الوقـوف لمـدة سـاعتين كاملتـين، وأومـئ بـرأسي إلى فِـرَقٍ مُسـتقلّة لا قيمـة لهـا مثـل إيربلاجـس[1] وسـليبينج بيلـز[2]، بينـما تعـزف كريـد داخـل رأسي عـلى وهـج غـزو كنـين المُدمِّـر.

الأمـر الوحيـد المثـير للحـزن الحقيقـي هـو تراسـتر، الـذي لا يبـدو أنـه يبحـث حتـى عـن مـكانٍ للعيـش فيـه. يمكـن لوجـوده الصامـت أن يكسـر بسـهولةٍ علامَتَـكَ التجاريـة الجديـدة إلى أجـزاء ويسـمح للشـخص القديـم بالتألُّـق.

في أول أسـبوعين لم يسـتخدم أكـثر مـن كلمتـين لعينتـين. "مرحبًـا ووداعًـا" عندمـا أعطيتُـه عشـاءه اللعـين، حسـاء الجوليـاش الرهيـب الـذي حملتـه عـلى سـاقي لمـدة عشريـن دقيقـة في حافِلَـةٍ مليئـة بضحايـا المطـر والاغتصـاب، لم يَقُـل حتـى كلمـة "شُـكرًا"[3] واحـدة. لحُسـن الحَـظِّ أنـه في العمـل معظـم الوقـت. مؤخَّـرًا عمـل واحـد مـن عُـمّال المتاجـر مـع تراسـتر في موقـع بنـاء، ويبـدو أن الطائـر الصامـت نجـمٌ في العـالم الخرسـاني.

"إنـه عبقـري مـع الرافعـة. يمكنـه مـن مائـة مـتر أن يلتقـط نقـودًا صغـيرة في أعتـى ريـح".

حسـنًا، هنيئًـا لـه. إذا كان بإمكانـه فقـط اسـتخدام الرافعـة لالتقـاط الفتيـات...

تمكّنـت مـن إبقـاء شـياطيني عنـد البـاب، لكنهـا في الليـل تـأتي زاحفـةً عـبر الريـاح إلى غرفـة نومنـا مـن النافـذة التـي تُفضِّـل جانهيلـدور أن تتركهـا مفتوحـة.

---

(1) Ear plugs: بمعنى سدادات أذن.

(2) Sleeping pills: بمعنى حبوب منومة.

(3) بالأيسلندية في الأصل.

بمجـرد أن أنـام، تتوافـد الدَّبَّابـات الصربيـة بإطـارات مصنوعـة مـن رؤوس تـصرخ- رؤوس قرويِّـين كُـروات ونسـاء وأطفـال ملطَّخـة بالدمـاء والوحـل. قـوات شـيتنيك تخـترق دفاعـات نَوْمـي، وتُـسرِع عـبر الحقـول المظلِمـة في روحـي مثـل وحيـد القـرن المُنهَـك. تليهـا كتيبـة مـن سِـتَّةٍ وسـتين رَجُـل أعـمالٍ أمريـكي، مُسـلَّحين بالهواتـف المحمولـة وحقائـب اليد، والذيـن يُشـجِّعهم عَـددٌ مُماثِـل مـن الأرامـل، يصرخـن بطـول الطريـق مـن الغابـات الزَّرقـاء العميقـة في نيوچـيرسي إلى الأسـطح الحـارَّة أمـام حقـول مانيتوبـا [1]، وكلهـا مدعومـة بمباركـة كاهِـنٍ أصلـع بلكنـة جنوبيـة يرتـدي زيَّ الكاراتيـه الأبيـض، حـزام أسـود بلغـاري عليـه علامـة: يـا عاهـرة!

يهاجموننا من جميع الجهات. لقد أحاطوا بنا: أنا وأبي وداريو.

نضغـط أصابعنـا عـلى المسدَّسـات الرشاشـة، ونحـوِّل حصننـا الصغـير إلى رَشَّـاش مـاء مـن الرصـاص، لكـن دون جـدوى. نحـن مُرهَقـون.

يمكننـا أن نسـمع الصرخـات الرهيبـة لنسـائنا وأطفالنـا مـن مسـافة قريبـة للغايـة، وهـم يتدحرجـون مـع دعـس الدَّبَّابـات التي تقـترب بسرعة، وعـلى أصـوات المدافـع شـديدة الصَّخَـب.

شـعرتُ فجـأة أن والـدي مصـاب. لقـد أصيـب في كتفـه اليمنـى. نظرت ورائي وشـاهَدتُه يسـتدير ببُـطءٍ نحـوي. لكـن لا يمكننـي فعـل أي شيء حيـال ذلـك؛ لأننـي يجـب أن أواجـه العـدو، ولا بُـدَّ لي مـن مواصلـة إطـلاق النـار. لكـن بعـد ثانيـة شـعرت بيديـه عـلى رقبتـي وحـول رقبتـي. لقـد أمسـك رقبتـي بأصابعـه العـشر القَويَّـة. أشـعر أنـه عـلى وشـك خنقـي عندمـا أسـتيقظ وأرى وجـه تراسـتر الأحمـر في ضـوء الصبـاح الأزرق الـذي يمـلأ غرفـة النـوم.

(1) Manitoba: مقاطعة في كندا.

يحاول تراستر أن يخنقني، اللعين! أمسَكتُ بذراعيه وحاولت دفعه بعيدًا، لكنه قَويٌّ ومُضلَّع مثل الثَّور.

تستيقظ جانهيلدور وتصيح باسمه. يُضعِفه هذا بما يكفي حتى أتمكَّن من تخفيف قبضته على رقبتي: سرعان ما نتعارك على الأرض بجانب السرير، ونخلق زوبعة من المجلَّات والأقراط والواقيات الذكرية ومصباح إضاءة، لكنها لا تدوم طويلًا. الجندي الكرواتي وقاتل مانهاتن المحترف، المعدوم بكلمة الله، يهزم ابن الواعظ بسهولة.

فقط لأكتشف أنه ليس ابنَ الواعظ. تراستر ليس شقيق جانهيلدور، إنه، أو بالأحرى كان صديقَها.

هذا اكتشافٌ بالنسبة لي.

لثلاثة أشهر كاملة كان لديَّ انطباعٌ بأنه شقيقها، وأنه ابن جودموندور وسيكريدر. وفي الواقع، أخبروني بذلك بداية، عندما كنت لا أزال أمثِّل دور فريندلي، وكان كل شيء مُعقَّدًا على نحوٍ غير مُعقَّد. قالوا لي إنه ابنهما، لكن لهجتهما جعَلَت "صهره" تبدو لي كـ "ابنٍ عشيقٍ" بدا الأمر غريبًا بالنسبة لي في ذلك الوقت؛ إذ يتفاخرون بحياة ابنهم العاطفية، لكنَّني الآن أفهمها.

والآن أستطيع أن أرى أن فتاة الجليد خدعته معي، في العلِّيَّة، كنتُ مُحطِّم حُبِّهم. بعد فترة وجيزة، لا بُدَّ أنهما انفصلا، لكن الوغد المسكين لم يترك بيتها، ولا حتى بعد انتقالي للعيش! لا بُدَّ وأن الذَّكر الأيسلندي واحدٌ من أكثر الحيوانات التي لا تشتكي على هذا الكوكب. لكن بالطَّبع كان دَمُه يغلي تحت غطاء الصمت، كان يجب أن ينفجر آجِلًا أم عاجِلًا.

وبالطبع كان عليه أن يُغادِر آجِلًا أم عاجِلًا.

ها هو يفعل ذلك الآن.

32
التعافي من السموم

2006/09/10

"كيف لا تعرف أنه حبيبي؟ أعني، كُنَّا نعيش معًا، ننام في نفس السرير"

نحن في طريقنا إلى سايلنس جروف، يجب تسوية أمر صهره. يجب أن أواجه مُنْقِذَيْ روحي وأخبرهما أنه بالإضافة إلى كل شيء آخر، سآخذ ابنتهما أيضًا.

لكن لا أعتقد أن والدها سيُمانع. نحن "نعيش الأيام الأخيرة" على أيِّ حال.

تتولى القيادة كالعادة. لدى تومي جواز سفر ولكن ليس لديه رخصة قيادة. مررنا بمطار وسط المدينة المحلي. يدقُّ المطر فوق حاجب الريح، ويبثُّ الراديو أغنية شاكيرا. "هيبس دونت لاي".

رأيتها أنا ومونيتا ذات مرة تدخل مطعمًا فاخرًا في مسرح رو، في واحد من مواعيد العشاء العديدة قبل فترة المداعبة. راقَبَ كلانا مؤخِّرتها الكولومبية العظيمة، وبمجرَّد أن توارت عن الأنظار، أعلنت مونيتا أنها كبيرة جدًّا. لم أكن أرغب في إخبار حلوتي أنها تبدو صغيرة جدًّا مقارنة بمؤخِّرتها الأشبه بمعبد الأزتك[1]؛ لذلك سرعان ما أضفت للمحادثة الكنز اللاتيني الثالث: أكبر ممتلكات چي لو[2]، وخلصتُ إلى أن أمريكا الجنوبية لطالما كانت كبيرةً من الخلف بكل معنى الكلمة. أضحَكَها هذا حتى وصَلَت إلى فِراشي.

أحتاج إلى كل قوتي العقلية لإخراج المؤخرات الثلاثة العظيمة عن ذهني، وتأكيد حقيقة أنني أجلس بجوار صديقتي الشقراء الجديدة في سيارة في أيسلندا.

"آسف، ماذا قلتِ؟".

"كيف يمكن أن تعتقد أننا كنَّا أخًا وأختًا؟".

"لم أكن أعتقد أنه كان أخاكِ. اعتقدتُ أنه كان كلبَكِ".

تقود السيارة لفترة. إنه يوم الأحد في ريكياڤيك الممطرة. الجميع ينتقلون في سيارتهم، يلوِّحون لبعضهم البعض باستخدام مسَّاحات الزجاج الأمامي. مررنا باللؤلؤة، المطعم الموجود على السطح. إنها قُبَّةٌ من الزجاج والفولاذ مبنيَّة فوق بعض خزَّانات المياه البركانية.

كنتُ سأصطحبها إلى هناك يومًا ما لو كانت وظيفتي مُربِحة.

تقول: "لقد كنا معًا لفترة طويلة جدًّا".

"منذ متى؟".

(1) Aztec إحدى حضارات الشعوب الأصلية في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية.

(2) چينفر لوبيز مغنية أمريكية ترجع أصولها إلى بويرتو ريكو في أمريكا الوسطى.

"منذ المدرسة الثانوية، ولكن مع بعض الانقطاعات الطويلة".

جيد جدًّا في الواقع، بالنظر لنومها مع أربعة فرق كرة قدم (لا يشمل حُرَّاس المرمى).

"حسنًا، ومتى انفصلتما؟".

"ماذا تقصد؟".

"متى أخبَرتِه عنّا؟".

"فقط... كما تعلم عندما، بدأنا بجدِّيَّة".

"ومتى كان ذلك؟".

"عندما انتقلتَ للعيش، على سبيل المثال".

تبدو غاضبة، وأنا غاضب بشدَّة.

"عندما انتقلتُ؟ قلتِ له حينها فقط؟!".

"نعم، في ذلك الوقت".

"إذن... لمدة شهر كان... كل ليالينا في محل الأثاث... كان يعتقد أنكما ما زلتما معًا؟!".

"حسنًا، أعتقد أنه شكَّ".

"إذن أنتِ كَذبتِ عليه وكذبتِ عليَّ؟".

"أنا لم أكذب عليك. أنتَ لم تسأل قَطُّ".

"لم أسأل قطُّ؟ يعني كيف يمكنني؟ اعتقدتُ أننا معًا! لم أكن أعرف أن لديكِ حبيبًا!".

"ولم أكن أعرف أن لديكَ حبيبة!".

"لكنها ماتت!".

"لم تكن كذلك في المرة الأولى...".

"لا... أنا أعلم. لم يكن ذلك جيدًا؛ لهذا غادرتُ".

"هراء! غادرتَ لأنك اكتشفت أنها ماتت وكنتَ مصدومًا".

"هل يمكنك إيقاف السيارة؟".

"ماذا؟".

"أريد أن أخرج... انتهى الأمر".

"انتهى؟ لماذا؟".

"يجب أن أكون قادرًا على الوثوق بك تمامًا".

"ولكن يمكنك الوثوق بي".

"لا. لقد كذبتِ عليَّ".

"أنا لم أكذب! أنتَ لم تسأل أبدًا!".

"أنتِ كذَبتِ عليه وستكذبين عليَّ. لن أستطيع الوثوق بك أبدًا".

"يا إلهي تود. لماذا لا تطلق النار عليَّ فقط وبعد ذلك سيكون لديك ثقة!".

صمت.

إنها تزيد سرعتها، وأنا أضغط على المسدس داخل حذائي. كلانا يتطلّع إلى الأمام. يمكن رؤية مؤخّرة سيارة نيسان باثفايندر البيضاء مضاءة باللون الأحمر إذ تسير أمامنا عبر المطر والضباب. تعمل المسّاحات على الزجاج الأمامي، من جانبي إلى جانبها، ومن جانبها إلى جانبي.

"أنا حُبلى".

مـن الواضـح أنهـا هـي مَـن تتحـدّث، ولا يسـعني إلّا أن أُردِّد بعدهـا، كـما فعـل أول شـخص معتـوه في البشريـة عندمـا اكتشـف أن زوجتـه حامـل.

"حامل؟".

"نعم".

"رائع. متى اكتشفتِ؟".

"هذا الصباح".

"و...؟".

"و؟".

"هل هو ابني؟".

"نعـم بالطبـع هـو ابنـك! مـاذا تحسـبني؟! إنـه ابنُـكَ بحـق اللعنـة! أنـا أحمـل طفلـك اللعـين!".

بـدَأت في البـكاء، دمـوع في الخـارج ودمـوع في الداخـل، وظـروف القيـادة الصعبـة. توقَّفـت عنـد محطـة الوقـود التاليـة. أحـاول أن أخبرهـا كـم أنـا آسـف. كـم هـو رائـع أنهـا تُنجِـب طفـلي. طفـلي! يجـب أن يكـون هـذا أفضـلَ خـبر سـمعته منـذ هَـزَمَ سـوكر[1] الألمـان في فرنسـا عـام 98. أُقـدِّم لهـا ذراعـي، وهـي تفتـح حـزام الأمـان قبـل أن تسـقط في حضنـي. تبـكي لبعـض الوقـت، أعتقـد أن نصـف ذلـك بسـبب حملهـا. أخبرتنـي مونيتـا ذات مـرة أن النسـاء الحوامـل يبكـين كثـيراً، يتعلّـق الأمـر بتراكُـم المـاء في الرَّحِـم وإضافتـه إلى إمـدادات الميـاه؛ مـمًا يتسـبَّب في حـدوث فيضـان في بعـض الأحيـان.

(1) davor suker: لاعب كرة قدم كرواتي.

أحـدِّق خـارج الزجـاج الأمامـي. تضـمُّ محطـة الوقـود الجديـدة أيضًـا مطعـمًا للوجبـات السريعـة. أشـاهد أبًـا شـابًا يمـر تحـت علامـة كنتـاكي الحمـراء الزاهيـة ممسـكًا بِيَـدِ ابنـه الصغـير. تبـكي لفـترة أطـول قليـلًا فيبتـل مُنفَـرج سـاقي. إنـه هطـول الأمطـار إذ يعـود إلى المصـدر، إنهـا دورة الحيـاة.

دفَعَـت نوبـات انفعالاتنـا العاطفيـة البخـارَ عـلى النوافـذ، فحوَّلَـت السيارة إلى مـا يشـبه الشرنقـة. ثـم أخـيرًا رفَعَـت وجههـا الـذي أغرقتـه الدمـوع. أُكـرِّر أسـفي.

"أنا آسف، لم أقصد أن أضايقك. أنا سعيد جدًّا بذلك".

"هل أنت كذلك؟".

"نعم، بالطبع، بكل تأكيد. أنا مبتهج".

"لذا هل تعتقد أنه يمكنكَ أن... تَثِق بي؟".

"هل يمكنكِ الوثوق بي؟".

أشعر بالمسدس في قدمي.

"نعم".

"لكنَّـكِ تعرفـين مَـن أنـا جانهيلـدور، أنـتِ تعرفـين مـا فعلتـه. أنـا لا أفهـم كيـف يمكنـك الوثـوق بي؟ كيـف يمكنـك تكويـن أسرة مـع شـخصٍ مثـلي؟".

"أنا أُحبُّكَ"ز

"وأنا... وأيضًا أنا".

قـد لا يكـون الأمـر صحيحًـا نحويًـا، لكـن المعنـى يصـل إليهـا ونتبـادَل القُبَـل. لقـد قطعـتُ شـوطًا طويـلًا، لقـد قطَعـتُ كلَّ الطريـق مـن إخـراج مسـدَّسٍ مـن شرج رجـل في غرفـة فنـدق بالطابـق الخامـس والأربعـين

في وسـط مانهاتـن، إلى احتضـان فتـاة شـقراء كالزُّبـدة في سـكودا حمـراء كالصليـب الأحمـر، في محطـة وقـود حقـيرة في إحـدى ضواحـي أيسـلندا، وأقـول لهـا إننـي أحبهـا، وأنـا لا أكـذب، عـلى مـا أعتقـد.

شعور حسن لعين.

ولـكي تسـتقيم الأمـور عـلى الإطـلاق؛ قـرَّر الراديـو أن هـذه هـي اللحظـة المثاليـة لأغنيـة "توكسـيك" لبريتنـي سـبيرز. مذهـل حقًّـا. بالعـودة إلى مدينـة نيويـورك، اعتـادت أن تكـون "أغنيتـي" بالطبـع. كان الفِتيـانُ يضايقوننـي بهـا. في الواقـع أحببتهـا نوعًـا مـا، حتـى انتهـى بي الأمـر بـشراء القُـرص المضغـوط اللعـين، واعتـدتُ تشـغيله بصـوتٍ عـالٍ في طريقـي إلى مَهمَّـة القتـل. كانـت تُشـعِرني بالقـوة، وتجعلنـي في مِـزاجٍ جيِّـد لقتـلٍ جَيِّـد. سَـماعُها الآن يكشـف للـذَّات القديمـة أن الجديـدة قـد ابتلَعَتهـا، الأولى صغـيرة مثـل رصاصـة، والأخـيرة كبـيرة مثـل الحـب.

لقد تطهَّرتُ من السموم.

لم تلحـظ جانهيلـدور الأغنيـة، وبعـد لحظـة طويلـة مـن السـعادة الشـديدة، واصلنـا السـير. يأخذنـا الطريـق السريـع المكوَّن مـن مسـارَيْن عـبر نفـق، أسـفل منحـدر وأعـلى آخـر، ثـم تحـت جـسر علـوي. تسـير سـيارات الدفـع الرباعـي الفاخـرة أمامنـا؛ مـمَّا يثـير "غبـارًا" مصنوعًـا مـن المـاء. تنعطـف إلى جاروبـير، المدينـة الخاملـة التـي يعيـش فيهـا والداهـا. ثـم قالـت فجـأة: "إذن، هـل تريـد أن تعيـش في أيسـلندا؟".

"نعم. ولكن فقط ما دُمتِ حيَّةً، بمجرد أن تموتي، سأرحل".

"لذا من المحتمل أن تقتلني؟".

"ليس إذا تزوَّجتِني".

"هل هذا طلب زواج؟".

"لا، إنه تهديد".

نظَـرَت إليَّ بابتسـامة يمكننـي أن أقتُـل مـن أجلهـا. عفـوًا لا. بابتسـامة يمكـن أن أعـرِّض نفـسي للقتـل مـن أجلهـا.

نحـن اثنـان سـعيدان مـن الهامسـتر، ونتوقَّـع الثالـث بينـما نتوقَّـف أمـام منـزل والديهـا. ألقيـتُ عليهـا نظـرة سريعـة وجـادَّة لأسـأل:

"هل يجب أن نخبرهما أيضًا عن الطفل؟".

عـاد وجههـا إلى طبيعتـه تقريبًـا، رغـم أن عينيهـا مـا زالتـا حمراويـن قليـلًا.

"لا ليس الآن. لستُ متأكِّدة ما إذا كنتُ أريد الاحتفاظ به".

"ماذا؟ جانهيلدور؟ لا!".

نظَرَت إليَّ لبعض الوقت ثم ابتسَمَت ابتسامةً بشفتيها الرطبتين.

"استرخِ. لقد كان مجرَّدَ اختبار".

33
زَمنُ الاجتهادات العِلاجيَة القَضائيَّة

2007/05/12

إنه مايو 2007. لقد مرَّ عامٌ منذ وصولي العابر إلى أيسلندا. منذ تقاعُدي المبكِّر من صناعة القتل. دخل إلى روحي شتاءٌ مليء بالأيام المظلمة والليالي الثلجية. والآن أصبَحَت مُشرِقةً مرّةً أخرى. الربيع هنا بارِدٌ كما كان دائمًا، مع ضوءٍ لا نهاية له، ومسابقة الأغنية الأوروبية، العربدة السنوية للنساء الرائعات والرجال المِثليِّين.

إنها الليلة.

نذهب إلى والِدَيْ جانهيلدور من أجل تجمُّعٍ عائليٍّ[1] تقليدي. الطفل الكرواتي الكبير بداخلها قد يحين موعده في أي لحظة الآن، وهي تبدو مثل الأفعى التي أكَلَت كُرَة السَّلَّة. تقول جان إنني أربِّت على بطنها كما لو كنتُ أنتظر مليون دولار وليس طفلًا. ترحِّب بنا

(1) Fjölskylduboð: بالأيسلندية في الأصل.

سيكريدر، وتُقبِّل ابنتها وصهرها على الخد، وهذا الأخير لأول مرة في الواقع، لقد استغرق الأمر موسم كامل من الظلام لتقبل حقيقة أن ابنتها ستنجب مُجرِمَ عصابات مُستقبليًا.

أخبَرَتني عَشيَّة عيد الميلاد، عندما تَصادَف أنْ كُنَّا وحدنا في مطبخها: "أريدك أن تعرف أنَّك إذا خذلتنا، فسأذهب إلى الهاتف وأتصل بالسفارة الأمريكية على الفور".

بعد أن تدرَّبتُ جيدًا على العادات الأيسلندية، خلعتُ حذائي الرياضي ووضعته في زاوية. يُسمح لجانهيلدور بألَّا تخلع حذاءها شبه العالي. (وفقًا لقواعد المنزل الأيسلندية، يُسمح لك بالدخول بحذائك إذا كانت تكلفته أكثر من مائتي دولار) تمشي في غرفة المعيشة وتخرج إلى الشرفة لتُقبِّل والدها.

جودموندور بالخارج يعبث بشوَّاية الغاز، فخر كلِّ منزل أيسلندي؛ مخلوق أسود بأربع أرجل وثَدي أصفر لامع يتحمَّل الشتاء الطويل في صمت. يتسكَّع في الحدائق الجليدية مثل حيوان ثديي في القطب الشمالي. تمَّ تصميمه في الأصل لحفلات الشواء في تكساس، وقد رأيتُ أفرادًا من بلاد الراحة[1] يزيلون الثلوج عن ظَهْره قبل إشعال اللهب. في بعض الأحيان، تعود شريحة اللحم المطهوَّة جيدًا نصف مُجمَّدة بسبب العاصفة الثلجية.. هؤلاء الناس سادة حقيقيون في خداع الذات.

بعد قليلٍ وصل آري شقيق جانهيلدور. لقد عاد إلى المنزل لبضعة أسابيع بعد دراسته لشيء له علاقة بالكمبيوتر في بوسطن. رجُلٌ أشقر بوجنتين حمراوين ونظارات. يبدو وكأنه نسخة مُحدَّثة من والده. نلتقي للمرة الأولى.

---

(1) Easelanders: حَرَّفَها الكاتب من Icelanders.

"مرحبًا، أنا توماس".

"أهلًا".

"ندعـوه تومـي!" يصيـح جودمونـدور بسـعادةٍ مـن الشرفـة، وهـو يرتـدي قُفَّـاز الشـواء ويمسـك الكمّاشـة. أطلـق عليـه أحيانًـا اسـم جونـدي.

أتحـدَّث مـع آري عـن فنـدق ويسـتن كوبـلي بـالاس في بوسـطن حيـث حـضر مؤخَّـرًا حفلـة عيـد الميـلاد الثلاثـين لأحـد أصدقائـه (وقـد نَفَّـذتُ العمليـة رقـم 30 قبـل بضـع سـنوات). ثـم شـاهَدتُ جانهيلـدور وهـي تفتـح البـاب الأمامـي لأوليـه وهاربـا اللذَيْـن يُحيِّيانهـا بابتسـامة وزجاجـة وباقـة زهـور. إنهـما يشـبهان إلى حـدٍّ مـا زوجـين مُختَلِطَـيْ الأعـراق: فتـاة العـود مدبوغـة إلى أقـصى الحـدود، لكـن رَجُـل اللحـم أبيـض كقُبَّعـة الطبـاخ.

بعد فترة وجيزة، وصل تورتشور وهانا مع أطفالهما الصامتين.

كالعـادة، مصافحتـه قادمـة مبـاشرة مـن الكتـاب المقـدَّس، وأنفاسـها الطبيعيـة غـير مُلوَّثـة بالفلورايـد أو غسـول الفـم. يجلبـون لحمهـم، ربمـا مـن الحَمَـل الـذي ذبحـه تورتشـور بنفسـه في مرآبـه. أحـضره إلى جودمونـدور، ودردش الرِّجُـلان لبعـض الوقـت بالقـرب مـن شـوَّاية الدخـان وكأنهـما زعـماء قبائـل.

"كيف تسير الأمور بشأن الخطاب؟" تسأل هانا.

" الأمور على ما يرام".

إنها تشير إلى خطاب فريندلي.

"أمرٌ جيِّد أن أسمع ذلك. وهل سترسله؟".

"لا أعرف، قد أفعل".

نـأكل مُبكِّرًا حيـث يبـدأ البَـثُّ المباشر السـاعة السـابعة في هـذا الجزء مـن العـالم. يرتـدي جودمونـدور ربطـة عنـق وردبـة ويرفعهـا عـلى كتفـه بينـما يـأتي باللحـم الدافـئ مـن الشرفـة الأرضيـة البـاردة. يسـألني آري عـن العمـل. يبـدو أنهـم لم يبلغـوه بمـاضيَّ الدمـوي. أخـبره عـن وظائفـي، بصيغـة الجمـع؛ لأننـي الآن أؤيِّـد التقليـد الوطنـي المتمثِّـل في وجـود وظيفتـين. في الصبـاح أعمـل في الكافيتريـا بالمكتبـة الوطنيـة، وأعمـل أربـع مـرات في الأسـبوع في كنيسـة تورتشـور. وهـذا يشـمل مسـح أرضيـات مـن عَـرَق الوحـي الإلهـي، وأحيانًـا مواسـاة المـرأة الوحيـدة التـي تبقـى لتتحـدَّث عـن خيباتهـا. وبينهـما أُنهـي دروسي في اللغـة الأيسـلندية وأعمـل عـلى رسـالتي.

يتضمَّـن هـذا الـشيء الأخـير البحـث الـذي أقـوم بـه عـادةً في المكتبـة عـلى الكمبيوتـر المحمـول القديـم لابنـة هانـا، وهـو عبـارة عـن قطعـة حَجَـرٍ مـن القـرن العشريـن مليئـة بالحِيَـل، ولكنهـا خاليـة مـن أي كماليات العـصر الأخـير. ومـن وقـتٍ لآخـر، أتلقَّـى أيضًـا دروسًـا في الكاراتيـه مـن تورتشـور في غرفـة المرتَبَـة.

أوليه وهاربا خجولان بعض الشيء في وجود كل هؤلاء المشاهير.

يركِّـز أوليـه عـلى الأكل، بينـما يرقـص قرطـه الصغـير في فكِّـه مثـل نظـارات سـامي وهـو يمضـغ الحَمَـل السـماويَّ بـلا هـوادة، لكـن هاربـا بالـكاد تلمـس نصيبهـا. ينظـر تورتشـور إلى زجاجـة حمـراء كـما لـو كانـت مليئـةً بـدم الشـيطان. عـرض أوليـه أن يسـكب لي البعـض لكنـي أرفـض بصمـت. تـأتي لحظـة وجيـزة مـن الإثـارة عندمـا تطلـب منـي جانهيلـدور تمريـرَ الصلصـة وتناديـني بــ"تـود" إذ تعضُّ شَـفَتَها، لكـن "أوليـه" و"هاربا" يشـعران بضغـطٍ شـديدٍ فلـم يلاحظـا ذلـك، في حـين تَحـدَّث آري مـع هانـا.

يتحـوَّل الحديـث إلى الحـرب في العـراق ومشـاركة أيسـلندا فيـه. بطريقـةٍ مـا، تمكَّنـت الدولـة التـي لا جيـش لهـا مـن الخـروج بجُنـديٍّ واحـد، ثـم أرسَـلَته إلى بغـداد للمسـاعدة في هـذه الفـوضى الكبـيرة. ولكـن الآن تجـري عمليـة إعادتـه إلى المنـزل. لقـد تَطلَّـب الأمـر كتيبـةً كاملـة مـن الأمريكيـين لحمايـة الوغـد البائـس.

"لم يرغبـوا في المخاطـرة بالقضـاء عـلى الجيـش الأيسـلندي بأكملـه"، كـما يقـول آري بلهجـة أمريكيـة، ثـم يضحـك ضحكـةً بلهـاء بعينهـا لم أسـمعها منـذ سـنوات، لكننـي أتذكرهـا مـن كافتيريـا الجامعـة في هانوفـر. درس شـقيق نيكـو علـومَ الكمبيوتـر، وكان أصدقـاؤه يضحكـون بهـذه الطريقـة طـوال الوقـت. الأولاد الأذكيـاء يضحكـون على غبـاء الآخريـن... و"الآخرون" هـم جميـع الأشـخاص في العـالم باسـتثناء أولئـك الذيـن يدرسـون علـوم الكمبيوتـر في جامعـة هانوفـر.

يضحـك أوليـه معـه، لكـن تورتشـور ينظـر إليهـما مـن تحـت حواجـب ثقيلـة، كـما لـو كان يفكِّـر في تسـليح كل المصلِّـين وإرسـالهم إلى العـراق ليُعلِّـم هـؤلاء المسـلمين كيـف يختنـون قلوبهـم. لكـن بـدلًا مـن ذلـك التفـتَ إليَّ -ابـن مواليـد طفـرة الكتـاب المقـدَّس- وقـال إن هـذه سـتكون المـرة الأولى عـلى الإطـلاق التـي يشـاهد فيهـا مسـابقة الأغنيـة الأوروبيـة. يقـول إنـه يفعـل ذلـك مـن أجـلي.

"وأنـت تنظـر إلى رجُـلٍ أخـبر شـعبه ذات مـرة أن تكريـس وقتـك لمهرجـان الحمقـى هـذا كان شـكلًا مـن أشـكال عبـادة الشـيطان. هـا هـا. كانـت تلـك هـي السـنة التـي أرسـلنا فيهـا لوطيًّـا يرتـدي زي لوسـيفر[1] نفسـه. لا، إنـه لا شيء سـوى الغـرور وانزعـاج الـروح. لكنـي سـأعضُّ لسـاني هـذا المسـاء.. هـا هـا".

(1) Lucifer: اسم الشيطان في المسيحية قبل خروجه من نعيم الرب.

سيكون عرضًا متوحشًا. منذ فوز الوحوش من فنلندا العام الماضي، تقام مسابقة هذا العام في هلسنكي.

يبدأ البَثُّ بهم وهم يعزفون الأغنية الفائزة "روك هلّلويا". مشاهدة رَدِّ فِعل تورتشور أمر مُعذِّب حقًّا. ومع ذلك، أظن أنه معجب قليلًا بعازفي الروك الدينيين. إن أسلوبه الكرازي متأثِّرٌ بأسلوب الهيڤي ميتال بدرجة كبيرة.

دور أيسلندا هو رقم خمسة في القائمة. عازف روك أصهب متأثِّر بالبرد ويرتدي الجِلّد يصيح بـ "عيد الحب المفقود". جانهيلدور تحبه، وأنا كذلك. أشاهدها تجلس بجانب شقيقها على الأريكة، وهي تمدُّ ساقيها البيضاوين الطويلتين على الأرض، من تحت الفستان القصير الأسود المشدود على بطنها. حبيبتي المُشرِقة. احمرَّت الشفاه والفخذان بسُمكِ بوصة واحدة عن العام الماضي. أصبحت مُؤخَّرتها لاتينيَّةً تقريبًا الآن، وقد ارتفع ثديها إلى مستوى مناسب. بشكل عام، تبدو أكثر جاذبية، بصرف النظر عن بطن كرة السلة الصُّلبة من أثر تراكم المياه، لكنني لم أدفعها للبكاء على الإطلاق في الشتاء الماضي.

ثم ألقي نظرة فاحصة أخرى على تورتشور. رئيسي الجديد، ديكان الأيسلندي. إذا كانت لديه نقطة ضعف تجاه وحوش تمجيد الله فيمكننا القول إنه عاد إلى شخصيته المُحِبَّة للهارد روك الآن. تنعكس ألسنة اللهب المتلألئة "الغرور وانزعاج الروح" في نظارته، بينما يُعبِّر عن ازدرائه بشفتيه، وهو يتحرك في لحيته مثل دودتين على العشب. إن مشاهدته إذ يتابع مسابقة الأغنية هذه مُسلِّية أكثر من مشاهدة العرض نفسه. يُذَكِّرني بديكان وهو يشاهد دينامو زغرب يخسر أمام هايدوك(1).

(1) نادي كرة قدم كرواتي.

قـرَّرَت كرواتيـا هـذا العـام اسـتخدام جهـاز ضبـط الوقـت مثـل أيسـلندا. إنـه دادو توبيتـش يلعـب وحـده مـع بعـض الأطفـال الذيـن لم أرهـم مـن قبـل. دادو هـو ملـك موسـيقى الـروك الكرواتيـة، لقـد كتـب الموسـيقى التصويريـة لشـبابي كلـه. حتـى إنـه كان حـاضرًا في الليلـة التـي فقَـدتُ فيهـا عُذريَّتـي.

الآن يغنـي: "أؤمـن بالحـب[1]" بصوتـه الخَشِـن العميـق، ولا يـزال شَـعرُه طويـلًا ويرتـدي حـذاء رُعـاة البقـر.

الأغنيـة جيـدة في الواقـع، لكـن تورتشـور يقـول إن الفتـاة التـي تُغنِّـي معـه غـير متناغمـة. برَبِّـكَ يـا رجـل!

قبـل أن تنتهـي الأغنيـة، يـرنُّ جـرس البـاب، فيذهـب إليـه جودموندور، ثـم يعـود قائـلًا إنـه لي. ألقـي نظـرة سريعـة عـلى والـدة طفـلي وأتَّجـه نحـو البـاب. إن البـابَ مُـوارَب، فيندفـع في وجهـي بَـردُ الربيـع الأيسـلندي المذهـل مثـل نـوع مـن الغـاز عديـم الرائحـة الـذي يجعلـك ترتجـف حتـى العَظـم- لكـن لا يمكننـي رؤيـة أي شـخص هنـاك.

أخطـو عـلى العتبـة الذهبيَّـة الشـهيرة وأبحـث عنهـا. يمسـك شـخصٌ مـا بذراعـي ويمكننـي أن أشـعر بفوَّهـة المسـدس إذ تخـترق جانبـي الأيـسر. ربمـا تـمَّ غسـل عقـلي في نهـر الأردن، لكـن جهـازي العصبـي لا يـزال جنديًّا. أشـعر بالمسـدَّس عندمـا يكـون هنـاك.

إنه نيكو.

من بين جميع الرجال في العالم، إنه نيكو اللعين.

يَخفُـق قلبـي عـلى الفـور قبـل أن تهبـط الإبـرة عـلى أغنيـة بريتنـي "توكسـيك". في لحظـة واحـدة، تطغـى حيـاتي القديمـة عـلى الجديـدة.

(1) بالكرواتية في الأصل.

يقـول باللغـة الكرواتيـة بابتسـامة معتـادة: "تسـعدني رؤيتـك"، ويطلب منـي الانضـمامَ إليـه في جولـة، مشـيراً إلى سـيارة أودي سـوداء تقـف في الشـارع. "أعتقـد أننـا يجـب أن نتحـدّث".

من الجيد أن أسمع لسانَ وطني مرّةً أخرى.

أقـول لـه إننـي بحاجـة للحصـول عـلى حـذائي. مـن الواضـح أنـه لم يكـن مسـتعدًّا لهـذه المعلومـة المباغتـة، وشـاهَدَني أعـود داخـل المنـزل.

الحـذاء خلـف البـاب. ربمـا ينبغـي أن أدعـو أوليـه للقفـز إلى المطبـخ للحصـول عـلى سـكّين حـاد، أو أطلـب مـن تورتشـور أن يُخـرج لسـانه النـاري. لكننـي أكتفـي بالانحنـاء فـوق حـذائي الريـاضي ذي النَّعـل السـميك، وشـعرتُ بنظـرة نيكـو الحـادة تطعـن ظهـري، بينـما أسـتمع إلى الأوتـار الأخـيرة لصـدى أغنيـة دادو مـن أحشـاء المنـزل متبوعًـا بالتصفيـق المجنـون مـن الجمهـور. أرتـدي حـذائي، وحـين مَـدَدتُ يـدي لأمسـك بسـترتي الجلديـة السـوداء هـزَّ نيكـو رأسـه رفضًـا.

أقول "لكن الجو باردٌ بحقِّ اللعنة".

"لن يطول الأمر".

تـصرخ جانهيلـدور بـشيء مـن غرفـة المعيشـة فأتـردد للحظـة، وأنـا أنظـر في عينَـيْ صديقـي القديـم، قبـل أن أغلـق البـاب خلفـي، وبمجـرّد أن نكـون بالخـارج يفتِّشـني بسرعـة، ويبحـث عـن بندقيـة آليـة في إبطـي، في جيـوبي، بـين فخـذي. أرتـدي سُـترَةً سـوداء رفيعـة فـوق قميـص أبيـض وسروال جينـز رائـع سـاعدتني جـان في اختيـاره. عندمـا دخَلـتُ السـيارة، ظنَنـتُ أني لاحظـت بعـض الحركـة في نافـذة غرفـة المعيشـة الخاصـة بنُسَـبائي. كـما لـو أن أحدهـم قـد رآنـا. لا داعـي للقَلـق حقًّـا. سـيحضر الرِّجـالُ المقدَّسـون فريقَهـم الخـاص مـن ملائكـة التَّدخُّـل السريـع لإنقاذي.

إذًا... مُنِعتُ للسنة الثانية على التوالي من مشاهدة مسابقة يوروڤيچن بالكامل. كنت أتطلّع حقًّا إلى فقرة الدخول الصربي. تردَّدَت شائعةٌ أنهم سيُدخلون قِزمَةً مِثليَّة، تبدو مثل ابنة ميلوسيڤيتش[1] غير الشَّرعيَّة، تصلي من أجل الحب، أو السلام، أو قطعة من أرضنا، أو أي شيء آخر.

لم يتغيَّر نيكو كثيرًا، تحوَّلت لحيته الصغيرة إلى اللون الرمادي قليلًا، وظهرت على جِلدِه علاماتُ البرد. لكن الأنف الطويل ومُقَل العيون السوداء القاسية موجودة- نظرته تلك التي تقول بوضوح "لا تعبث معي بحقِّ اللعنة!". يُلقي بنفسه على المقعد بجانبي، وينطلق السائق.

تفوح من السيارة رائحة الجِلد والرفاهية. يبدو أن عمرها حوالي ساعتين. أتعرَّف على السائق، إنه مُموِّل نيويورك، رادوڤان العزيز الحبيب. حلق رأسه تمامًا، حتى إنه يرتدي نفس النَّظَّارات الشمسية اللعينة التي ارتداها في آخر يوم لي في أمريكا.

إذًا حان وقت لَمِّ الشمل، تكرار اللقاء[2]. يجب أن نتَّجِه إلى مطعم فاخر حيث ينتظر دون ديكان في نهاية الطاولة، محاطًا بشبيهات جان، ويمتصُّ سيجار هاڤانا الدَّسِم الذي كان يحاول إشعاله على مدار الثلاثين عامًا الماضية.

نيكو يراقبني، ويحتفظ بمسدَّسه أ.ق.أ بالرغم من أنه ظلَّ يُصوِّبه ناحيتي. إنه من طراز نسر الصحراء، وهو شبه آليٍّ شديد السَّواد صُنِع في إسرائيل. أذكر عندما حصل عليه لأول مرة، احمرَّ تَشوُّقًا مثل صبي، لقد صمَّم أن يحصل على واحد بعد أن شاهد أول أجزاء فيلم ماتركس.

(1) سلوبودان ميلوسيڤيتش: رئيس جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية من 1997 حتى 2000.

(2) بالكرواتية في الأصل.

كعـادة نيكـو. تشـبه عيونـه السـوداء فتحـة البرميـل. ثلاثـة ثقـوب سـوداء تحـدِّق في وجهـي. "لا تعبـث معـي بحـق الجحيـم!" هـذا مـا شـعر بـه ضحايـاه عندمـا واجهـوا المسـدَّس المَحشـوَّ والإصبـع التـي تنـوي قتـلًا. إلَّا أن اللـه في صَفِّـي. في كل مـكانٍ عَينَـا الـرَّبِّ مُراقِبتـان الطَّالحـين والصالحـين[1].

يبـدو أن رادوڤـان أمـضى أسـبوعًا في ريكياڤيـك. إنـه يقـود سـيارته مثـل محـلِّيٍّ بالفعـل، بثقـة وسرعـة كبيرتـين. الشـوارع مهجـورة. الجميـع يشـاهد السُّـحاقيَّات الصِّربيَّات.

"إذن انتظرتَ اللحظة المناسبة؟" أسأل.

يقول نيكو: "كُنَّا ننتظر هذه اللحظة".

أقول: "أنا أيضًا. لقد استغرق الأمر وقتًا أطول ممَّا كنتُ أعتقد".

"ربما اعتقدتَ أنك هربتَ منَّا... يا توماج ليڤور؟".

عليَّ الاعتراف بأني مُعجَبٌ ببحثه.

"مَن هو رَجُلُك؟ تراستر؟".

"تراستر؟ مَن هو ذاك؟".

"لا تهتمَّ. ماذا يحدث في نيويورك؟".

"لقد أفسدتَ الأمر يا توكسيك".

يقـود رادوڤـان في الطريـق الخـالي. يبـدو أنـه مُتَّجِـهٌ إلى المطـار، إنهـم يعيدونـي، السـؤال الوحيـد هـو مـا إذا كنـتُ سأسـافر في رحلـة عمـل أم مشـحونًا.

"ماذا حدث؟" أسأل.

---

(1) (أمثال 15: 3)

لا إجابة، فأحاول مرة أخرى:

"كيف أخطأت؟ لقد اتَّبعتُ الأوامر، فعلتُ فقط ما طلب مني ديكان أن أفعله".

"لقد أخفقتَ يا سام. مات إيڤو، ومات زوران، ومات برانكو براون، وكذلك برانكو كارلوڤاتش".

"وديكان؟".

"الزعيم بخير".

يبتسم رادوڤان من مقعد السائق ويتحدَّث في مرآة الرؤية الخلفية:

"أخبرني ديكان أن أقبِّلَك. عندما تموت! ها ها".

"اخرس وقُدْ!" يصرخ نيكو.

إذًا سيكون السَّفر شَحِنًا. بدأت الدقائق الخمس عشرة الأخيرة في التُّكتكة. يتحوَّل القلب من موسيقى البوب لبريتني إلى فوجا جنائزية. تأخذنا سيارة أودي السوداء عبر مصنع الألمنيوم الممتد في ضواحي المدينة، وينبعث من الراديو الناعم لويس أرمسترونج، ينفخ في بوقه "من الخدِّ للخَدِّ"[1] ويخبرنا أنه في الجَنَّة.

"مَن قتلهم؟ الفيدراليُّون؟" أسأل، وأضع قدمي اليسرى خلف اليمنى.

أن أكون قادرًا على التحدُّث بلُغَتي مرة أخرى، بهذا القُرب من النهاية، يُشبِه عَرضَ سيجارة أخيرة على مُدخِّن شَرِهٍ أقلع عن التدخين قبل الحَدَث الكبير. تخرج الكلمات الكرواتية من فمي مثل حلقات الدخان النَّهِمة.

في الواقع، رؤية وجه نيكو مرة أخرى، تثير رغبتي في التدخين.

(1) Cheek to cheek.أغنية جاز أمريكية شهيرة.

"أنتَ قتلتهم يا توكسيك".

قتلتُهم. لا بُدَّ وأن عملية مكبِّ النفايات قد تسبَّبَت في سلسلة من الاجتهادات العلاجية القضائية. لكنَّ الفيدراليين لا يقتلون الناس، على الأقل ليس قبل أن يسمعوا قصة حياتهم عبر الملابس الداخلية المتَّسِخة الموضوعة فوق رؤوسهم، بتشجيع من كلب بوليسي مجنون ينبح على أعضائهم التناسلية العارية. أنا لا أفهم، كنت مُجرَّد قاتِلٍ مُحتَرِف، لم أرغب في إيذاء أحد. والآن أنا مَن يَلقَى اللوم؟ أُركِّز على أشياء أبسط. يجب أن أواصل الحديث.

"هل قتَلتَ مونيتا؟" سألتُ صديقي القديم وشريكي السابق في السَّكن، بينما أدفع طرف حذائي الأيسر بحذر مقابل كعب يميني.

"مونيتا؟" يُكرِّر نيكو بابتسامةٍ وهبَّةٍ قصيرة في الأنف.

يقول رادوڤان: "كان جسدها رائعًا، لكنَّ الرأس قبيح".

يضحك نيكو، يضحك نيكو وهذه هي اللحظة المناسبة. أدفع الجزء السُّفلي من كعبي الأيمن بإصبع قدمي الأيسر بقوة، حتى ينفصل النَّعل عن الكعب: تمكَّنت من "فتح" الحذاء من الخلف، فأرفع قدمي وأهزُّها قليلًا، يتدحرج المسدس الصغير برفق من الجزء الخلفي من حذائي، إنه على الأرض الآن. أضغط عليه بقدمي اليسرى، لقد فعلت ذلك مئات المرات، تدرَّبتُ بقوَّة طوال فصل الشتاء. لا يلاحظ نيكو أيَّ شيء ويواصل الضحك.

يُردِّد رغيف اللحم "رأس قبيح" ثم ينعطف إلى الطريق الرئيسي ويتَّجه إلى طريق ترابي نحو الجبال. لقد اختفت الانجرافات الثلجية تقريبًا، وتحوَّلَت الطحالب على الحُمَم إلى اللون الأخضر، وصار العَدَمُ من حولنا مُطلَقًا.

لا أشـجار ولا طيـور ولا شيء. فقـط بعـض الصخـور القـذرة ورذاذ الطحالـب هنـا وهنـاك. هـذه المناظـر الطبيعيـة القمريـة بعيـدة جـدًّا عـن المنحـدرات البيضـاء، وهـي مُزيَّنـة بأشـجار السـرو وأشـجار الزيتـون، التـي أعرفهـا مـن التِّـلال المحيطـة بسـبليت. لقـد بـدأت أقـدِّر الفـراغ الجليـدي البـارد الآن، لكـن علـي أن أعـترف أننـي مـا زلـتُ أفتقـد نبـع البحـر الأدرياتيـكي. وفجـأة بـدأت أدقُّ النشـيد الوطنـي لكرواتيـا جميلتِنـا[1].

"درافا، سافا، استَمِرَّ في التَّدفُّق

يا دانوب، أنتَ تعرفُ وجهَتَكَ".

نيكـو يحفـر في أذنيـه، لكنـه لا يسـتطيع مجـاراة الأغنيـة ولا الكلـمات. أُهَمهِـم بصـوتٍ أعـلى قليـلًا، وعينـي دافئـة. في كل مـرة تسـمع فيهـا هـذه الأغنيـة، يظهـر حـوالي عشريـن ألفًـا مـن الكـروات أمـام عينيـك، جميعهـم يرتـدون القميـص الوطنـي باللونـين الأحمـر والأبيـض، وهـم يصرخـون في المدرَّجـات ويصرخـون قبـل مباراتنـا الأخـيرة في فرنسـا 98.

"أخبِرْ البَحرَ وأخبر الرمال أن الكرواتيَّ يحبُّ وطنه".

"اسكُتْ!" يصرخ نيكو. "اخرس بحقِّ اللعنة!".

أقول: "حسنًا... هل يمكنني تدخين سيجارة قبل أن تقتلني؟".

"هل عُدتَ للتدخين" يسأل نيكو.

"لا تَقُل، لن يقتلني".

ينظـر إليَّ وكأنـه يريـد إطـلاق النـار عـليَّ عـلى الفـور. ربمـا كان سـيفعل ذلـك، إذا كان عمـر السـيارة الـ أَوْدي أكـبرَ من سـاعتين.

(1) بالكرواتية في الأصل.

34
بوك[1]

2007/12/05

يوقف رادوفان السيارة في موقفٍ جانبي وَعرٍ بجوار الطريق حيث يسود الأرضَ الصَّمتُ المطبق. أحاول الحفاظ على هدوئي عندما يخرج نيكو من السيارة ويترك الباب مفتوحًا. يقوم ببعض حركات الرقص الحديثة السريعة، ويُظهِر مُسدَّسه الرائع للبيئة المحيطة.

نعم يا رجل، من الأفضل أن تنتبه إلى تلك القُبَّعات البيضاء. أنحني للأمام بشكل عفوي، وأتمكَّن من التقاط المسدس الصغير من الأرض دون أن يلاحظ السائق. أنتوي التخلُّص منه على الفور، لكن عندما صرخ نيكو لي بأن أخرج بحق الجحيم من السيارة، أتردَّد بشدة، أضع المسدس في جيبي بحذر وأخرج من السيارة وقلبي يعزف جميع أنواع الموسيقى مثل راديو متعثِّر.

(1) Bok: تحية كرواتية تعني إلى اللقاء أو أهلاً.

قُضي عليّ.

ليلة الربيع الساطعة شديدة البرودة. يأمرني نيكو أن أمشي أمامه، بعيدًا عن الطريق، ثم يصيح في رادوڤان، إذ لا يزال داخل السيارة. أشقُّ طريقي عبر سطح الحُمَم الجامدة غير المستوية. توجد بُقَعٌ من الطحالب الخضراء الفاتحة والرمادية هنا وهناك، وعلينا أن نتخطّى بعض الفتحات المستطيلة والضيقة في أرضية الحمم، والتي تبدو مثل مُنمنَمات جراند كانيون[1]، يمكنك أن تُسمِّيها شقوق.

أحاول جاهِدًا أن أمشي بشكل طبيعي بينما أبذل قصارى جهدي لإخفاء النعل الفضفاض لحذائي الأيمن. سَمِعتُ رادوڤان يخرج من السيارة، يغلق بابها ويملأ أذني بالصَّوت، آخر باب في حياتي... يمكنني أيضًا أن ألتَفِتَ الآن، وألتقط المسدس وأقضي عليهما في لمح البصر.

لا لن يفلح الأمر. نيكو سريعٌ بما فيه الكفاية.

أخيرًا أخبرني أن أتوقَّف. فَهِمتُ، لقد قاما باستذكار دروسهما جيِّدًا.

نتوقَّف عند حافَّة شقٍّ من الحُمَم البركانية كبير بما يكفي ليكون نعشي. ستبتلعني أيسلندا مثل سائحٍ قليلِ الحظّ.

أستدير لمواجهة صديقيّ وجَلَّادَيَّ. كُلُّنا نرتعد من البرد، لا بُدَّ وأن درجة الحرارة حوالي درجتين مئويَّتين. لا يمكن سماع سيارة أو طائر أو طائرة، الهواء ساكن تمامًا، الصمت مُطلَق. أفكر في جانهيلدور. إنها حتمًا في السيارة الآن، تجول بلا هدف، يائسة. أو ربما لا يزالون في المنزل، مُحتَجزين كرهائن على الأريكة مع دخول الفريق الأوكراني للمُسابقة، معتقدين أنني لا بُدَّ أنني خرجتُ مع صديق قديم من مدرسة العصابات.

(1) Grand canyon: الأخدود العظيم في الولايات المتحدة الأمريكية.

يأمر نيكو رادوفان بإعطائي سيجارة. في الواقع كِدتُ أنسى الأمر. الأبله يُخرِج العلبة ويرمي لي واحدة. إنها "بال مال". لا يوجد حدٌّ على الإطلاق لغَرابة هذا الرجل. على الرغم من أنه يبدو مثل الهيكل الأبيض في بذلة، فنّانته المفضلة هي سيلين ديون. قال لي ذات مرة إنه شاهد تيتانيك ثلاثين مرّة. أطلب قدّاحة، فيفتّش الأصلع جيوبه دون جدوى.

يواصل نيكو تصويب نسر الصحراء إليّ. أُبقي عينَيّ على فوّهته بينما يستخدم يده الحرة ليلتقط قدّاحةً من بنطاله. يلقيها في وجهي، أتظاهر بإمساكها، لكنني أتركها لتُفلِت من يدي وتهبط على أرضية الحُمم البركانية. أستأذن قبل الركوع للحصول عليها، إنها من زغرب ساموفار. أتردّد للحظة قبل التقاط القداحة، وأنظر لنيكو نظرةً خاطفة، إنه متوتّرٌ كالنسر المُقيَّد.

"لا تعبث معي بحق اللعنة!" من الواضح أنه لا يستطيع الانتظار ليقصف وجهي برصاصة طويلة من مُسدّسه الأسود الكبير. ومع ذلك، فقد وعدني بأن يسمح لي بالتدخين للمرة الأخيرة، من أجل الأيام الخوالي.

قد تكون هذه لحظتي، أقول لنفسي وأنا أمسك بالقدّاحة. لكن لا... أتردّد مرّةً أخرى. أنهض دون أن أفعل أي شيء، وأشعل السيجارة التي تهتزُّ في فمي مثل ذراع ناقل السُّرعات في الجرار. قلبي يُكرِّر نفس النبض مرارًا وتكرارًا، مع صوت قُرصٍ مضغوط عالق على وضع الخدش.

أزلت السيجارة من شفتيّ وتأمّلتها، تلك الـ 3.5 بوصة من الورق والتبغ، أنا أبعَدُ 3.5 بوصات عن قبري. لديّ 3.5 بوصات لأتصرّف فيهم. الآن 3.41 على وجه الدِّقّة.

بـدأت بالتدخـين في الحـرب. في تلـك الأيـام المجنونـة، كل سـيجارة تضـع شـفتيك عليهـا تُمثِّـل سـبع دقائـق مـن وقـف إطـلاق النـار، لمحـة مـن الجَنَّـة في وسـط الجحيـم. بعـد الحـرب أصبـح الأمـر عكـسَ ذلـك: كل سيجارة تجلـب سبع دقائـق مـن إطـلاق النـار والقصـف؛ لذلـك اسـتقلتُ. تلـك الصـورة هنـا يمكنهـا فقـط أن تعيـد ذكريـاتي المتناثـرة: أمـي تشـتم في المطبـخ، محطـة القطـارات المركزيـة اللعينـة في هانوفـر، رَجُـل وينيبيـج ومحفظتـه الداميـة، ابتسـامة جانهيلـدور ذات لـون الشِّـفاه الأحمـر. أُدخِّن ببُـطءٍ قـدرَ الإمـكان.

"لكن لماذا تقتلني؟ ما الغرض؟".

"اخرس".

"لقد استقَلتُ. لم أعُد أسافر بعد الآن. أنا فقط...".

"اخرس عليك اللعنة!".

"آسف. اسمحا لي فقط أن أنهي هذا وبعد ذلك يمكنكما...".

نتحـدَّث باللغـة الكرواتيـة كسـالف الأيـام. عليـك أن تتخيَّـل ترجـمات بيضـاء ناصعـة تومـض عـبر صدورنـا المُظلِمـة.

أسحب نَفَسًا مرَّة أخرى، وأراقب الجبال الزرقاء المنخفضة أمامي.

لا بُـدَّ أنهـم شـاهدوا شـيئًا كهـذا مـن قبـل. حيـث السـماء فارغـة، لا سـحب ولا طائـرات. في مـكانٍ مـا خلفـي، تنبسـط ريكيافيـك عـلى مسـافة بعيـدة، المدينـة الرابعـة في حيـاتي، وفي البحـر لا بُـدَّ وأن غـروب شـمس الربيـع المـشرق قـد بـدأ بقـوَّة.

وادعًـا أيَّتهـا الدنيـا[1]. أزفـر وأنظـر إلى كعـب المسـدس. لم يتبـقَّ سـوى نَفَـسٍ واحـد في السـيجارة، بَقِـيَ عـلى حيـاتي أقـلُّ مـن بوصـة واحـدة.

(1) بالكرواتية في الأصل.

اضطـرب صديقـاي الزائـران. أرفـع السـيجارة الصغـيرة إلى شـفتيَّ وأسـحبُ نَفَسًـا.

ها نحن.

أنحنـي إلى الأمـام، مُتظاهِـرًا بإطفـاء السـيجارة في الطُّحلـب المتجمِّـد بيـدي اليـسرى، بينـما أمـدُّ يـدي اليمنـى في جيبـي. يـصرخ نيكـو عـلى الفـور ويتقـدَّم للأمـام، مُصوِّبًـا مسدسـه إلى الأسـفل باتجـاه رأسي. سريعًـا مثـل الثَّعلـب الهائـج، أنبطـح إلى يمينـي، وأتدحـرج عـلى الأرض البركانيـة الصُّلبـة، وأُطلِـق النـار.

ترتـدُّ الرصاصـة في حلقـات مـن الحُمَـم البركانيـة في آذاننـا. وقبـل أن يـدرك أننـي أحمـل مُسدَّسًـا، دفَنـتْ رصاصـةً في أعـلى ذراعـه اليمنـى، فـصرخ صراخًـا مكتومًـا. هـمَّ رادوڤـان عـلى الفـور بالبحـث عـن سـلاحه، لكنـه تلقَّـى رصاصـةً في معصمـه الأيمـن. يـصرخ بصـوتٍ عـالٍ، بينـما يمسـك نيكـو مُسدَّسـه بذراعـه المصابـة بيـده اليـسرى، أنهـض عـلى قدمـيَّ، وأصـوِّب المسـدس نحوهـما وأصيـح:

"ألقِ السلاح! ألقِ المسدس اللعين!".

ينظـر نيكـو إليَّ بعينـين مرتبكتـين. "مـا هـذا بحـق اللعنـة!" لديـه السـلاح الآن في يـده اليـسرى.

"قُلتُ ألقِهِ!".

يسـيل الـدم مـن ذراعيهـما المصابتـين. لا يـزال رادوڤـان يرتـدي نظَّارتـه الشمسـية، ويبـدو مثـيرًا للسـخرية، مثـل رجُـل عصابـات مُصطَنَـعٍ في فيلـم روسي مـن الدرجـة الثانيـة.

"ألقِ المسدس اللعين!".

لسبب غامض، أستخدم هنا الكلمة الإنجليزية "مُسدَّس"[1] بدلًا من الكرواتية pistolj. يجعلني هذا أفكِّر في جانهيلدور.

يصرف التفكير انتباهي فيشم نيكو ضَعفي بخبرته. رفع المسدس ضدي بسرعة. نضرب في وقتٍ واحد، مثل توائم روح كما كُنَّا دائمًا. تسقط رصاصتي في ذراعه اليسرى التي تحمل مُسدَّسًا. صراخه أعلى الآن، أحاول ابتلاع صرختي. ينطلق خطٌّ من الدفء الغريب أعلى فخذي في اتجاه فخذي اليسرى. ثم يتحوَّل الدفء إلى نار. يبدو الأمر كما لو كانت مباراة تشتعل، أوَّلًا الضربة ثم الحريق.

إنها رصاصة نموذجية من يدٍ يسرى. كان يستهدف قلبي لكنه حصل على المثانة. بينما أصَبتُ أنا الهدف. إنه بارعٌ مثل أعزل، وكذلك رادوفان بعد رصاصة أخرى من بي بي 9. وفجأة أجدني أصوِّب إلى السلاح فقط. لقد أطلقت أربع رصاصات ولكن لم يَمُت أحدٌ حتى الآن.

يتلوَّى وجهَا صديقيَّ ألمًا، كما حتمًا يتعذَّب وجهي أيضًا. أيديهم مُعلَّقة بجانبهم بلا حياة، خنازير مذبوحة حديثًا، والدم ينزف من حوافرهم. أُوجِّه مُسدَّسي الصغير نحو رأسيهما الآن، وبعد المزيد من الصراخ، أسقط نيكو مسدَّس نسر الصحراء الكبير. أطلب منه أن يعطيه ركلةً ثم أنحني بسرعة لاستلامه، وأثبِّت قامتي مرَّةً أخرى بصعوبة بالغة. أبعاد الألم في فخذي غير مسبوقة.

خراءٌ مُقدَّس.

وضعتُ مُسدَّس نيكو في جيبي.

طلبتُ من رادوفان أن يقترب ويفتح سُترَتَه لي، لكنه بالطبع لا يستطيع بسبب يديه. اقتربتُ منه بحذر، وعيناي تميلان بينه وبين

(1) Gun.في إشارة إلى جانهيلدور.

نيكـو كل ثانيتـين، أفتـح سُـترَته السـوداء ماركـة أرمـاني بيـدي اليـسرى، سـلاحه في الجيـب الداخـلي، مسـدَّس فـضِّيٌّ مـن طـراز سـميث آنـد ويسـون. لكـن عندمـا أمسـك بـه، يحـاول العمـلاق الغبـي دفعـي بعيـدًا بمرفَقِـه. ينتهـز نيكـو الفرصـة ليهاجمنـي، برأسـه أوَّلًا، مثـل كبـش مجنـون بـلا قـرون. تخلَّصـتُ منـه بضربـة "مرفـق" بسـيطة، وهـو أمـرٌ أتقنتـه في تدريـب تورتشـور هـذا الشـتاء. مع سـقوط نيكـو، لا يخاطـر رادوڤـان بـأيِّ حِيَـلٍ أخـرى، وسرعـان مـا أغتنـم مسدَّسـين في جيبـي والثالـث في يـدي.

أخـرج مفتـاح السـيارة مـن جيـب رادوڤـان ثـم أنتظـر بصمـتٍ نيكـو ليعـود إلى رشـده. أمـرت كليهـما بالزحـف إلى الـوادي الصغـير. يسـتغرق هـذا بعـض الوقـت. لا يـزال رادوڤـان يرتـدي النظـارات الشمسـية، ويبـدو أكـثر سـخافةً، إذ يمـضي إلى مـوتٍ كوميـديٍّ. أطلـب منهـما الاسـتلقاء والانبطـاح أرضًـا، وأعـضُّ شـفتيَّ مـن الألم. شيء مـا يتـسرَّب مـن فخـذي اليـسرى، أشـعر وكأننـي أتبـوَّل عـبر خصيتـي.

هـذا هـو زمـن الحـرب مـن جديـد. الصيـاح في وجـوه النـاس باللغـة الكرواتيـة، ومُسـدَّس في يـدي ونزيـف في سـاقي. تشـغل بِنيَـةُ السـائق الضخمـة معظـمَ المسـاحة الموجـودة في نعـش الحُمَـم البركانيـة. ويبـدو نيكـو بجانبـه وكأنـه زوجـة عـذراء نحيفـة عـلى وشـك أن تُدفـن مـع زوجهـا، وعيناهـا تصرخـان: "أرجـوك، ضاجِعنـي بـدلًا مـن ذلـك!".

"انبَطِح أرضًا بحق اللعنة!" أصرخ، وأبدو متوتِّرًا قليلًا.

أخفـض مسـدسي. أمامـي اثنـان مـن الحمقـى، مسـتقيمان يصرخـان طلبًـا للرصاص. لا يوجـد شيء آخـر للقيـام بـه. سـيتعيَّن عـلى قَاتِـلَي مونيتـا قضـاء نحبَيْهـما عـلى تلـك الجزيـرة المتجمِّـدة اللعينـة. كنـتُ عـلى وشـك سـحب الزنـاد حـين هـبَّ نَسـيمٌ مُفاجـئ في ليلـة الربيـع التـي لا تـزال قائمـة. أنظـر حـولي بسرعـة ولكنـي لا أرى شـيئًا. لا شيء يـأتي لا شيء

يذهب، هناك فقط هذا النسيم المفاجئ، يهبُّ عبر حقل الحمم القمرية، ويفتح باب القمر الصالح[1]...

آمين.

ألقي نظرةً فاحصة طويلة على رفيقيَّ السابِقَيْن، إذ استلقَيَا مُنبَطِحَيْن على وجهيهما داخل الصَّدع، مثل اثنين من السادة يرتديان ملابس لا تلائم المقبرة الجماعية. ثم أومأت برأسي عدَّة مرَّاتٍ قبل أن أقول لهما وداعًا بكلمة كرواتية قصيرة:

"بوك".

استدرتُ بعيدًا وبدأت أعرج نحو السيارة. فخذي يبكي وقلبي يهتزُّ، ولكن روحي تقول هللويا.

(1) - good moon door: إحالة إلى اسم والد زوجته جودموندور.

35
الدُّخول الضربي

2007/05/12

تدفعك قيادة سيارة الأودي للاعتقاد بأنك يجب أن تكون سعيدًا. يُكافِئُكَ النجاح بمقاعد جلدية ولوحة قيادة طائرة. لحسن الحظِّ أن غيارها آليٌّ؛ لأنني لا أشعر بساقي اليسرى، وكذلك النصف السفلي من جذعي. سروالي غارق في الدَّم أو البول أو أي سائل داخلي آخر على وشك ملء حذائي الأيسر. أتساءل ما إذا كانت الرصاصة لا تزال بداخلي في مكان ما. أشعر وكأنها تستريح في قاع مثانتي، تعمل كقابس في حوض الاستحمام.

عندما مشيتُ حوالي ستين قدمًا مؤلمًا بعيدًا عن الأحمقين، استدرتُ ونظرت في عينيهما. كانا ينظران من قبرهما البركاني بعيون مذهولة، يشبهان إلى حدٍّ كبير خروفَيْن عالِقَيْن في حفرة. لماذا لم تقتلنا؟ حتى إنني شعرتُ بخيبة أمل في عيونهم. أوْلَيتُهم ظهري وواصَلتُ مسيرتي

نحـو السـيارة. رمَيـتُ مسدسـيهما في صنـدوق السـيارة، ووضعـت مسـدسي في جيبـي، وتمكّنـتُ مـن وضـع ألمـي في مقعـد السـائق.

أعـود مـن نفـس الطريـق الـذي أتينـا منـه. أسـتطيع أن أرى بالفعـل مصنـع الألمنيـوم أسـفل السـاحل. تمـر أمامـه بعـض السـيارات عـلى طريـق ريكيافيـك- كيفلافيـك السريـع، لا بُـدَّ وأن مسـابقة الأغـاني قـد انتهـت.

كانـت سـينيكا صربيّـةً، صربيّـة جميلـة للغايـة، وهـي حقيقـةٌ أخفيتهـا عـن والـدي. اسـمها الحقيقـي دراجانـا، المكافـئ الـصربي لــسيكريدر؛ لذلك اسـتقررنا عـلى سـينيكا، الـذي يشـير إلى خلفيَّـةٍ بوسـنيَّةٍ، بـل ومسـلمة. تَواعَدنـا لأكـثر مـن عـام، ولكـن بعـد ذلـك اندلعـت الحـرب واضطـرَّت إلى الابتعـاد مـع عائلتهـا.

بعـد غـزو كنـين كنَّـا نُمشِّـط المنطقـة المحيطـة بهـا، وقـد أُمِـرتُ بالبحث في بعـض الڤيـلَّات ذات المظهـر الألماني.

كان سـقف إحداهـا مُدمَّـرًا ونوافذهـا مُحطَّمـة وجدرانهـا محترقـة. منـزلًا ضخـمًا مـن ثلاثـة طوابـق. أخـذت بندقيتـي وانتقلـت مـن غرفـة إلى أخـرى. كلهـا كانـت فارغـة، لكـن عندمـا نزلـت إلى الطابـق السـفلي، سـمعتُ بعـض الضوضـاء. هرعـتُ إلى غرفـة جانبيـة، وصِحـتُ في الجنـدي الـصربي المختبـئ تحـت سريـرٍ قديـم قبيـح. بعـد أن قُمـتُ بإطـلاق بعـض الرصـاص في جميـع أنحـاء الغرفـة، خـرج زاحفًـا. إلَّا أنـه كان هـي... كانـت سـينيكا. دراجانـا اڤراموڤيتـش. كانـت لا تـزال جميلـة جـدًّا. وأكـثر مـن ذلـك أنهـا ترتـدي هـذا الـزِّيَّ الفظيـع. تَـمَّ قَـصُّ شَـعرها لدرجـةٍ أقـصر؛ مـمَّا جعلهـا تبـدو أكـثر صبيانيَّـة. لكـنَّ الشَّـامة كانـت هنـاك، وتلـك الشـفتان المغريتـان، والعينـان اللتـان تنضحـان شِـعرًا... أرَدتُ أن أمسـك خدَّهـا الصُّلـب بإصبعـي.

كان كلانا مَذهولًا، ثم لاحَظتُ ندبةً قبيحةً على رقبتها.

"سينيكا؟".

"تومو؟".

سرعان ما كُنَّا نتبادل القُبَل، جنديان في زيِّ العدو. ولكن بعد ذلك توقَّفَت فجأة عن التقبيل وتراجَعَت إذ تحمل مُسدَّسًا في يدها، زاستافا صربي الصُّنع، تُصوِّبه إليَّ بنظراتٍ جادَّة. ألم تثق بي؟ لقد حاوَلتُ أن أحافظ على هدوئي بينما يتدلَّى على ظهري رشَّاش إيه كيه 47 المربوط حول كتفي.

"هل تريدين إطلاق النار عليَّ؟" سألتها بهدوء شديد.

"لطالما أردتُ ذلك".

"لماذا؟".

"لأنَّكَ مثل هذا الأحمق".

"أحبَبتُكِ".

"كاذب".

"لا. فعَلتُ حقًّا".

قالت بشفتين مرتجفتين: "اشتقتُ إليكَ".

"اشتقتُ إليكِ أيضًا".

"لم تكتب لي مرَّةً أخرى".

"كتبتُ، ألم تحصلي عليه؟ لقد كتَبتُ لك إلى بلجراد، على عنوان عَمَّتِكِ".

"كاذبٌ".

قلتُ بابتسامة: "سينيكا ما زلتِ مجنونةً. أتذكَّر.. دائمًا كيف كُنتِ تُردِّدين أنَّكِ تريدين قتلي".

"نعم، والآن أستطيع".

شعرتُ فجأةً وكأننا عدنا معًا، نتجادل في قبو زوج والدتها غير المرتَّب في قلب سبليت، ومن دون تفكيرٍ مَدَّت يدها ولمست مسدسها بإصبعي السبابة. أضع إصبعي داخل الفوهة بقدر ما تمكن أن تصل، وأخبرها بصوتٍ أكثر استرخاءً أن التقبيل أفضل من القتل.

ظلَلتُ ألعب بمسدسها، وأرسم العلامة الدولية لـ "مارس الحب وليس الحرب" (أدخلتُ إصبعي وأخرجتها من الماسورة عدَّة مرَّات) حتى أنجَبَت شفتاها الرطبتان الابتسامةَ التي افتَقَدتُها منذ خمس سنوات. سنوات طوال.

وسرعان ما كُنَّا نتبادل القُبلات مرة أخرى، أنا وفتاتي المجنونة، أنا وفتاتي الصربية.

بعد فترة وجيزة كنَّا على الفراش، تشقُّ أيدينا المتعطِّشة طريقها عبر السنوات الخمس الضائعة والزي الثقيل. انفجرت القنابل في الخارج، واهتزَّ المنزل كله مثل الجَرَّافة وكان هناك صوت زُجاجٍ يتحطَّم، فأضاف كل هذا الوقود إلى نارنا وحسب، لا شيء يجعل الحُبَّ أكثر إثارة من الحرب. كنَّا نلهث، ووضعت أصابعي على ثديَيْ جيشِها الصُّلبَيْن عندما ظهر اثنان من زملائي الجنود فجأةً داخل الغرفة وهم يضحكان ويهتفان لي. كان لهذا تأثير مُعاكِس.

لاحظا ودفعاني جانبًا، ووضعا أيديهما القَذِرة على فم سينكا.

كان عليَّ أن أشاهدهم. حاوَلتُ أن أغمض عيني، لكن الأمر كان أسوأ. كان عليَّ أن أشاهدهما بحقِّ اللعنة. لم أكن أريدهما أن يقتلاها؛ لذا كان عليَّ أن أنتظر حتى ينتهيَا.

يمكن أن يكون لديك اثنان من أ.ل.ع[1].

(1) اختصار لـ أبشع لحظة على الإطلاق.

حاوَلتُ الاتصال بها طيلة سنوات. في كل شهر من شهور عملي في نيويورك، بحثتُ عن اسمها على جوجل، وكتبتُ لعائلتها وأصدقائها دون توفيق. كتَبَت لي إحدى صديقاتها في سبليت من إيطاليا تخبرني أنها حصَلَت على بطاقة بريدية من سينيكا قبل بضع سنوات، من بلجراد. بخلاف ذلك، لا شيء. لا يبدو أن حتى ملفّات المقابر الوطنية الكبيرة لدينا تحتوي على اسمها.

فقط زوج أمِّها، دُفن في نوفي ساد في 2002. ربما كانت تعيش خارج نطاق الإنترنت، في قرية جبَليَّة أو في بعض الأراضي البعيدة. لم أكتب اسمها لأكثر من ثلاثة أشهر حتى صادَفتُها في الشتاء الماضي.

في ريكيافيك.

من بين جميع الأماكن في العالم، صادفتها في كرنجلان مول خارج مكتبة بينين، بجوار متجر الهدايا التذكارية الغريبة. كان ذلك قبل عيد الميلاد مباشرة. كان المكان يعجُّ بالناس الذين يعانون من الإجهاد المفرِط، واصطدمنا ببعضنا البعض. كانت هي دون شكٍّ. كنت أتعرَّف على تلك الوحمة في أي مقبرة جماعية. استغرَقَت بضعَ ثوانٍ للتعرُّف عليّ. اندفع الناس أمامنا بينما نقف هناك مُجمَّدَيْن، ننظر إلى بعضنا البعض دون أن نقول الكثير.

ذهبتُ إلى المركز التجاري بحثًا عن هدية عيد الميلاد من أجل جانهيلدور، فوَجَدتُ سينيكا. كانت تخفي ندبَةً كبيرة بغطاء، وخدَّاها ما زالا جافَّيْن، وشفتاها ناعِمتان ومثيرتان، لكنَّ جَمالها تلاشى. لقد أصبَحَت سمينة أيضًا. أستطيع أن أقول إنها اعتقَدَت نفس الشيء عني. جلسنا لاحتساء القهوة، وأضافت بعضَ الدُّموع إلى اللاتيه.

قلتُ بلغتنا الحبيبة: "كان يجب أن تقتليني في ذلك القبو".

"لا. فحينها كان سيقتلني أصدقاؤك".

"لقد كادوا يقتلونني لأنني أطلَقتُ سَراحَكِ".

"أعتقـد أننـا حصلنـا جميعًـا علـى نصيـبٍ مـن المـوت في تلـك الحـرب، كـما اعتـادت ماما أن تقـول. الحـرب تقتـل الجميـع، بمـن فيهـم مَـن نجـا".

كان الاثنـان في أيسـلندا منـذ أكـثر مـن ثـلاث سـنوات، جـاءا إلى هنا بعد عَقـدٍ مـن العيـش في أماكـن عديـدة، بمـا في ذلـك مُخيَّـم اللاجئـين التابـع للصليـب الأحمـر لأكـثر مـن عـام، حيـث تـوفِّي زوج أم سـينكا، الشـاعر. لقِيـت شـقيقتها حتفهـا في الحـرب مـع عائلتهـا. أخـيرًا قـرَّروا الانضـمام إلى مجموعـة مـن ثلاثـين صربيًّـا وبـدء حيـاة جديـدة في بلـد جديـد.

في بدايـة عـام 2003، اسـتقرَّت المجموعـة في قريـة صغـيرة في غـرب أيسـلندا. هنـاك بَقيَـت الأم وابنتهـا لمـدَّة عامـين، في شـقَّة جديـدة تمامًـا فَرَشَـها لهـم السُـكَّان المحليُّـون.

"النـاس هنـاك طيِّبـون حقًّـا. لكـن الأمـر كان أشـبه بالعيـش في خزانـة، مـع وجـود جبـالٍ زرقـاء شـديدة الانحـدار حولنـا. خـلال فصـل الشـتاء، لا تـرى الشـمس لمـدة ثلاثـة أشـهر تقريبًـا". بقيـت والدتهـا في المنـزل وهـي تحـدِّق مـن النافـذة في المحيـط. "يمكنك أن تـرى كل الطريـق إلى جرينلاند" بينـما كانـت سـينكا تعمـل في مصنـع الأسـماك. "أكـثر وظيفـة مُملَّـة في حيـاتي"، ولكـن عندمـا احتاجـت الأم إلى مزيـد مـن التمريـض، انتقلـوا إلى المدينـة في الجنـوب. في البدايـة عملَـت كأمينـة صنـدوق في أحـد متاجـر بونـس، لكنهـا حقَّقَـت حلـم حياتهـا مؤخَّـرًا عندمـا حصلـت عـلى وظيفـة "عاملـة" في مـسرح المدينـة.

كيـف كان كلُّ شيء مُرعِبًـا؟ مـن بـين جميـع مـدن العـالم، انتهـى بنـا المطـاف في هـذه المدينـة.

قالـت سـينكا الآن إن المـرأة العجـوز تمكَّنَـت منهـا الشـيخوخة. "إنهـا لا تتحـدَّث عـن أي شيء آخـر غـير جرينلانـد. يجـب أن تذهـب إلى جرينلانـد"

وجَدَت والدتها أفضل طريقة للتعامُل مع خسائرها من خلال مرض الزهايمر، ووجَدتُ أنا وسينكا طريقة مختلفة.

إنها تنتظر قدومَ طفلي.

أعرف. لم أتخرّج في مدرسة تورتشور بتخصُّصٍ في القداسة.

أشقُّ طريقي إلى جاروبير. يبدو أن الأَوْدي السوداء تجد طريقها من تلقاء نفسها. وسرعان ما وقَفَت خارج منزل أصهاري الأيسلنديين.

أدَّت الرصاصة لانتفاخ مثانتي حتى صارت في حجم بيضَةِ نَسرِ الصحراء. يستغرق الأمر حوالي أربع دقائق للخروج من السيارة. لماذا أتيت إلى هنا على أي حال؟ كان يجب أن أذهب مباشرة إلى المشرحة. بهذه الطريقة كنت سأوفِّر الكثير من وقت الناس ومالهم، أرَدتُ فقط إعطاء رقم سينيكا لجانهيلدور حتى يتمكَّنا من تدبير اللقاء بين أطفالي.

يزداد ألم الفخذ مع كل خطوة، بينما أشقُّ طريقي إلى الباب الأمامي، تاركًا ورائي أثرًا من الدماء. أفتح الباب بصوت أجراس الكنيسة الصامتة، وأخطو فوق العتبة الذهبية. يستقبلني صوت الموسيقى وبعض المزامير وأشياء قادمة من غرفة المعيشة. عندما أدخل (بحذائي) أستطيع أن أرى أنهم جميعًا لا يزالون هناك، مجتمعين حول التلفزيون الصاخب: جودموندور وسيكريدر وتورتشور وهانا وآري وجانهيلدور وأوليه وهاربا، يبدو أنهم فوجئوا برؤيتي، وهم يحدِّقون فيَّ بعيون كبيرة وأنوف صغيرة وأفواه مفتوحة. ثماني كرات ثلجية تواجه رجُلًا يحترق.

"لم..." تمكَّنتُ من النطق بها قبل أن أنهار على الأرض: "لم أقتُلهم".

يندفعون لإنقاذي، وينقر حلق أوليه الذهبي الصغير فوقي مثل هالة أُلقِيَت عليَّ من على ارتفاع ألف قدم. امتقع وجه تورتشور،

فتحوّلت نظارته إلى نصف قمر. يحوم فوقي وجه جانهيلدور المشرق مثل شمس كبيرة فوق أرض مضطربة. تقول شيئًا، لكني لا أستطيع سماعه. وبعد ذلك تظهر المزيد من الوجوه. هانا، هاربا، سيكريدر... وكلهم يقولون شيئًا ما، لكن لا يمكنني سَماعُه لأن الغرفة مليئة بالموسيقى.

لا أتعرَّف على الأغنية، لكن يمكنني أن ألتقط بعض الكلمات: "لكني لا أستطيع"[1]...

"ما هي الأغنية؟" تمكّنتُ من الهمس.

"إنها الأغنية الفائزة، من صربيا. صربيا هي مَن فازت" تقول جانهيلدور.

"أوه؟ فازوا؟ أحسَنوا" أقول.

ثم لستُ مُتأكّدًا ممّا حدث بعد ذلك.



(1) بالكرواتية في الأصل.

نبذة عن الكتاب

دليل القاتل المحترف لتنظيف البيوت هي رواية هيلجاسون الوحيدة المكتوبة باللغة الإنجليزية. نُشرت ترجمة المؤلف الخاصة في أيسلندا في عام 2008 وأصبحت من أكثر الكتب مبيعًا في ألمانيا في عام 2010.

في هذه الرواية نلقي نظرة على العالم من عدسة قاتل كرواتي محترف وساخر، أنهى عملية قتلٍ خرقاءَ في نيويورك، ثم ضلَّ طريقه إلى أيسلندا بعد أن قتل كاهِنًا في المطار واستولى على هويَّته. وفي البلاد الباردة رغم سطوع الشمس المتواصل فيها ليل نهار، ينكشف للقاتل أن الكاهن هو في الحقيقة مَن قضى عليه، فإمَّا أن يتخلَّى توكسيك عن زُعافِه القاتل، أو يفعل ذلك كمحترف.

نبذة عن الكاتب

(1959-...)

بـدأ هالجريمـر هيلجاسـون حياتـه الفنيـة كرسَّـام، حيـث عـرض أعمالـه في صـالات العـرض في نيويـورك وباريـس. ظهـر لأوَّل مـرَّة كـروائيٍّ في عـام 1990. ونـال اهتمامًـا دوليًـا عـن روايتـه الثالثـة "ريكيافيـك 101"، والتـي وصفهـا الناقـد تيـم سـاندلين: "تَخيَّـلْ لـو كان هـنري ميللـر قـد كتـب "مـدار السرطـان» تحـت تأثـير الكـراك كوكايـين بـدلًا مـن النبيـذ". تـمَّ تحويلـه لاحقًـا إلى فيلـم مـن بطولـة ڤيكتوريـا أبريـل.

في عـام 2001 حصـل هيلجاسـون عـلى جائـزة أيسـلندا الأدبيـة كأفضـل مؤلِّـفٍ في أيسـلندا. وتـمَّ ترشـيحه مرتـين لجائـزة المجلـس الاسـكندنافي الأدبيـة: الأولى لــ "ريكيافيـك 101" في عـام 1999، ثـم "أرض العاصفـة" في عـام 2007 والتـي أُنتجـت فيلـمًا في أوائـل عـام 2011.

وُلِـد هالجريمـر في ريكيافيــك عــام 1959، وهــو أب لثلاثــة أطفــال، ويقـضي وقتــه بــين ريكيافيــك وجزيـرة هريـسي.

نبذة عن المترجم

كريم كيلاني، كاتب وصحفي ومترجم مصري، يعمل بالمجال الصحفي والأدبي منذ عام 2009. قام بترجمة عدة روايات، منها: "على السبيل" لچاك كيرواك، و"مدينة الرب" لباولو لينس، و"أخت فرويد" لجوسيه سميلفسكي. كما صدَرَت له رواية "الهروب من الطريق الدائري" عن دار "المحروسة"، وكتب لعَددٍ من الصحف والمواقع والإذاعات العربية.

telegram @soramnqraa

دليل القاتل المحترف لتنظيف البيوت

لكن... هل يصبح القاتل كاهنًا حقًا؟

... "لقد كان لديَّ الوقت لإلقاء نظرة خاطفة على كل ثَقب فتَحتُه في حياة الناس. في عقلي تتبّعتُ كلَّ رصاصاتي في حناجر الناس، في رؤوس الناس وفي المستقيم. وأشعر بالأسف، فقد أطلقتها جميعًا في الاتجاه المعاكس؛ ممّا جعلها تعود إلى مصدرها، لتفتح مائة ثَقبٍ في رأسي، فيتحوّل إلى دُشٍّ تنساب منه كلّ ذنوبي المميتة".

إنها كوميديا سوداء حول قاتل مافيا كرواتي هبط عن طريق الخطأ في أيسلندا، المجتمع الأكثر سلميّةً ونسويّةً في العالم، متنكرًا في زيّ قسٍّ ومذيعٍ إنجيليٍّ أمريكي.





ISBN 978-977-313-916-2